١٠ قروش نوفمبر ١٩٤٦

المختار من ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

بعض ما تقرأ في عددنا القادم ديسمبر ١٩٤٦

هجرت الخمر : لم يكن مدمناً، ولكنه كان يشرب قدحاً أو قدحين قبل العشاء ، إما مجاملاً وإما زاعماً أن العمل قد نهك قواه فهو في حاجة إلى منبه . ثم إذا به يصارح نفسه بالحقيقة — فأقلع عن الخمر . والكاتب تشانيج بروستر يبين لك في هذا المقال ، ما أفضى إليه هجر الخمر من اقتصاد في المال ، وقوة في البدن ، واستمتاع بالحياة .

أوسكار وايلد : صفحات من حياة أديب كان في عرف النقاد أبرع ناطق بلسان وأقدره على إلباس المعاني المتناقضة ثوباً من الألفاظ التي تجعلها مقنعة وساحرة مع تناقضها .

ينهضون من الفراش ويظلون أحياء : ذعر أطباء المستشفى وممرضاته ، في اليوم الذي استؤصلت الزائدة ، أصر المريض على أن ينهض من سريره وأن يتمشى قليلا ، أما اليوم فترى مستشفيات كثيرة ، تدأب على أن يبادر الذين عولجوا بالجراحة إلى القيام والحركة . اقرأ واعجب كيف عجلت هذه الطريقة في شفاء المرضى ، وكيف قللت المضاعفات .

مآسي الخيبة في الزواج ؟ : إذا كان البيت هو الأساس الذي تقوم عليه الأمم والمجتمعات ، فينبغي للشباب المتطلع إلى الزواج أن يعلم أن الغرض الأصيل من الزواج هو الأبوة والأمومة والنسل .

ألف الجرذان في الرغام : هذا كشف جديد تم للدكتور كرت ريتشر ، يتيح سماً — اسمه أنتو — يفتك بالجرذان الخطرة الشائعة في مصر ، فأوشك الناس أن يقهروا عدواً من ألد أعدائهم .

مسيو شرلوك هولمز : قصص من الغرائب التي تتجلى في كشف الجرائم ، والتي تدل على ما لبراعة رجل الباحث في فرنسا من أثر في الوصول إلى الأدلة المادية إلى سر الجريمة .

AL: MUKHTAR min Reader's Digest — Vol. 7, No. 39 NOVEMBER 1946.

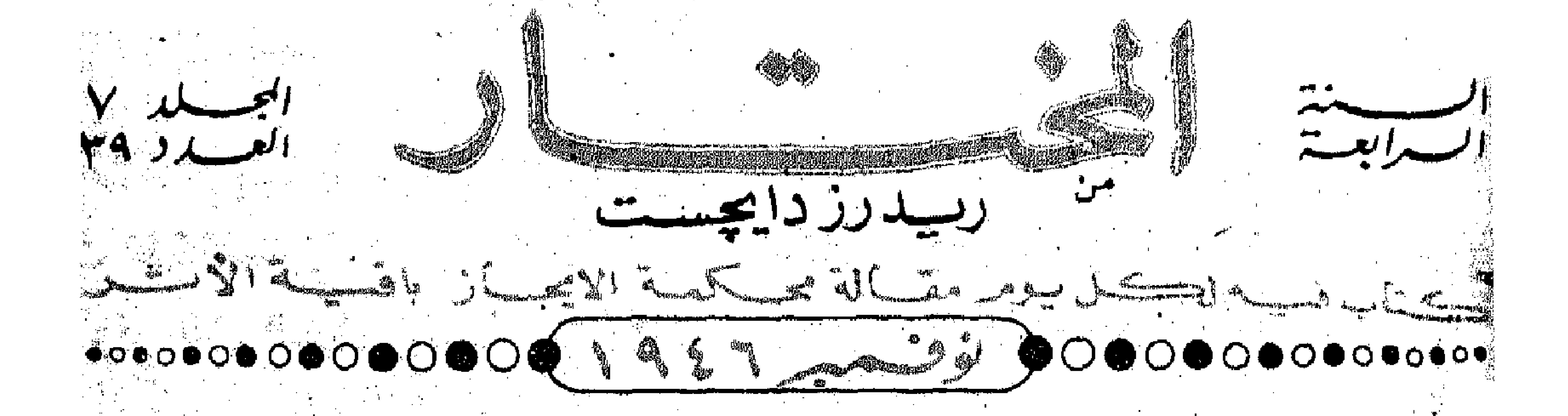
رؤساء التحرير : ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس — سكرتير التحرير : كنيث باين .
مدير التحرير : ألفرد داشيل — المدير العام : أ . ل . كول . — المدير المساعد : فرد طمسون .
مدير الطبعات الدولية : باركلى أتشيسون — المدير المساعد : مارفن لوز .

الطبعة العربية

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف . مدير التحرير : محمود محمد شاكر . مدير الإدارة ولم ف . جلسبي .
مصر والسودان : النسخة ٣ قروش ، الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً — شرق الأردن وفلسطين ٣٥ ملا
العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً . الاشتراك السنوى في سوريا وشرق الأردن
والعراق وفلسطين ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً ،
وفي سائر أقطار العالم ما يعدل ٧٥ قرشاً أو ثلاثة دولارات أو ١٦ شلناً .

العنوان : ١٤ شارع القاصد ، القاهرة — تليفون : ٤٢٢٦٤

رسم الغلاف رمز لبرج الساعة ودار الاحتفالات الكبرى بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة



أومن بالسلام

إدوارد ستيتينيوس

عندما استقلتُ فى مايو الماضى من منصب الممثل للولايات المتحدة فى مجلس الأمن التابع لهيئة الأمم المتحدة، قلت للرئيس ترومان: « إننى صرتُ اليوم أشدَّ ثقة بقدرة هيئة الأمم المتحدة على إنقاذ العالم من شر حربٍ عالمية أخرى ».

ولقد اضطلعت بنصيب وافٍ من المصاعب والعوائق المثبّطة التى تحفّ بهذه المهمّة. فقد عالجت مشاكل دولية أيام توليت إدارة الإعارة والتأجير، وحين كنت وزيراً للخارجية، وحين كنت رئيساً لوفود الولايات المتحدة أثناء وضع ميثاق الأمم المتحدة، وحين كنت مندوباً عن أمريكا فى الاجتماعات التاريخية الأولى التى عقدتها هيئة الأمم فى لندن ونيويورك. وقد خرجت منها جميعاً لم يتزعزع إيمانى، بل إنه ازداد رسوخاً.

إن مزرعتى تقع فى ريف فرجينيا حيث عاش توماس جفرسون وجيمس ماديسون، وإن غبار الطريق الذى يكتنفها هو نفس الغبار الذى كانت تثيره حوافر جيادهما، وهما فى الطريق إلى المؤتمرات التى أفضت إلى إنشاء الاتحاد الأمريكى ثم الدستور الأمريكى. وقد استغرق الأمر ثلاث عشرة سنة من ١٧٧٦ إلى ١٧٨٩ حتى تم اندماج ثلاث عشرة مستعمرة بالتحالف بادئ ذى بدء تحت لواء

الاتحاد ، ثم إنشاء أمة واحـدة منها جميعاً تحت ظلّ الدستور .

وقد طال النضال يومئـذ حتى وهنت عزيمة كثير من الرجال فنفضوا منه أيديهم، إلا وشنطن وجفرسون وماديسون فقد ظلوا يناضلون ، ولم يصبهم ذلك الداء المغتال الذى نسميه « خيبة الأمل » ، بل كانوا يطوون جوانحهم على إيمان يزلزل الجبال ، فزلزلوها وأنشأوا أمة وثيقة البنيان . فلابدّ لنا من إيمان كإيمانهم يزلزل الجبال الراسية التى تعترض اليوم طريقنا .

من العوائق التى تحول دون انتشار هذا الإيمان اليوم ، أن المخترعات الحديثـة التى يسَّرت على الناس أسـباب الأسفار التى لا تنقطع والمخاطبات المتواصلة ، قد ملأت جوانب حياتنا حتى ضاق وقتنا عن التفكير ، وصارت مشاغلنا حملا يؤود ظهورنا بمعالجة العابر لا الدائم من حاجاتنا . وقد بلوت الدبلوماسية فوجدت حملها ثقيلا كسواه . فالدبلوماسىّ ينتقل من مشكلة عاجلة إلى أخرى ، ساعة بعد ساعة فى يوم بعد يوم ، فتزداد همومهُ وتتضاءل قدرتهُ على اجتلاء كل بعيد.. وعندئذ تدركهُ « خيبة الأمل » .

وإنهُ لما يسرّنى أن أستضيف أعضاء مجلس الأمن فى مزرعتى بفرجينيا ، حيث يجدون أن أكبر مايتاح لهم هو اجتلاء كلّ بعيد ، وأن أدعوهم إلى الجلوس على شرفة دارى لـكى يسرّحوا أفـكارهم فى الآفاق البعيدة ، ويكون لى شرفاً أن أحيى ضيوفى بكلمة قصيرة ، هى التى أسوقها فى هذا المقال :

أظهر أننا نخدع أنفسنا حين نقول إننا نسعى إلى توطيد السلام . أفليس الحق أننا نريد أن نقول : هل نستطيع أن نوطد أركان السلام بيننا وبين الاتحاد السوفيتى ؟

لقد شرع روزفلت ووزير الخارجية هل يبذلان جهدهما فى علاج هـذه المعضلة والحرب يومئـذ دائرة الرحى . وكانت المشكلة الأولى : أيرضى الاتحـاد السوفيتى بأن يشترك فى هيئـة عالمية تعمل للسلام ؟ وهل ترضى الولايات المتحـدة بأن تنضم إليها ؟ وهاتان الدولتان هما اليوم أقوى دول الدنيا ، وكلتاهما قد عاشت دهراً فى عزلة .

ولو تأملتَ لحظة لتبيّنت أنها كانت ساعة فاصلة فى يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٤٣ حين ضمت مدينة موسكو مولوتوف مندوب روسيا ، وهل مندوب أمريكا ، وإيدن مندوب بريطانيا ، وفو مندوب الصين ، واجتمعت كلمتهم على أنهم « يدركون الضرورة الداعية إلى .. هيئة دولية عامة .. تعمل على استتباب السـلام والأمن بين الدول » .

ثم جاءت محادثات دمبرتون أوكس في وشنطن في ١٩٤٤، فكانت الخطوة الأولى في سبيل إنشاء هذه الهيئة . وإني لأستعيذ بالله مما لقيت من وجع الرأس ووجع القلب ، فقد كان مقدراً للمفاوضات أن تستغرق أربعة أسابيع ، فصارت تسعة . وإني لأرى ناساً يذكرون عنادَ روسيا وإصرارها على التمسك بحق الاعتراض على قرارات مجلس الأمن ، ولكن ينبغي أن لا ننسى أنه لم يُنصَّ في ميثاق الأمم المتحدة على حق الاعتراض للدول الكبرى ، إلا لأن ذلك كان أمراً لا غنى عنه حتى يحوز الميثاق رضى الشعب الأمريكي ، وموافقة مجلس الشيوخ الأمريكي — وحتى يحوز أيضاً موافقة الاتحاد السوفيتي. فهل يرضى الشعب الأمريكي أن تشترك جيوشه في قتال برى أو بحرى أو جوّى دون موافقة الولايات المتحدة ؟ نعم لقد طالبت كلتا الدولتين بحق الاعتراض ، ومع ذلك فقد شجر بينهما خلاف ، بيد أن ثمرة هذا الخلاف تدل على شيء جليل الأثر محمود العاقبة .

فقد اتفقنا جميعاً على أن نسوّى مسائل الإجراءات في مجلس الأمن دون أن يعوقها حق الاعتراض ، واتفقنا أيضاً على أنه لا بُدّ من إجماع الدول الكبرى في تنفيذ قرارات المجلس . وامتدّ الخلاف إلى أمر الدولة التي تكون طرفاً في نزاع : هل ينبغي أن تمتنع عن التصويت أو لا تمتنع ؟ فكان رأى أمريكا أن تمتنع ، وأصرّ الروس على أن لا تمتنع .

واحتدم الجدال في هذا الأمر ، ولم يتزحزح الروس قيد أنملة ، وكان لسان روسيا هو السفير جروميكو ، وكنت قد صرت شديد الولع به ، فكلانا صغير السنّ ، وكلانا حديث عهد بالسياسة ، فقرّبَ ذلك بين قلبينا ، ولكن ما من رأى ولا اقتراح كنت أبديه إلا وقوبل بذلك الردّ الثابت الذى يجرى على ألسنة الساسة الروس : « إن الاتحاد السوفيتي يرى أنه رأى غير مقبول » .

فدعوت جروميكو إلى البيت الأبيض ، وأخذ روزفلت يحاوره ليقنعه ما استطاع ، فكان جروميكو يبدى المودّة ، ولكن لم يلن له عودٌ .

وأخيراً عزم روزفلت وهلْ على شيء عظيم الشأن في المسائل الدبلوماسية ، ألا وهو الصبر ، فجعلنا الصبر شيمتنا . ولقد اتفقنا نحن والروس في دمبرتون أوكس على كل شيء إلا مسألة حق الاعتراض ، فقد أرجأناها عمداً ، حتى جاء مؤتمر يالتا بعد أربعة أشهر ، فطرحناها على بساط البحث . كانوا قد أبرقوا إلى ستالين باقتراح

أمريكا فى مسألة حق الاعتراض ، ولكن مضت الأيام حتى جاء مؤتمر يالتا ، واستغرقت المناقشة يوماً بأسره حتى قبل الروس رأى أمريكا فى أن الدول الكبرى ينبغى أن تمتنع عند عرض مسائل يراد بها توطيد السلام ، من أن تصوّت إذا كانت طرفاً فى النزاع .

فلماذا كان ذلك ؟ لسببين ظاهرين ، الأول : أن الروس أرادوا صادقين أن تكون ثمة هيئة عالمية ، ففى ذلك منفعة لهم . والثانى : أنهم رأوا أن أمريكا جادّة فيما تريد ، وأنهم إذا أرادوا وجود هذه الهيئة العالمية فلابد لهم من أن يقبلوا الاقتراح على أنه شىء «لا مفرّ منه» .

ولكن لم تمض بضعة أشهر حتى اجتمع ممثلوا خمسين أمّة فى سان فرنسسكو ، فثارت العاصفة مرة أخرى واحتدم الجدال فى مسألة حق الاعتراض . فهل يباح للدولة العظمى التى ليست طرفاً فى النزاع أن تعترض على مناقشة هذا النزاع فى مجلس الأمن ؟ فقال الروس . أجَلْ ، وقلنا نحن : كلاّ ، وبمثل ذلك قالت بريطانيا وفرنسا والصين . وأوشك الجدالُ الذى أعقب ذلك أن يجعل المؤتمر يبوء بالإخفاق .

وأخيراً كتبت رسالة إلى هاريمان سفير أمريكا فى موسكو ، وإلى هارى هوبكنز وكان فى موسكو أيضاً ، أطلب إليهما أن يقابلا ستالين ومولوتوف ويذكرا لهما فى صراحة أنه لن يكون ثمة شىء يسمى ميثاق الأمم المتحدة حتى يتحوّلا عن رأيهما . وأيّدنى ترومان فيما فعلت . وسلم الروس ، ولم تمض أيامٌ قلائل حتى تمت الموافقة على الميثاق بإجماع الآراء .

وإلى لأظنّ أن النيّة الصادقة التى أنشأت هيئة الأمم المتحدة تستطيع أن تحوطها حتى تترعرع وتؤدّى مهمتها . وقوام هذه النية الصادقة هو : الإيمان والحزم والصبر . وليس العمل الذى أمامنا عمل أيام ، بل هو عمل عشرات من السنين ، فلنلق نظرة على ما يكتنفه من عقبات راسية كالجبال .

فالاتحاد السوفيتى قد يستمرّ زمناً طويلا وهو يلجّ فى استخدام حقه المحدود فى الاعتراض ، لجاجةً يعدُّها بعض أعضاء المجلس غير مستحسنة أو لا حاجة إليها . وقد يظل يستعملها بأساليب تستثير سخط كثير من بلاد العالم . ومع ذلك فلننظر مليًّا فى العلة التى تدعوه إلى هذا . إن علة ذلك هو أن الاتحاد السوفيتى لا يزال أقلية فى العالم .

إن سكان هذه البسيطة يبلغون نحو ألفى مليون نسمة ، والاتحاد السوفيتى و «الدول التابعة» له كما نسميها ، لا سلطان

لها إلا على عدد لا يتجاوز ٣٠٠،٠٠٠،٠٠٠ نسمة . والسوادُ الأعظم من شعوب الدنيا يسير فى شئونه الاقتصادية على نظام الرأسمالية، على حين أن شيوعية الاتحاد السوفيتى لا تزال نظاماً يسير عليه أقلية من الناس ، وكذلك ترى روسيا أنها تواجه أسلوباً فى الحياة يناقض أسلوبها ، وأن متبعيه أكثر عدداً ، وأوفر ذخيرة فى الموارد الطبيعية ، وأعظم قدرة على الإنتاج ، وأكثر أصواتاً فى هيئة الأمم المتحدة .

ومن هذا جاء المعنى الخاص الذى يقصده ستالين ومولوتوف وجروميكو من قولهم : « قرارٌ متفق عليه قائم على المساواة بين الدول فى الحقوق » ؛ فأمريكا ربما كان مقصدها من هذه العبارة هو « حماية حقوق الأكثرية » ، أما ستالين ومولوتوف وجروميكو فمقصدهم منها « حماية حقوق الأقلية » . وهم يريدون « حق » الاتحاد السوفيتى فى حماية نفسه ، باستعمال « حق الاعتراض » ، من سلطان التصويت المشترك الذى يأتى من قبل « الدول الكبرى » غير السوفيتية .

والاتحاد السوفيتى يرى كلَّ يدٍ تمدّ إليه يدَ عدوٍّ ، وإن كانت يداً مدَّتها إليه الصداقة الخالصة . وهذه فكرةٌ مستبدَّة به لا تنقشع إلا على التدريج ، وأظن أنى ألمح اليوم بدء انقشاعها . فقد مضى زمن النمط القديم من البلاشفة الروس الذين لا همّ لهم إلا « الثورة العالمية » ، وصاروا اليوم أقل عدداً وأضعف سلطاناً فى توجيه شئون السوفيت الخارجية . وإذا نظرتُ نظرة رجل الأعمال إلى رؤساء الصناعة من الروس ، رأيتُ أنى لا أجد مشقة فى التفاهم معهم ، فشمائلهم كشمائل كثير من رجال الصناعة الأمريكيين وحديثهم كحديثهم ، وفى قلوب هؤلاء ما فى قلوب أولئك من الحب للكفاية فى العمل والقدرة على الإنتاج .

إنه العالم ليتطلع اليوم أن يبلغ مستوى من المعيشة أعلى من الذى كان فيه ، فالبلاد التى ظلت زمناً طويلا قانعة بما هى فيه من فاقة وبؤس ، أصبحت اليوم تطالب بأن تتاح لها الفرص التى تفضى إلى التقدم الاقتصادى ، وإلى تجديد نمط حياتها ، وإلى زيادة إنتاجها ودخلها ، وإلى تحسين شئون صحتها وتعليمها . ونحن الأمريكيين أقدر الناس على تعهد هذا التطور بأموالنا وخبرتنا الفنية ، وإذا نحن سبقنا الأمم إلى هدم الحوائل التى تعوق التجارة العالمية ، فنحن يومئذ أقدر الناس على حياطة ارتفاع مستوى المعيشة الذى يستتبعه هذا التطوّر .

ومثل هذا التطوّر يختلف اختلافاً بيناً

عن الاستغلال الذى كان من طبيعة الاستعمار فى الزمن السالف ، فكل شعب تخلف عن ركب الحضارة سوف يجد من المعونة على أن يبلغ بقوته وجهوده مستوى عالياً من التقدم والرخاء . ولا يزعمنّ زاعم أن شعوب أمريكا اللاتينية والشرق الأوسط والأقصى لن يخرج من أبنائها عمال مهرة أو رجال من ذوى القدرة على إدارة شئون الإنتاج ، فهذا باطل ، فليس فى الدنيا شعب لا يستطيع أن يجدد أساليب زراعته وصناعته ، إذا وجد من المال والتدريب ما يكفيه لذلك .

وإليك مثلاً يدل على الثمرة التى تجنيها روسيا وأمريكا والشعب المتخلف نفسه . فالصين إذا أعينت على إصلاح بلادها ، فسوف تستورد من أمريكا الآلات ومعدات الإنتاج ، وسوف تستورد من روسيا مقادير عظيمة من الأخشاب ومن سائر المنتجات الأخرى التى تخرج من غابات سيبريا ومناجمها .

هيئة الأمم المتحدة تهيء لنا أن نتآزر فى العمل تآزراً طيب الثمرات لا عهد لنا بمثله من قبل . وعيون سكان الأرض شاخصة إلى الساعة التى يبدأ فيها هذا التآزر فى العمل بصدق وإخلاص .

وستجتمع الجمعية العمومية لهيئة الأمم فى هذا الخريف ، وستستمع إلى تقارير مجلس الاقتصاد والاجتماع التابع للهيئة ، والذى كانت مهمة أعضائه أن يلتمسوا كل ما ينبغى من الأساليب المشتركة التى تفضى إلى التقدم الاقتصادى والاجتماعى . وليس فى الجمعية العمومية ولا فى المجلس الاقتصادى والاجتماعى قوّة عائقة تسمى حق الاعتراض ، فقد أريد بهذه الجمعية العمومية أن تكون جمعية ديمقراطية تعبر عن إرادات الشعوب المشتركة فى هيئة الأمم . وإنى لأرجو أن تبين هذه الشعوب عن إرادتها ، وأن تستجيب لهم أمريكا بما يهدى الناس إلى طريق يفضى إلى سلام يدوم على الأيام ، لأنه يحقق للعالم كلّ خير مرتجى ، ويبعث الآمال فى قلوب الرجال والنساء والولدان فى كل مكان . وهذا الضرب من السلام هو وحده الترياق الناجع الذى يقينا شرّ الحرب العالمية .

وكلما تضافرت جهود الأمم جميعاً على تحقيق هذا الضرب من السلام ، قلّ اختلافنا وجدالنا على الآراء والمذاهب ، بل أنا أعتقد أن الخلاف بينها سوف يتضاءل . وكلما ازداد الروس معرفة وخبرة بالنظام الرأسمالى فى أثناء هذا التعاون العالمى الشامل ، كانوا أسرع إلى تحقيق حرية

الأفراد فى أسلوبهم الذى يعيشون عليه . كل امرىء فى الدنيا مفطور على قسط من الحرية . وينبغى أن نؤمن ثانية بما كان يؤمن به أسلافنا : « لا بدّ للحرية من أن تنير الطريق للعالم كله على مر الزمن » .

وينبغى لنا اليوم أن نكون على حذر من الغلوّ فى تقدير عواقب الفروق بين المذاهب والآراء ، فإنه ليس من طبيعة هذه الفروق أن تفضى إلى الحرب . فلقد كانت عقيدة الناس أيام الحروب الصليبية أن بلاد الإسلام وبلاد النصرانية لا تستطيع أن تعيش فى عالم واحد تحت ظلال السلم ، وكانت عقيدة الناس أيضاً أيام الحروب الدينية فى القرن السابع عشر ، أنّ بلاد الكاثوليكية وبلاد البروتستنتية لا تستطيع أن تعيش فى عالم واحد تحت ظلال السلم . وكلاهما كانا خطأ ورأياً فاسداً . فليكن من الخطأ وفساد الرأى أيضاً أن نظنّ أنه لا مفرّ من نشوب القتال بين الدول التى رؤوس أموالها موزعة فى أيدى الأفراد ، والدول التى رؤوس أموالها مجتمعة فى يد الدولة . والطريق الذى يفضى بنا إلى هذه الغاية هو أن تتعاون جميع الأمم فى داخل هيئة الأمم المتحدة وفى خارجها ، حتى تنال الخير المشترك الذى تجاهد فى سبيله . فالشر لا يدفعه شىء سوى الخير المحقق .

ولكن ينبغى أن نعلم أنه ما من شىء يهدينا إلى الأعمال التى تستطيع أن تحقق لنا هذا الخير ، سوى الإيمان وحده . نعم إننا لا نستطيع أن نكون على ثقة مما يضمره لنا الغيب ، ولا تستطيع أبصارنا أن تتخطى الجبال فتبصر ما نتمنىّ أن يكون وراءها ، والأمور كلها بيد الله . وكل ما علينا هو أن نسعى إلى خير العالم وسلام العالم . فإذا ضعف إيماننا وقعدنا عن السعى ، فلن ننال المغفرة من الله ، ولا العفو من الناس .

كانت مارى جاردن مغنية الأوبرا الشهيرة ، تكسب مالا وافراً ، وظلّ أبوها يلاحقها بطلب المال ولا يقتصر على طلب مبالغ يسيرة ، فكانت تلبى طلبه ، ولكنها كانت تجأر بالشكوى أنه يفرط فيما يطلب ، فكان يردّ عليها بأنه لا يسعها أن تضنّ على والدها بما يطلب فإنه يحتاج إليه فى مشروع خاص .

ثم جاءت الأزمة الاقتصادية العالمية ، وخسرت مس جاردن كلّ قرش تملكه ، وفى الوقت نفسه مات أبوها ، فأبلغت أنه قد خلّف لها حسابات متعددة فى المصارف ، فوجدت أنها تشمل كل ريال بعثت به إليه [لنرد ليونز]

فن السعـادة

عن صحيفة
"نيويورك تايمز"

نعرف زماناً بذلت فيه الحكومات من الجهود في تحصيل السعادة للناس كهذا الزمن، وعسى أن لا يكون أتى على الناس زمانٌ كزماننا قلَّ فيه احتفالهم بتحصيل الخصال التي تعينهم على إدراكها . وقلما ترى دليلاً على أنّ الناس قد ذاعت بينهم عادة الحرص على تنمية الخلق الذي يفضي بهم إلى نيل السعادة ، إذا نجوا من عناد الأقدار . إن جلّ اهتمامنا مصبوبٌ على إصلاح معاشنا وعلى زيادة أجورنا ، وعلى ضبط الأنظمة الاقتصادية ، أما أقل مانهتمّ له ، فهو إصلاح المرء ما ينبغي أن يصلحه من أمر نفسه .

وعناصر السعادة قليلة وأسبابها كامنة في داخل النفس ، وهي أرسخ ما تكون إذا قامت على حُب الخير ونقاء السريرة . ولن تجد أحداً أدرك السعادة إلا الذي اتخذ لنفسه رأياً في الحياة يقوم على أساس من الأخلاق . واعلم أن الأثرة أعدى أعداء السعادة ، وأن المرء لا يستطيع أن يجعل غيره سعيداً حتى يكون هو سعيداً في نفسه . والسعادة صِنْو الهدوء ، فقلما تجد لها في غمرة الحياة الصاخبة وجوداً يدوم ، وهي أقرب إليك إذا التمستها في ساعات العزلة والتأمل . وهي لا تشترى بمال ، والمال قليل الجدوى في إدراكها .

ولن تجد امرءًا سعيداً إلا امرءًا قد رضي عن نفسه بعض الرضى ، فالبحث عن الطمأنينة والسكينة ينبغي أن يبدأ بفحص النفس ومعرفة ما فيها . وإذا فعلت ذلك ، فلن تجد دائماً ما يرضيك . فما أكثر ما كان ينبغي أن تنجزه ، وما أقل ما أنجزت ! بيد أن الفحص الدقيق هو الذي يفضي بك إلى استكشاف الخصال التي تجعلك رجلا متميزاً متفرداً ، والتي لا بُدّ من أن تنميها حتى ترضى عن نفسك .

قال وليم هنري تشاننج الذي عاش في أواسط القرن الماضي :

« السعادة هي أن تعيش قانعاً بالقليل ، وأن تجعل بغيتك الأناقة لا الترف ؛ ورقّة الشمائل لا العرف الذي تواضع الناس عليه؛ وأن تكون جليلا في نفسك لا موقراً عند الناس، وأن تكون ميسور الحال لا من أهل الثراء ؛ وأن تكون دؤوباً على الدرس هادىء التفكير حلو الحديث صريحاً فيما تأتي وما تذر ؛ وأن تفتح قلبك لما تحدثك به النجوم والطيور ، والأطفال والحكماء ؛ وأن تصبر على ما تلقاه بشوشاً شجاعا ، متريثاً أحياناً غير متعجل أبداً ــ وقصارى القول هو أن تفسح للمعاني السامية حتى تكشف عن نفسها » .

واعلم أنك لن تجد حكومة تصنع لك كل ذلك ، فاصنعه أنت لنفسك .

علموا أولادكم الحياة

العلم الناقص شر .

انتفخت أوداجي زهواً بالوسام الذى نلته في المدرسة لأنى أحسن قارىء ، فقلت لمربيتي العجوز : « دعينا نرى هل تحسنين القراءة كما أحسنها ! »

فتناولت كتابي ونظرت إليه متمحصة وأخيراً تمتمت : « الحقيقة هى أنى لا أعرف القراءة . »

فدهشت وأسرعت إلى أبى فى المكتبة وقلت : « إن مربيتي لا تعرف كيف تقرأ ، وأنا الصبي الصغير ، قد فزت بوسام على القراءة ، وبودى لو أعرف بماذا تشعر إذ تنظر إلى كتاب لا تستطيع أن تقرأه ؟ »

فتناول أبى فى هدوء كتاباً من فوق رف ثم فتحه وقال : « مثل هذا ؟ »

وكان الكتاب باللغة الصينية !

وأنا لا أزال إلى الآن كلما شعرت بنفسى تنازعنى أن أزهى أو أتمدح بشىء ، أتذكر أنه مازال على أن أتعلم كثيراً ، وأقول لنفسى : « لا تنس أنك لا تستطيع أن تقرأ اللغة الصينية ! » [ج . ا . كاراسكو ، المكسيك]

الزهر كغيره :

رأيت فى حديقة جدتى كم زهرة بدا لى أنه يحتاج إلى زمن طويل حتى يتفتح ، فنفد صبرى واشتهيت أن أرى ألوانها وجمالها . وخطر لى أن نصنع شيئاً وشاورت جدتى ، فلما قالت لى افتح أوراقها فرحت ، ولكنى بعد أن فتحت الأوراق لم يبق هناك زهرة زهراء كالتى كنت أتصورها ، فقد عصفت بجمالها ، وذوت الزهرة وماتت . ثم بينت لى جدتى أن هذا شأن كل شىء — فعلينا أن ندع كل شىء يتفتح على طريقته وفى أوانه . [دوروثى ا . منك]

تشعب السبل :

كنت أنا وإخوتى الصغار نتشاجر ونتجادل ونحن أطفال ، وكان كل منا يذهب مذهب العناد فلا يلين ، ويأبى إلا أن يفعل ما يريد .

فاستصحبنا أبى يوماً إلى محطة السكة الحديدية لنرى قطار الركاب الذاهب شرقاً يدخل المحطة . وفى هذه اللحظة سمعنا صفارة القطار الذاهب غرباً إنذاراً بقيامه .

فقال أبى : « قطاران يحاولان أن يمضيا فى اتجاهين مختلفين على شريط واحد . فماذا تظنون أنه سيحدث ؟ »

فاتسعت عيوننا من رهبة الاصطدام الذي

خطر لنا أننا سنراه . وبينما كنا ننتظر ، إذا بقطار الغرب يميل إلى سكة متشعبة من الخط الرئيسى . فمر القطار الآخر بسلام .

فقال أبى : « إن الناس كالقطر . ونحن جميعاً نحاول أن نسير فى اتجاهات مختلفة على طريق واحد ، فلا بد أن تحـــدث اصطدامات إذا لم نسلك الشُّعَب المتفرعة من الطريق الأعظم ، وعندنا كثير منها : الصبر ، والحب الأخوى ، والتسامح ، والعقل . وأخلق بالأطفال والكبار ، بل بالأمم أيضاً ، أن يكونوا أطيب معاشرة إذا عنوا بأن يكثروا من سلوك سبل الحياة المتشعبة » . [المسز ف . ج . ميلر]

لكل امرىء ما يحب :

كان قرب بيتنا مطعم متداع يديره إيطالى كان قد أجهد نفسه فى حفر الخنادق ليقتصد مالا كافياً للاستقلال بعمل ، وكان تونى هذا يمر ببيتنا ليلة بعد ليلة ، ويروح يصف لأبى مطعمه ومبلغ جماله ، فيوافقه أبى . ففى ذات ليلة قلت لأبى بعد أن انصرف تونى: « ياأبى إنك تعلم أن هذا المطعم شىء قديم رَثٌّ ، فلماذا توافق تونى حين يقول إنه بديع؟ »

فدخن أبى قليـــلا ثم قال : « يا بنيّتى لاتفجعى أحداً فيما يحبُّ ! » .

[مارسيلا داير]

سلة الثرثرة :

كنا أسرة فيها ستة أطفال ، وكثيراً ما كان بعضنا يضايق بعضا ، فنسخط أبى . فأقبل يوماً ومعه ربطة ، وقال : «قد جئت لكل منكم بسلة . فإذا أراد أحدكم أن يقص قصة ، فليكتبها أولا وليضعها فى سلته . فإذا امتلأت السلة فليراجع ما كتب ولينظر أيها يستحق البقاء » .

فبدا لنا فى أول الأمر أن الفكرة مضحكة ، على أنا سرعان ماتعلمنا أن نكتم مانشكو منه — ثم لانلبث أن ننساه . وقد قال لنا أبى : « لتكن هذه السلة رمزاً ، فلا تنقلوا من المدرسة حكايات تؤذى أحداً ولا ترووا ماتلغط به الألسنة فى المكتب أومكان العمل . ومتى خلت السلة ، ففكروا هل يستحق الأمر أن تملأ مرة أخرى » .

[ألما أندرسون]

السعادة الحقة :

حدث ذات يوم وأنا فى الحادية عشرة أن عدت إلى البيت أبكى لأنى أُعطيت دوراً صغيراً فى برنامج للأطفال يؤدَّى فى الحفلة ، على حين أُعطى زميل لى الدور الرئيسى . فأخرجت أمى ساعتها فى هدوء ودفعتها فى كفى ، وسألتنى : « ماذا ترى ؟ » .

فقلت : « غلاف من الذهب ، ووجه وعقارب » .

ففتحت ظهر الغلاف وكررت سؤالها ، فرأيت عجلات دقيقة وتروساً ، فقالت أمي : « إن هذه الساعة لاخير فيها بغير هذه الأجزاء جميعاً ـ حتى التي لاتستطيع رؤيتها » ،

وقد جعلني درسها الصغير هذا ، أسعد طول حياتي. فأدركت أن الواجبات الصغيرة التي يجب أن يؤديها كل امرىء ، جوهرية ولو لم تظفر بتصفيق الناس .

[المسز فلويد كروك]

أصب هدفك برمية واحدة :

وافق أبي على أن أشترى أول بندقية لي في حياتي، فقضيت أياماً أدرس البيانات المذكورة في الكتب وأخيراً اخترت بندقية آلية تطلق ١٥ طلقة دون أن تحتاج إلى حشو جديد . وذهبت مسرعاً إلى « بن » وهو رجل يعمل عندنا لأعرض عليه اختياري وأنال موافقته.

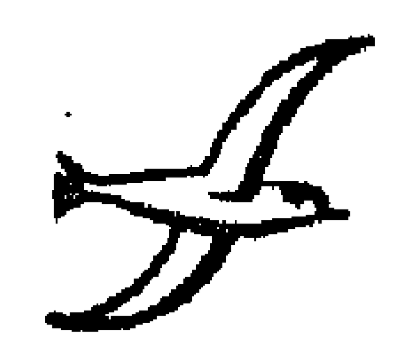
فنظر إلى صورة البندقية ملياً ثم التفت إلي بابتسامته العذبة ، وقال : « لو كنت مكانك لما اخترتها » .

فسألته : « لمَ لا ؟ » وحاولت أن أخفي خيبة أملي .

فقال : « بندقية ذات طلقة واحدة أحسن من هذه ، فإنك تقول لنفسك في كل مرة إذ تسدّدها وتنظر إلى ذبابتها : إذا لم أصب الهدف الآن فقد لاتتاح لي فرصة أخرى . أما بالبندقية الآلية فإنك تكون شاعراً أن طلقة واحدة ليست لها قيمة كبيرة لأن عندك طلقات تليها ، فلا تبذل عندئذ قصارى جهدك » .

وكان منطق بن سليماً . وكثيراً ما فكرت بعد ذلك في كلماته ، فيما أزاول من عمل وفي الحياة الاجتماعية ، فصرت أحرص على الإصابة بالطلقة الأولى » .

[وليم والش]

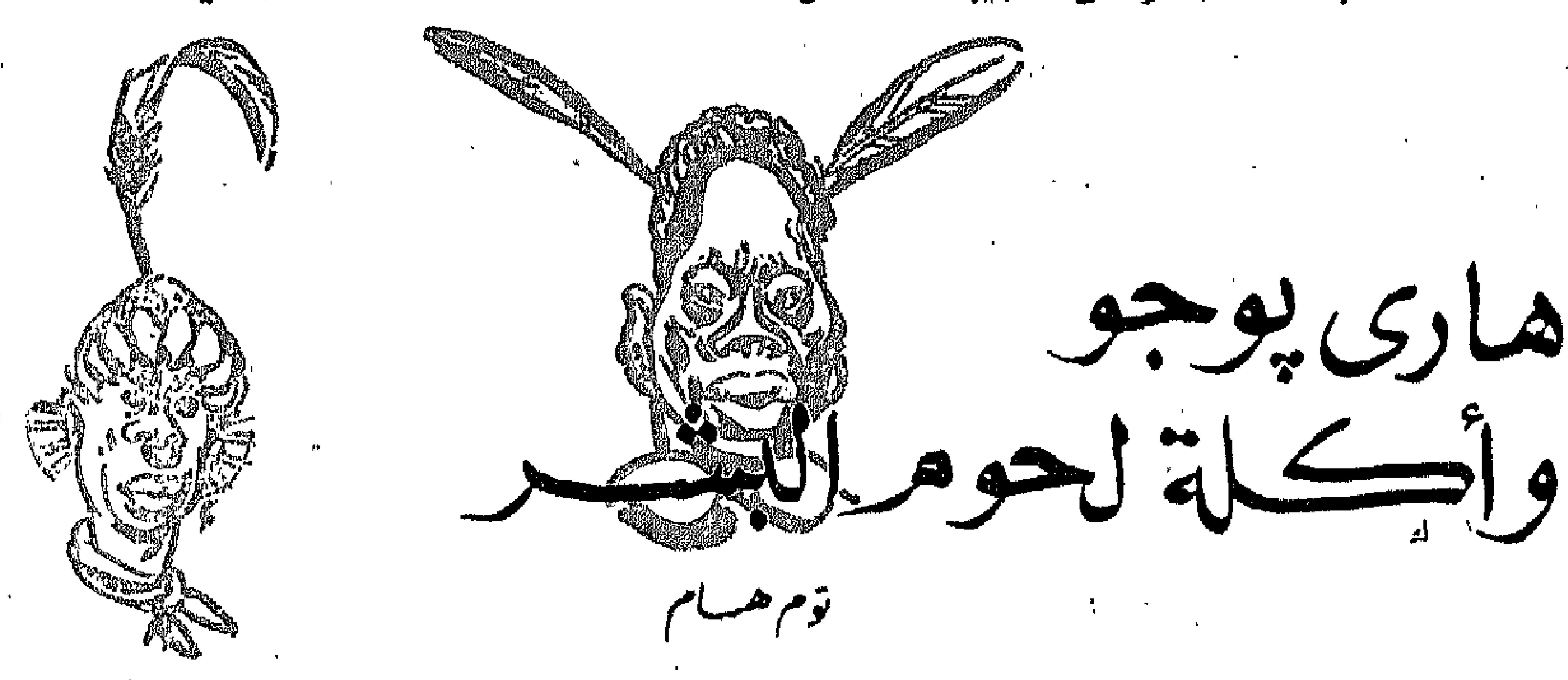


إذا كان المرء ساخطاً على نفسه ، صار سخطه على النـــاس أشدّ . [هنري فردريك اميل]

من عادة المرء إذا وجد ساعةَ فراغٍ أن يقضيها عند من لايجد ساعةً من فراغٍ . [صحيفة «إنديانا بوليس نيوز»]

سيرة تشارلز فوكس العجيبة الذى ظل ٤٥ عاماً معلماً وصديقاً لأهالى ميلانيزيا

هارى پوجو وآكلة لحوم البشر



توم هسام

سمعت أول ما سمعت بهارى پوجو ذات يوم فى عام ١٩٤٤ ، حين ألقت مدمرتنا مراسيها عند جزيرة صغيرة من جزائر سليمان . فذهبت إليه فى كوخه البسيط على حافة الغابة ، فرأيت من باب مفتوح رجلا صغير الجسم معروقه ، ضاوى الوجه ، وكانت ثيابه سراويل قصيراً مما يلبس الجنود الأستراليون وحذاءين من أحذية الجيش ، تكشف عما أكلت الحمى من لحمه . فرفع إلىّ عينيه من فوق نظارة ثقيلة ذات خيوط بدلا من السلك وقال : « ادخل يا بنى . لقد كنت مشغولا بتأليف معجمى » .

وكانت الغرفة الوحيدة فى حالة رائعة من الاضطراب ، وكان فيها من الأثاث سرير مكسوّ بقماش القلوع ، وكرسيان قديمان ومنضدة متداعية عليها أكوام من مجلات قديمة من أستراليا ونيوزيلندة ، وقفص عليه رقعة شطرنج معفرة ، وقد لاحظت أنه ينقصها فرس أسود ، وأنه اعتاض منه سدادة زجاجة بيرة .

> « قد يلتقى المرء بأناس من الغرابة بمكان » .
> — رجل الشهر —

وحدثنى بصوته الهادىء اللين عن ٤٥ سنة قضاها بين الأهالى يأكل مثلهم نبات الأرض والجنادب وجوز الهند المسلوق — نحو نصف قرن من الكفاح مع الجهل وعادة أكل اللحم البشرى والمرض .

وهو معلم ولغوى وصاحب معجمات ، وصديق لأهالى ميلانيزيا السود — كل هذا وأكثر منه فى إهاب هذا الرجل المدهش الدقيق الجسم الذى يسميه الأهالى هارى پوجو ، واسمه الحقيقى تشارلز إليوت فوكس ، وهو يحمل درجتى أستاذ

فى الآداب ودكتور فى الأدب من جامعة نيوزيلندة .

وقد نبذ تشارلز هذا ، وهو شاب، مَناعِمَ الحضارة ، وأخذ على نفسه العهد فى حبّ الزهد والفقر ، وركب البحر إلى بعض جزر المحيط الهادى التى كانت مجهولة مستوحشة ، يحمل إليها رسالة الإخاء والصداقة .

وأهل ميلانيزيا قوم سواعدهم مفتولة ووجوههم متجهمة ، وهم جميعاً تقريباً يتخذون الوشم على وجوههم وصدورهم ، ويزينون أجسادهم بعقود من أسنان الكلاب أو أسنان البشر ، ويصبغون رؤوسهم الضخمة وشعرها الجعد بلون أحمر أدكن يصنعونه من دهان يحصلون عليه بالمبادلة من البحارة . فإذا لقيت أحداً منهم عند منعطف طريق فى الأدغال ، ورأيت شعره الكثّ أحمر مضطرماً ، وفمه يقطر منه عصير الجوز الأحمر ، فإن الدم خليق أن يجمد فى عروقك .

وقد استمال تشارلز فوكس أهل ميلانيزيا إليه بأن عاش كأنه منهم ، وحمله أصدقاؤه أهالى إحدى الجزر فى زورق وأنزلوه وحده وبغير سلاح فى ظلام الليل فى جزيرة سان كريستوبال التى ظلت زمنا طويلا معقل صيادى رؤوس البشر ، ثمّ رحلوا بسرعة . وكان الرجل الذى يجترىء فى تلك الأيام على النزول فى تلك الجزيرة خليقاً أن يصبح مرشحاً لمتحف الجماجم ! وحمل فوكس حقيبة صغيرة فيها أدوية وشىء من الطعام ، ومشى فى بساطة يبتسم لأفظع قبيلة من أكلة لحوم البشر فى جزر المحيط الهادى.

ويكفى أن تنظر إلى الرجل لتدرك كيف استطاع أن ينجو وينجح ، فإن وجهه ينضح بطيب النفس والودة والعطف العميق . على أن له هو تعليلا آخر ، فهو يقول ضاحكا : « لم أكن إلا كومة من العظام ، فلم يروا على بدنى لحماً يغريهم » .

وصار هذا الرجل الغريب ذو البشرة البيضاء أعجوبة فى القرية فى بداية الأمر ، ثم ألفوه وكادوا يدللونه ، وساعده رجل مسن منهم على بناء كوخ له ، وتقبلوه على الأيام .

ولم يكن هذا الشاب طبيباً ، ولكنه كان قد تزوّد ببعض المعارف عن أمراض المناطق الحارة ، فكان يجلس إلى جانب المرضى فى تواضع ويضع يده الباردة على رءوسهم المحمومة ، ويعطيهم من الأدوية القليلة التى جاء بها معه . فيستجيب له المرضى ، ويستعيدون الصحة ويصغون إليه بقلوبهم .

ومضى وقت طويل قبل أن يحاول تعليمهم ، فقد كان عليه أن يتعلم اللهجات

الخاصة بكل جزيرة ، وأن يكسب احترام السحرة الذين يعالجون التطبيب بأن يبدو لهم حليفاً لامنافساً .

وكان مؤدى كل هذا أن ينام إلى جانب المستوحشين العراة على حصير خشن من الحشائش مطروح على أقذار الأرض فى أكواخهم المصنوعة من الحشائش ، ومؤداه أيضاً أن يساعدهم على تعهد البطاطا فى أرضهم فى الأدغال ، وأن يأكل الديدان والجُعْلان والبصيلات ، ويعيش وسط الأقذار ، ليريهم — على مهل وبحذق — كيف يحيون حياة أنظف وأقل أمراضاً . ومؤداه أيضاً أن يشهد حفلات رقص القبائل والشعائر الوثنية التى يتقربون بها إلى أرباب شرسة حادة الغيرة ، إلى أن يتسنى له على الأقل أن يشرع فى هدايتهم على مهل إلى معرفة ربّ الأرباب .

واستطاع فوكس ببطء ، وبالقدوة ، أن يرشدهم إلى حياة أطيب ، وفرش أرض كوخه بالخيزران، فقلده الأهالى، حتى صاروا يفعلون ذلك بكل كوخ . وكان يغتسل كثيراً، فحاكوه فى ذلك دون أن يدروا السبب . وقلت أمراض الجلد، وابتكر ألواناً جديدة من الطعام على سبيل التنويع .

وقد أصيب فوكس بالملاريا ١٠٤ مرة وأصيب بجميع أمراض الجلد الاستوائية التى تتعرض لها البشرة السوداء أو البيضاء ، وكان يتعمد التعرض للإصابة ببعض الأدواء وهو يقول : « كيف أبذل معونتى لرجل مريض إذا كنت لاأعرف ماهو فيه من ألم ؟ وأنا بمعالجتى الأمراض فى بدنى أستطيع أن أجرب حتى أهتدى إلى العلاج » .

وهكذا ترك فوكس ذبابة الأدغال تحط على جرح فى ساقه ، وهو يعرف أن هذا يسبب له خراجاً — بثرة عظيمة تغور إلى العظم — وهكذا تعمد أن يعرّى ذراعه للسعة إحدى الحشرات الخبيثة التى يبلغ طولها ١٨ بوصة — ولكنه لم يجد لهذا طِبّاً . ويعترف بهذا فيقول: « أنا الآن إذا عضتنى هذه الحشرة أبادر بالعودة إلى كوخ بأسرع ما أستطيع ، لأنى أعرف أن أمامى ١٨ ساعة من الآلام المبرحة ، فأدير الساعة وأعدّ ثمانى عشرة لفافة وأرقد ، وأدخن لفافة فى كل ساعة حتى تنقضى المحنة وتعود الذراع أو الساق إلى الحجم الطبيعى »

وقد اشتق له اسمه — هارى يوجو — من وعكاته العديدة من الحمى ، ومعناه « الذى ينطرح على وجهه » ، وقد أطلقه عليه « أبناؤه » السود بعد أن رأوه مراراً منطرحاً على الطريق فى الأدغال ، وقد فقد الوعى أو نالت منه الملاريا .

وقد رأى فى السحر ما أعياه تعليله . وقد

حدثنا عن « رجل مال » رآه يقف عارياً على الساحل أمام نار ويقذف بصدف « النقد » من يديه الفارغتين .

ورأى قبيلة سان كريستوبال وهى تحرق جثة شيخها فوق كوم من الحطب ، فأكلت النار جوف الجثة وأتت على مافيه دون أن تمس الجلد بسوء !

ولن ينسى حادثة أخرى غريبة ، إذ كان يجدف فوق « بحيرة الموتى » حيث يدفن الأهالى موتاهم فيقيدونهم ويجلسونهم ، ويربطون الأثقال إلى الجثث ويضعونها فى مثل حلقة مجلس فى قرار البركة الصافى المحفوف بالمرجان . ويذهب أهل هذه الجزيرة مرة فى السنة فى زوارقهم المحفورة بدقة ليزوروا موتاهم . وهو يقول إنك إذا نظرت إلى هؤلاء الموتى تحت الماء خيل إليك أنهم يهتزون بل أنهم يسيرون ويتحدثون . وهو لايدرى كيف تبقى الجثث مدة طويلة قبل أن تتحلل ، ولا ماذا يمنع السمك أن يأكلها

وليس هارى بوجو بالمصلح المتشدد ، فهو لايرى شراً فى أن تخرج النسوة وليس عليهن إلا مايستر العورة ، أو أن يخرجن عراة، ويقول إنه كلما كثرت الثياب كثرت أمراض الجلد . ويبتسم إذ يروى لك قصة النسوة اللواتى أعطين قمصاناً من قمصان الجيش لستر صدورهن فخرقن فيها خرقين كبيرين ليجعلنها أخف وطأة وأقل حبساً وهو يعرف أن لرجال القبائل وسائلهم التى تمنع تفشى الزنا ، وإن كانت وسائل اليوم أقل عنفاً مما كانت قديماً حين كان الزانيات يقتلن طعناً بالحراب . على أنه حاول أن يحمل القوم على الإقلاع عن إعارة الزوجة لصديق أو ضيف ، وكان ذلك يعد من مقتضيات الضيافة .

وقد رأى هارى بوجو فى ٤٥ عاما أكل لحوم البشر ينقرض تقريباً ، على أنه عنى بأن يحتفظ أهل ميلانيزيا بعاداتهم الصالحة ، مثل طريقتهم فى القضاء على الشقاق داخل القبيلة . فإذا تشاجر رجلان فإنه يكون على الغالب أن يزور المغلوب قبل غروب الشمس ويؤدى إليه مبلغاً من المال (صدفات) ليعلن إليه بذلك أنه لا يضمر له شراً ، ويبقى المال محفوظاً حتى إذا بلغ ابن المغلوب مبالغ الرجال ، ردّه إلى ابن الواهب ، ثم تقيم الأسرتان وليمة كبيرة للدلالة على أن الأمر انتهى .

وعلى ذكر ذلك أقول إن الأصداف التى تستعمل للنقد ، تصلح لشراء ثلاثة أشياء ليس إلا — زوجة أو خنزير أو زورق . على ان خطباء القبيلة ينتفعون بها فى وجه آخر ، فبعد أن يلقى أحدهم خطبة طويلة ،

يهدى إلى كل واحد ممن أحسنوا الإصغاء مبلغاً من هذا المال ، جزاء له على حسن الإصغاء . ويقول هارى بوجو إنها عادة جديرة بأن تحتذى .

ولم ينقض عجب هارى بوجو من قدرة الأهالى على أن يعرف بعضهم بعضاً من آثار أقدامهم، ويقول إنه ليس بالنادر أن يستطيع رجل تتبع أثر رجل آخر فى دائرة يبلغ نصف قطرها عدة أميال ، حتى أن الأطفال حين يلعبون ما يشبه لعبة « الاستخفاء » فى الليل ، يعرفون أسراهم من آثار أقدامهم بأسرع مما يعرفونهم من وجوههم المستورة .

وقد تعلم هارى بوجو لغة الأهالى بالسماع ثم كتبها مستعيناً بأصواتها بحروف إنجليزية، وعلم لفيفاً من الشباب القراءة والكتابة ، وأنشأ فصولا فى القرى متخذاً من هؤلاء الشبان معلمين . وقد كان ذلك عملا بطيئاً ، ولكن كثيرين من الأهالى يستطيعون الآن أن يكتبوا أسماءهم ، وقد ذهب بعضهم إلى المدارس فى تاهيتى وغيرها . وفى سنة ١٩٢٤ أصدر بعض دور النشر فى لندن كتابه « على عتبة المحيط الهادى » ، وهو دراسة علمية للقبائل المختلفة فى جزر سلمان حيث عاش وعمل .

ويزور هارى بوجو كل يوم «أولاده» فى قرى جزيرتين مجاورتين ليعلم ويعالج ، ولم يفارق هذه الجزر إلا أقل من ست مرات فى خمسة وأربعين عاما، ولم يغادرها لما غزاها اليابانيون ، وكان الأهالى ينقلونه سراً من جزيرة إلى جزيرة ومن قرية إلى قرية ، على حين كان اليابانيون يطلبونه عبثاً ليستخبروه .

ويزوره بعض أصدقائه مرة أو مرتين فى العام حاملين إليه الطباق وبعض الحاجات ولكن هارى بوجو يعيش فى الأغلب على ما فى الغابات . وعنده الجوز والباباز ، ونبات فاكهة الخبز ، والجنادب المقليّة ، والنبات ، فلا داعى للإتيان بمؤونة من الخارج ، ولا حاجة به إلى مال .

وهو الآن فى الثامنة والستين من عمره ، ولا رغبة له فى العودة إلى بنى جنسه ، وغايته أن يقضى مغرب حياته بين أهل الجزر يعلم جاهلهم ويعالج مريضهم .

٥٥٥٥٥٥٥٥٥٥

خطيب ساهر

أعدّ أحد النوّاب خطبة ليلقيها فى حفل عام ، وسجلها على قرص وأداره لكى يسمع صوته وهو يلقيها ، فغلبه النعاس قبل أن تنتهى . [مجلة « تايم »]

آخر الأنباء عن مبيد الحشرات العجيب :

ما نفـــع د.د.ت ؟



أنتونى ستاندن

مختصرة من مجلة « ليف »

لم تزل الصحف تتداول مبيد الحشرات د. د. ت ، بالمدح والقدح منـذ الساعة التي أذيع فيها نبأه . فالمقالات الأولى التي نشرت كانت تشيد بنفعه ، وكانت عنواناتها : « أفضـل مبيد للقمل » أو « سحقاً للحشرات » ، أما المقالات التي تلتها فـكانت أميل إلى الحذر وصارت عنواناتها : « كفاح الحشرات قد يؤذى » أو « هذا د . د . ت فـكن حذراً » . وقد آن الأوان لنعرف الحقيقة ، فما هو نفع د. د. ت ؟

لننظر فى عيوبه أولا : فأهمّ ما يؤخذ عليه أنه أولا : سامّ للإنسان ، وثانياً : يقتل النافع من الحشرات كما يقتل الضارّ منها ، وثالثاً : ثمة حشرات — مؤذية — لا تتأثر به .

إن مركّب د . د . ت سامّ إذا أنت أكلته ، غير أن معظم مبيدات الحشرات سامة أيضاً . والعلاج سهل : امتنع عن أكلها . والمرء قد يصيبـه أذى إذا هو استنشق رذاذاً أو ذروراً يحوى د. د. ت، ولـكن الخطر يسير إذا اتخذت الحيطة المألوفة . وقد يمتصّ الجلد بعض مركبات د. د. ت ، ولـكن مسحوقه الجاف ليس من هذه المركبات ، ولا رذاذه المحلول فى الماء . أما ما ينبغى أن تخشاه فهو رذاذه المحلول فى الجاز . ولـكن خطر هذا المحلول لا يخشى إلا إذا لامس رقعة واسـعة من الجلد مدة طويلة ، وهـذا يسهل اجتنابه بالاستحمام . ويرى الدكتور بول أ . نيل أحد علماء معهد الصحة القومى ، أنه لم يصب أحد فى الولايات المتحدة كلها إصابة تسمم حقيقى بمركب د. د. ت.

يقابل هـذا أن د. د. ت ، سمّ زعاف لـكثير من الحشرات . فإذا وقفت بعوضة على مقدار منه يبلغ جزءاً من ألف مليون مليون جزء من الأوقية ، امتصت بأقدامها منه ما يكفى للقضاء عليها بعد بضع ساعات . ومما يؤسف له أن د. د. ت يفتك أحياناً بأحياء لا يراد الفتك بها . فإذا رش فى الريف رشاً كثيفاً لـكى يفتك بالحشرات تراه يفتك بالسمك والضفادع والسلاحف

أيضـاً ، فإما أن يقتلها ، وإما أن يقتل الحشرات التى تتغذى بها . وقد خافت جمعيات حماية الطيور أن يفتك بالطيور ، من جراء أكلها حشرات قتلها د. د. ت ، وهـذا ممكن ولـكنه غير محتمل ، إلا إذا رشّت منه مقادير كبيرة لاداعى لها .

وفى المستطاع الآن ، على ما يلوح ، أن تستعمل مقادير من د. د . ت فى بعض الأحوال ، فتكون كافيـة لقتل يرقات البعوض فى البرك التى تتوالد فيها ، دون أن تفتك بسائر الأحياء فيها . أما الأمل الأول الذى علقناه على د. د. ت فى رش الريف كله به للقضاء على جميع الحشرات فيه قضاء الأبد ، فقد تبدّد . ولو كان فى الوسع تطبيق هـذا العلاج ، لـكان خليقاً أن يقلب ميزان الطبيعة فيورثنا مشكلة لا قبل لنا بها .

ومما يؤسف له أن بعض الحشرات لايتأثر كثيراً بمركب د. د. ت ، ولو عولج بمقدار كبير منه ، ومنها الدودة التى تصيب لوز القطن ، وقد تبلغ خسارة أمريكا من جراء فتكها ٢٥ مليون جنيه كلّ سنة . ولاجدوى منه أيضاً فى كفاح خنافس الفول المكسيكية . وقد ينفع فى بعض آفات النبات ، ولـكن رذاذ النيكوتين المعروف أنفع . وقد استعمل فى علاج بعض آفات الطباق والـكرنب والطماطم والدواجن فلم يجد .

بيد أن هناك طائفة كبيرة من حشرات الزرع والشجر تتأثر به فيقتلها ، وهـذا علاوة على فتـكه بالحشرات التى تنقل الملاريا والدنج والدوسنطاريا وغيرهامن الأمراض.

كان أول ظفر تمّ لمركب د. د. ت . هو وقاية القوات المسـلحة من أمراض تنقلها الحشرات ، وهى فى الغالب أفتك من رصاص الأعداء . فذرٌّ مسحوق يحتوى على ١٠ ٪ من مركب د. د. ت ووضعه فى ثياب الجند ، كان كافياً لوقايتهم وقاية تامة من القمل ، فقلت إصابات التيفوس بينهم حتى صارت لاتعدُّ خطراً مذكوراً . ففى المحيط الهـادى كان بعوض الملاريا وذباب المناطق الحارّة ، فريسة هينة على د. د. ت ، وقد ذُرَّ مسحوقه من الطـائرات على جزائر سيبان ، وبيليليو ، وإيوجيما وبعض جزائر الفلبين وأوكيناوة ، فأحالها منتجعات للصحة بعد أن كانت أرضاً وبيئة . والقول الشائع أنه فتك بكل حشرة فى هذه الجزائر ، ليس صحيحاً ، وكان لابد من ذرّه عليها مراراً بعد ذلك على فترات .

أما فى زمن السلم فلمركب د. د. ت مستقبل باهر . ومن غرائبه أن انتفاع الماشـية به سوف يساوى انتفاع الناس .

وسيؤخذ مقدارٌ كبير مما يصنع منهُ إلى مصانع الألبان ، فيرشُّ على الجدران ، فتجنّب المباني نقمة الذباب تجنيباً كاملا أو يكاد . وسوف يُذرُّ على الماشية نفسها فيقيها شرَّ القمل وذباب الإسطبل . وقد ثبت أن د . د . ت ينقص عدد الذباب من ٤٠٠٠ ذبابة إلى ذبابتين أو ثلاث لكل حيوان ، فأسفر ذلك عن زيادة وزن البقرة ومقدار ماتدرُّهُ من اللبن .

وعلماء الملاريا يجدون فى د . د . ت ما يهزُّهم نشوة وطرباً . ففى أنحاء العالم تجد ملايين من المصابين بها كل سنة ، ويموت ألوف منهم . أما اليوم ففى وسع كل جماعة من السكان ، إذا شاءت ، أن تخفض عدد الإصابات باستعمال د . د . ت فى المدن . أما الريف فله شأن آخر ، لأن سعة الأرض تحول دون العلاج المركز المجدى بهذه المادة .

أما فى الزراعة فسيكون نفع د. د. ت. نفعاً كبيراً بغير أن يحلَّ محلَّ سائر مبيدات الحشرات الشائعة . وعلى الرغم من وجود مركبات كثيرة تحتوى د. د. ت ، فليس لبستانى أن يتوقع نجاحها نجاحاً تاماً فى جميع الأحوال ، فلايزال الأمر يحتاج إلى بحث كثير ، حتى يعرف العلماء خير الوسائل للانتفاع بمادة د . د . ت فى كفاح كلّ آفة بعينها من الحشرات . وهو مركب نافع فى علاج كثير من الخضر ، ولاسيما البطاطس ومعظم الأزهار . وهو يسمّ جماعة النحل ، ولكنهُ أقلُّ سماً لها من المبيدات الأخرى ، وعسى أن يكون نعمة فى نظر النحّال .

وسيكون مركب د . د . ت أجدى نفعاً على البيت منه على الحديقة . وأثره العجيب لايقتصر على الذباب والبعوض ، بل قد يستعمل ذَروراً أو رذاذاً محلولاً فى الماء لتطهير الكلاب من البراغيث والقراد . (ولا يحسن أن يرش على القطط ، فقد تأكل بعضه حين تلعق أبدانها) . وإذا رششت جدران البيت أو حواجز السلك أو المقاعد فى الحديقة برذاذ محلول فى الجاز ظلت قادرة على قتل الذباب والبعوض بضعة أشهر .

أما نجاحه فى كفاح حشرات المنزل سوى الذباب والبعوض فمتفاوت . إنه يجدى فى كفاح الصراصير ، ولكنه ليس أجدى من فلورور الصوديوم الشائع . وينصح الذين يصنعونه بالانتفاع به فى كفاح عث الثياب . وهم يقولون إن رش الثياب به رشاً وافياً يجنب الثياب هذا العث ، ويدوم أثره بعد غسل الثياب مراراً ، ولكنه لا يدوم بعد تنظيفها بأسلوب التنظيف الجاف . أما النمل فقد يجدى مركب

د. د. ت فى كفاحه وقد لايجدى ، فهذا رهن بنوع النمل . ويبدو أن عث السجاد عصىّ على د. د. ت ، أما البق فتقول وزارة الزراعة : « إن د. د. ت. هو الحلّ الحاسم لمشكلة بق الفرش » .

وقدأخذ الكيميائيون يصنعون مركبات جديدة أساسها جزىء د. د. ت بعد تعديله، ولكلّ منها جدوى خاصة فى كفاح هـذه الحشرة أو تلك . وجملة القول هو أن الحشرات ستكون هى الخاسرة فى هذه الحرب.

أما الناس فقد رُدُّوا بعد التجربة إلى التقدير السليم ، وعادوا لايبالغون فى قدرة د. د. ت. وهذا خير ، وليس ثمة سوى نصيحة واحدة تسدى إلى كلّ مستهلك : أن يقرأ الرقيم الملصق على كل علبة أو صفيحة ، ويتبع ماجاء فيه إذا كان من مصنع معروف بالدقة . فقد أقامت القوات المسلحة الدليل على أن استعمال د. د. ت . نافع ومأمون المغبّة ، فلمَ لايستطيع الناس أن يجنوا منه نفعه دون أن يتعرّضوا لخطره ؟

نعم ، نحن معشر النساء من أكثر خلق الله ثرثرة ، ولكننا عندئذ لانبوح بنصف الذى نعرفه ونكتمه . [ليدى أستور]

الديك الفصيح . . . !

كانت زوجة أحد المحامين فى هوليوود صديقة للمثلة إنجريد برجمان . فلما اعترضت مس برجمان معضلة خاصة بالضرائب على دخلها ، جاءت بها صديقتها إلى مكتب زوجها المحامى . فلما انصرفتا قال المحامى لفرّاشه الفتى : « أتعرف من هى تلك السيدة الفاتنة التى كانت مع زوجتى ؟ »

فقال : « لا يا سيدى . من هى ؟ »

فقال المحامى : « هى إنجريد برجمان يا بنىّ »

فقال الفتى : « وىْ ! وأيتهما كانت برجمان ؟ »

فنظر المحامى فى الفتى وهو مستغرق فى التفكير ثم قال : « خذ هذا الريال يا بنىّ فقد كسبته بفطنتك . ولستُ أعطيك الريال لأننى أظنّ أنك ستحتاج إليه ، وإنما لأطلب إليك أن تذكر مكتبى هذا فتعهد إليه ، ببعض العمل بعد سنة أو سنتين ، يوم تصير رجلا غنياً ذائع الصيت » .



كيف اهتدى باحث فى عنفوان الشباب إلى قمح عصى على الآفات ، فكفل لإخوانه من البشر طعاماً وفيراً .

ساحر سنابل القمح

ج . د . راتكليف
مختصرة من "مجلة الحقل"

هذا إدجر س . مكفدن ، رجل هادىء الطبع ضئيل الجسم لا يكاد يزيد طولهُ على خمس أقدام وبوصتين ، عيناهُ وديعتان زرقاوان ، ورأسهُ أصلع يحفهُ به شعرٌ جعد وخطهُ الشيب . وقلَّ من الناس من يعرفهُ ، حتى من أهل القرية التى يقطنها ، ومع ذلك ترى الفلاحين الأمريكيين قد أنقذوا بفضل بحثه ما قيمته مئات الملايين من الريالات، وتجد ٢٥ مليوناً من الناس خارج أمريكا قد نجوا من الهلاك جوعاً ، ولولاهُ لما كانوا أحياء يرزقون .

إن قصة توليدهِ القمح الذى يقاوم الآفات قصة تحرِّك النفوس فى عصر البحث الزراعى . وقد بدأ عملهُ قبل الحرب العالمية الأولى ، وقد أتمَّهُ ولم يكدْ حين اشتدَّت الحاجة إلى ملايين الأطنان من القمح ، تضاف إلى مخزونه خلال الحرب العالمية الثانية . وليس ثمة من ينكر أن حالة موارد الطعام فى العالم هى اليوم سيئة ، ولكن لولا ما أسفر عنهُ بحث مكفدن فى حقول القمح لكانت الحال أسوأ كثيراً .

وولد مكفدن فى مزرعة بولاية ساوث داكوتا سنة ١٨٩١ ، وكان مهدهُ صندوقاً مملوءاً بحبوب القمح ، فقد كان القمح سراً من أسرار الحياة فى نظر أسرتهِ . فإذا أقبل المحصول ظفروا بالطعام الوفير ، وإذا أمحل تعرَّضوا للإفلاس . فكل شيء يُعَدُّ عدوًّا للقمح — كالبَرَدَ والقحط والصقيع البكر ومرض الصدأ وعفن الجذور — كان عدوًّا لأسرة مكفدن ، وحرباً على أمنها .

ويوم كان مكفدن الصغير فى الثالثة عشرة هجم ثورٌ على أبيهِ وآذاهُ أذى بليغاً ، فصار على الولد أن يعنى بزراعة أبيه ، وكانت تبشر بجنى أربعين بوشلا من كلّ فدان . ثم ضربَها مرض الصدأ ، فلما سُلِّط عليها الفطر ذبلت سوق القمح ومالت ، وأما أجنَّة الحبوب التى كانت ممتلئة فقد ضمرت — وإذا المحصول خمسة بوشلات من كلّ فدان .

وأقامت جراثيم المرض الدقيقة المجهرية التى تسبب هـذا المرض فى ولاية تكساس طول فصل الشتاء، ثم حملتها رياح الصيف الحارّة الى الشمال . وفى السنوات التى تشتدّ فيها آفة الصـدأ ، ترى ٦٠٠ ألف من هذه الجراثيم الحمر تنهمر فى يوم واحد ، على ما مساحته قدم مربعة من مزارع داكوتا .

فى سورة هذا الوباء الذى يهلك القمح ، لاحظ مكفدن أن هناك ضرباً من القمح لا تصيبه آفة الصدأ ، وهذا الضرب يعرف باسم « ياروسلاف إمر » ، وقد رأى سوقه قائمة وسط حقول أهلك الصـدأ قمحها . ولـكن هذا القمح القوى الـكثير الألياف ، لا يصلح إلا علفاً للمواشى . ولم يكن بدّ من جرشه أو بله حتى تستسيغه الخنازير ، بيد أنه كان قمحاً لا تنال منه آفة الصدأ .

وقد تذكر مكفدن ما حدث يوم ذهب إلى كلية الولاية فى ساوث داكوتا — بعد أن وفر بالتقتير بضعة ريالات من نفقات الأسرة ، فقال لأحد الأساتذة : « ألا يمكن أن نزاوج بين هذا القمح الذى لا يصلح للأكل ، وقمح آخر جيد يصلح للأكل ، مثل قمح «ماركويس» ، فقد تسفر المزاوجة عن قمح يتصف بقدرة « ياروسلاف إمر » على مقاومة الصدأ ، وبجودة قمح «ماركويس» ووفرة محصـوله ؟ » فقال له الأسـتاذ : « لمَ لا تجرّب ؟ »

كان شيوخ العلماء قد قطعوا بأن هذا العمل مستحيل ، ففى حبة قمح « إمر » ٢٨ صبغيًّا (كروموسوما) وفى حبة قمح الخبز ٤٢ صبغيًّا ، فالمزاوجة بينهما تعقب عَقباً عقيماً لا يستولد . ومن محاسن الاتفاق أن مكفدن كان يجهل خبر هذا الحكم العلمىّ القاطع .

فطلب إلى ربة البيت الذى يسكنه أن تسمح له برقعة صغيرة من الأرض فى فناء دارها ، فوافقت . وفى سـنة ١٩١٦ بذر مكفدن فى هذه الرقعة صفًّا من بذور قمح « إمر » وصفًّا من بذور قمح «ماركويس» . أتتمّ المزاوجة بينهما ؟ هـذا أمر مشكوك فيه ، فقمح « ماركويس» يبكر فى التنوير ، وقمح « إمر » يتأخر فى تنويره ، ولـكن بين فترتى التنوير زمن قصير تجد فيه نوراً فى الضربين جميعاً ، وكان ذلك يوم ٤ يوليو عيد أمريكا القومى .

خرج زملاؤه من الطلبـة إلى نزهة فى الخلاء ، ولـكن مكفدن قبع فى بيته ، فأخذ ملقطاً دقيقاً وأزال به عضوَ الذكر من نوّار قمح « إمر » ، ثم نفض على بقية النوّار لقاحاً من نوّار قمح «ماركويس» ،

ولفّ الرؤوس بورق رقيق ليمنع أى تلقيح لم يصنعه هو بيديه .

وفى الخريف رأى بضع حبوب سقيمة أسفرت عنها المزاوجة التى تمت فى الصيف. وما كان مكفدن يدرى أى سحر من وراثة القمحين قد انطوى فى هذه الحبوب ، ولن يعرف ذلك قبل سنوات من البحث .

ولكن المسألة فى نظره كانت مسألة ملحة . ذلك أن آفة الصدأ فى سنة ١٩١٦ كانت أفدح آفة عرفت ، فقد اجتاحت الضربة منطقة القمح فى الولايات المتحدة ، فأهلكت ما قدر بمئتى مليون بوشل من القمح . ثم انتقلت إلى كندا حيث أبادت قدراً عظيما آخر بلغ مئة مليون بوشل ، وتفاقم عدد الذين أفلسوا من الفلاحين .

وفى ربيع سنة ١٩١٧ بذر مكفدن حفنة الحبوب السقيمة التى جناها فى الخريف السابق ، وجعل يرويها يوماً بعد يوم ، ويتطلع إلى اليوم الذى تنبِّت فيه ، ولكنها أبت أن تنبِّت ، حتى بدا كأنها عقيمة كما قال العلماء . وإذا نبتة واحدة قد أطلت برأسها !

نبتة واحدة ! وعلى هذه النبتة التى أبطلت قول العلماء ، علق مكفدن كلّ رجائه . فنمت ونوّرت وجنى منها مئة حبة سقيمة ، فبذرها فى ربيع سنة ١٩١٨ ، فلما وافى الخريف ، كان مكفدن فى الجيش على ساحل أمريكا الغربى ، فاحتال حتى ظفر بإجازة من أجل جنى محصوله ، ولكنه لم يبين لرؤسائه أن الزراعة لم تتعدّ بضعة صفوف من سوق القمح ، لا يزيد طول أحدها على ١٢ قدماً .

ثم وضعت الحرب أوزارها ، وعاد إلى عمله فى محطة تجارب تابعة لوزارة الزراعة الأمريكية ، ولكن رجال الكونجرس، جن جنونهم لتوفير المال ، فألغوا ما كان مرصداً منه للبحث العلمى فى سنة ١٩٢٠ فعاد مكفدن أدراجه إلى مزرعته .

وليس ثمة وسيلة تمكنك من أن تستعجل عمل التوليد فى النبات . هذه زراعة بين يديك تختار منها النبات الذى تراهُ مبشراً بالخير وتنبذ البقية ، ولا تكاد تحلُّ مشكلة حتى تعتاقك مشكلة أخرى . وعلى هذا كان القمح الذى ولدهُ مكفدن قمحاً جيِّداً إذا نظرت إلى قدرته على مقاومة الصدأ ، ولكن محاصيله كانت عرضة لداء يصيب الجذور ، وكان دقيقها قاتم اللون يضعف إقبال الناس عليه فى عمل الخبز .

فأخذ مكفدن يعالج هذه المساوىء ، فاتخذ رقعة من الأرض قرب البيت لحضانة النبات ، وأقام معملا للبحث على شرفته واقترض مجهراً ومائدة مطبخ جعله

مقعداً، وخزانة متداعية، وصنع من حقيبة قديمة مستنبتاً لجراثيم الصدأ.

وبهرت أنفاسه الفكرة الجليلة، فكرة قهر الصدأ، فصار يقيم فى معمله بعد الظلام مستعيناً بضوء مصباح من الجاز. وبينما كان مستغرقاً فى أبحاثه، ساءت حال المزرعة، فقد حرق الزرعَ قحطُ سنة ١٩٢١، ودمّره بَرَدُ سنة ١٩٢٢، وأهلكه الصدأ سنة ١٩٢٣

وقد توقّع آفة الصدأ سنة ١٩٢٣ قبل حلولها، فقد التقط على ألواح من الزجاج غطاها بالفزلين، جراثيم الصدأ التى أخذت تقع على حقول القمح. وأنبأ جيرانه بأن وباء الصدأ سيجتاح المنطقة خلال أسبوعين. كانوا قبل ذلك قد ساورتهم الريب فى صحة عقله، ولا سيما بعد أن أهمل حقله لكى يعبث بالمجهر على شرفته، أما الآن فقد صار الظنُّ حقيقة لا تقبل الريب.

ولكن لم يكد ينقضى أسبوعان حتى هجم وباء الصدأ، فكان أفظع وباء عرفته المنطقة، ولم يكد يسلم منه حقل واحد فى تلك السنة.

لقد انحنى القمح ومال فى كل مكان — بما عدا أرض مكفدن. فصفوف القمح التى أنبتها له من مزاوجة «إمر» و«ماركويس» ظلت قائمة قوية، كأن الوباء قد تخطاها ليصيب كل ما حولها. فهذا ظفرٌ بعض الظفر، ولكن ما قيمته وحسابه فى المصرف قد أشفى على النفاد؟

توسّل إلى اللجنة الزراعية فى مجلس الولاية أن ترصد له مالا لكى يمضى فى تجاربه، فلم تعره التفاتاً، وصدّت عنه المصارف لأن مزرعته كانت مرهونة. فلم يبق له سوى موردين: أن يبيع آنية بيته، أو صكوك التأمين على حياته. فباعها جميعاً ليغامر مغامرته الأخيرة.

بلغ القمح فى أرضه فى السنة التالية مبلغاً من الجودة جعله جديراً باسم يعرف به، فأطلق عليه اسم «هوب» — أى رجاء — وقد كان اسماً ينطبق على المسمى، لأن هذا القمح لم يكن ينطوى على شىء إلا على شىء من الرجاء، فهو قمح لا تزال به مساوىء كثيرة: محصوله قليلٌ، وحبه خفيف، وكان شديد التأثر بصقيع الربيع — وهذه مشكلة عظيمة فى منطقة القمح الشمالية.

بيد أن قمح الرجاء كان شديد المقاومة لآفة صدأ السوق والورق، ولخمسة أمراض عظيمة أخرى تصيب القمح. وكان فى حبته ٤٢ صبغيًّا، كحبوب جميع ضروب القمح التى تتخذ للخبز. وهذا يسهل على مولدى النبات أن يزاوجوا بينه وبين الضروب الأخرى، حتى تزيد غلته.

ولو كان همّ مكفدن أن يسعى إلى المجد والشهرة ، لضنّ بقمح الرجاء ، ولكنه أرسل حفنة من حبوبه إلى مولدى النبات فى جميع أقطار الأرض لكى يستعجل البحث والوصول إلى الغاية . وعاد هو إلى وزارة الزراعة فى سنة ١٩٢٩، ولا يزال فيها.

ولم تكد الحرب العالمية الثانية تنشب ، حتى بدأنا نرى فى أسواق القمح ضروباً هى حفدة قمح الرجاء ، ومنها ضربٌ يدعى أوستن ، بذرت بذوره فى أرض مساحتها مليون فدان فى ولاية تكساس ، وكانت قبل مكفدن لا تنتج قمحاً لأنها عرضة لوباء الصدأ . واستأثر صنف آخر بجميع أرض القمح فى ولاية كاليفورنيا ، أوكاد . وتقدر المساحة التى زرعت فى الولايات المتحدة وكندا بقمح مولد من حفدة تلك الحبة السقيمة التى جناها مكفدن فى خريف ١٩١٦ ، بنحو ١٥ مليون فدان .

ويشقّ على الباحث أن يقدر نفع قمح الرجاء فى رد الجوع عن ملايين من الناس يجدون اليوم ما يأكلونه ، لأن مكفدن ثابر على الكفاح . أما التقدير المالى فأسهل، يقول أ . ر . إريكسون المتوفر على أنباء المحاصيل : إن حفدة قمح الرجاء أنقذت لفلاحى ثلاث ولايات فى سنة ١٩٤٤ ما قيمته ١٣٥ مليون ريال . وإذا تحفظنا فى التقدير ، كان ما أنقذته للفلاحين فى سنوات الحرب ٤٠٠ مليون ريال .

أما مكفدن نفسه فلم يجن من وراء عمله مليما واحداً ، وهو يعيش فى تكساس معيشة أوساط الناس ، ولا يزال يكافح من أجل قوت إخوانه من البشر .

صور لفظية

قال ابن الأعرابى : « رآنى أعرابى وأنا أكتب الكلمة بعد الكلمة من ألفاظه فقال : إنك لَحَتْفُ الكلمة الشَّرود » . . . وصف أعرابىٌّ امرأة فقال : « كاد الغزال يكونُها ، لولا ما تمَّ منها ونقص منهُ » . . . . « لا زالت أيامك ممدودة بين أمل لك تبلغهُ ، وأمل فيك تُحققهُ » . . . ألبست سكينة بنت الحسين ابنة لها دُرّاً كثيراً وقالت : « الله ما ألبستها إيّاه إلا لتفضحه » .

يرى خبراء هيئة أركان الحرب أنه ما من دفاع حربى ضد القنبلة الذرية ، وأن لا رجاء سوى رجاء واحد — وإليك الحقائق التى تروع النفس .

صورة ترتعد لها الفرائص

جوزيف ستيوارت ألسوب

مختصرة من مجلة "ذى ستردای إيفننج بوست"

منذ أشهر اجتمعت طائفة من خيرة خبراء هيئة أركان الحرب الأمريكية وعزمت أن تفحص الموقف الحربىّ فى العالم ، وما طرأ عليه من تعديل بعد ظهور القنبلة الذرية . وقد أنجزوا عملهم فخلصوا إلى هذا القرار : « إن الدفاع الوحيد المجدى هو الدفاع السياسى » .

وهذا يعنى سيطرةً دولية مجدية على الطاقة الذرية ، وأمناً مشتركا ، وهيئة عالمية تستطيع أن تسوّى جميع المشكلات بوسائل السلم . وليس ثمة دلالة أقوى على الانقلاب الذى طرأ على عصرنا من أن ترى قوّاداً صناعتهم الحرب ، يقولون هذا . ومتى رأيت أقوال العسكريين الكبار ، وأقوال المثاليين المتحمسين لقيام عالم واحد ، قد اتفقت فى الجوهر ولم تختلف إلا فى الوسيلة ، فخليق بكل امرىء أن يسعى إلى فهم السبب .

فرض العسكريون فى بدء بحثهم بضعة فروض بسيطة مفزعة . وأول هذه الفروض إذا أنه لم يوفّق السعىُ السياسىُّ إلى تغيير الاتجاهات السياسية السائدة اليوم ، فلن يطول الزمن قبل أن تظفر الدول الكبيرة جميعاً بالأسلحة الذرية . ويقدّر الخبراء الزمن الذى ينقضى قبل الظفر بهذه الأسلحة بخمس سنوات إلى ثلاثين سنة . وينتظرون خلال ذلك أن تعمد الدول جميعاً إلى إعداد وسائل جديدة خارقة لقذف المقذوفات الذرية ، ومنها صواريخ بعيدة المدى عظيمة السرعة ، فإن إتقانها صار اليوم مستطاعاً ، ومتى أطلقت وُجِّهت إلى أهدافها النائية بأجهزة كهربية جديدة .

ومتى استعملت هذه الأسلحة الجديدة مجتمعة على نطاق واسع ، كان لها من القدرة المفزعة مثل ما يتوهمه الخيال . والخبراء يضحكهم ما يسمعونه من أن القنبلة الذرية ليست سوى « قنبلة أخرى » وحسب ، بل يصفونها بقولهم إنها شىء « لا عهد للعالم بمثله منذ عرف الإنسان النار » . ويرى الخبراء أن إطلاق عدد من القنابل الذرية دفعة واحدة كافٍ للقضاء على ثلث شعب كبير أو نصفه ، وكافٍ لتدمير أكثر

من ثلث قدرته على الإنتاج أو نصفها .
فلما فرض العسكريون فروضهم، مضوا إلى تقدير الموقف الحربيّ على ضوئها .
فأسقطوا بادئ ذى بدء من حسابهم احتمال كشف معجزة علمية جديدة تكفل الدفاع التامّ ضدّ الهجوم الذرّى . نعم قد يمكن أن تُصنع صواريخ مزوّدة بأجهزة تمكننا من أن نبحث فى عرض الفضاء العالى عن الصواريخ المحمّلة بالموت الزؤام وأن نفجرها ، ومع ذلك فلا مفرّ من أن تقتحم بعض الصواريخ نطاق هذا الدفاع. وثلاث قنابل ذرية تكفى لتدمير أية مدينة مثل وشنطن ، وحسب نيويورك أو لندن عشر منها لكى تحيلها رُكاماً من الأنقاض .

وطبيعة الحرب الذرية نفسها تجعل المزية الكبيرة لمن يضرب الضربة الأولى ، ومع ذلك فدستور الولايات المتحدة يمنع حكومتها من أن تضرب هى الضربة الأولى — أى إنه يتيح فرصة الضربة الأولى لأى عدوّ محتمل . أفهناك من يظنّ أن هذا العدوّ يحجم عن إطلاق جحيمه من عقاله ، حين يشرع الكونجرس فى مناقشة اقتراح إعلان الحرب ؟

ولنفرض أنه لم يسع الدول أن تخضع الطاقة الذرية لسيطرة دولية ، وأن نظام الأمن المشترك قد أخفق، وأن الهيئة العالمية عجزت عن القيام بمهمتها ، فماذا يكون ؟
يرى هؤلاء الخبراء أن يكون الدفاع الأمريكى وفقاً للخطة التالية :

إن قاعدة هذه الخطة هى : « القدرة على مقابلة الهجوم بمثله خير ما يثنى عن الهجوم » وغرضها أن تدمر العدوّ فى الوقت الذى ينزل الدمار بنا — عسى أن يقتنع بأن هجومه لا يجديه شيئاً . وإذن فالدفاع يشمل أداة ضخمة لا تقهر للرد على الهجوم بمثله ، فتتحرك لساعتها حين يجيء الإنذار الأول بهجوم العدو .

ولكى يتمّ ذلك ينبغى أن تنشأ سلسلة عظيمة خاصة من منشآت الصواريخ فى طول البلاد وعرضها ، وأن تكون دفينة فى جوف الأرض ، وتصنع كهوفها من الأبرق ، بحيث تتسع لمجموعة كاملة من آلات الدمار . وفى حجرة العمل الحربى فى هذه الكهوف تجد رجال الصواريخ يتناوبون السهر يوماً بعد يوم . ويحشد فى مستودعات الكهوف مقادير من الصواريخ الذرية وغيرها من ضروب الذخيرة والمؤن ما يكفى عدة أسابيع . فهذه المنشآت ينبغى أن تستكفى بما فيها حتى لا تتأثر بالفوضى التى ربما عمّت الأمة . وستكون هذه المنشآت متصلة بعضها ببعض بوساطة نظام للمواصلات خاص بها ممدود فى جوف

الأرض . أما مركز السيطرة عليها جميعاً فيكون على عمق عظيم تحت سطح الأرض فى مكان ما بالولايات المتحدة .

وفى مركز المسيطر على الصواريخ ترى اليقظة تامة ، فعلى رجاله تقع تبعة لم يسبق لها مثيل فى التاريخ ، لأنه متى دلت ألواح أجهزتهم الكهربيـة على دنو صـواريخ الأعداء ، وجب عليهم أن يصدروا الأمر الذى لا رجوع فيه : « أطلقوا النار » ، فيسرى فى نظام الدفاع كله . وإذن فالساعة التى تنهمر فيها شآبيب الهلاك والدمار على الأمة، تنهمر فيها أيضاً شآبيب الموت والدمار على أمة العدو مهما كانت نائية . ويستمر التقاذف بالصواريخ الذرية ، حتى تستنفد إحدى الأمتين مخزونها من السلاح الذرى أو تستسلم .

وفى إثر الصواريخ يعمد العدو إلى إرسال جيش محمول فى الطائرات ، لكى يستغل ضعفنا فى ساعة الذعر ، فيدمر منشآت صواريخنا أو يستولى عليها ، ويكتب كلمة « الختام » على حركة مقاومتنا . وإذن فلا بدّ لنـا من جيش مقاتل حسن الدربة ، ندّخره للدفاع وللهجوم ، فنرسـل فى إثر صواريخنا جيشاً محمولا فى الطائرات لينجز مهمة كمهمة جيش العـدوّ . وإذا ظلت هناك وسيلة للمخاطبات العامة بعـد هذا الهجوم ، فربما سمع الأحياء من الأمريكيين بياناً حربياً كالبيان الآتى :

« إن قوة العدو التى نزلت عند منعطف نهر أوهيو ، وغرضها أن تضرب جنوباً إلى منطقة كهف مموث ، قـد ردّت على أعقابها . وهى مستندة إلى خرائب مدينة سنسناتى، وقد قطعت على العدو سبيل التقهقر لأن الإشعاع فى منطقة سنسناتى يبلغ من القوة مبلغاً يكفل إصابة كل جندى يلجأ إلى خرائبهـا » . (وذكر كهف مموث ليس من صور الخيال ، فمجلس الذخائر يجرى بحثاً لاستكشاف الكهوف التى تصلح لهذا الغرض) .

بيد أن التوسل بوسائل أخرى أشـدّ شدّة أمرٌ لا مفرّ منه . فقدرتنا على مقابلة الهجوم بمثـله تحتاج إلى تأييد حلفاء مزوّدين بوسـائل الرد على الهجوم بمثله ومتأهبين له، لأن القدرة على مقابلة الهجوم بمثله ينبغى أن تكون موزعة فى أوسع نطاق. وإذن فينبغى للولايات المتحدة التى جرت على الابتعاد عن المحالفات ، أن تجمع من حولها أتباعاً يفرض عليهم أن يقبلوا المقاتلة متى كان أحدهم هدف الاعتداء الأول . فسياسة القوة العارية العارمة تكون يومئذ المبدأ الذى يسود النظام الدولى .

وينبغى أن يحدث تعديل كبير فى حياة

الأمة ، فلا بدّ من التأهب لمواجهة الكارثة تأهباً يشمل قارة بأسرها . وينبغي لكل رجل وامرأة من أبناء الأمة أن يكون متأهباً ليوم تصبح فيه المدن أنقاضاً مشعة ، وتتعطل أسباب المواصلات على سطح الأرض ، ويوم نضطر لدفن عشرات الملايين من الجثث والعناية بالملايين من المصابين — يوم يغدو نصف الأمة بغير ضوء أو دفء أو ماء أو غيرها من ضرورات الحياة .

فإذا شاع الذعر فقد حانت النهاية ، لأن قوات الدفاع تعجز عن قهر الجيش الذى جاء محمولا بالطائرات . ويومئذ لابد من فرض التعبئة العامة الإجبارية على الرجال والنساء . وينبغي أن يدرب الناس على العمل جماعات جماعات فيعلمون أصول النظام وأساليب كفاح الكارثة ، فكلّ امرىء عليه أن يتعلم واجبات يوم الفصل .

ولا بدّ من تعديل نظام الحياة فى المدن فيوزع الناس ومراكز الصناعة فى مدن وقرى جديدة — فتكون صفوفاً ضيقة طويلة ، أو تكون مؤلفة من وحدات للإنتاج بينها مسافات واسعة ، وتصل بينها طرق عظيمة ، فهذا أجدى فى خفض معدّل القتلى يوم الهجوم الضخم إلى عشرين فى المئة وحسب ، ويصون شطراً من القدرة على الإنتاج يكفل لنا مقادير لا بأس بها من مواد الحرب .

وينبغي أن يتوسل بأقوى الوسائل وأشدها لمنع التخريب فى دور الصناعة . ولتحقيق ذلك ينبغي أن تفسر بعض مواد الدستور تفسيراً جديداً ، حتى تتاح السلطة اللازمة لإنفاذ هذه الوسائل .

وبقاء حكومة تستطيع القيام على شئون الدولة ، ليس بالمسألة الهينة . فالقضاء على الحكومة ، الذى يفضى إلى سريان الشلل فى الأمة ، سيكون بين الأهداف الأولى التى يتوخاها العدوّ . وعلى أن توزيع مراكز الصناعة مستطاع ، تجد الخيال مقصراً عن إدراك الوسيلة لتوزيع مكاتب الحكومة . فعلينا أن نؤلف حكومة يدرّب رجالها على مواجهة الطوارىء ، ونخبؤها فى كهف حتى نلجأ إليها عند مسيس الحاجة .

وخلاصة القول هو أن الدفاع الحربىّ يقتضى من كل امرىء شيئاً أكثر من التضحية الخاصة ، فهو يقتضى التضحية بالمبادىء التى هى سَدَى المجتمع ولحمته . وليس فى وسع أمة ديمقراطية حقة أن تحتفظ بآلة حربية ضخمة دائمة اليقظة مدى سنين أو عشرات السنين ، ولا تستطيع أمة ديمقراطية حقة أن تسلم إلى رجل واحد ، هو مراقب الصواريخ ، هذه التبعات الكبار التى لا بدّ من إلقائها على كاهله . ولا تستطيع الأمة الديمقراطية الحقة ، أن

تبنى علاقاتها الدولية على نظام طاغ من المحالفات العسكرية ، ولا أن تنفذ النظام العسكرى فى شعبها كله ، أو تلغى حقوقهم الفردية وتعرّضهم للتفتيش والمصادرة ، ولا أن تفرض بالقوة أن تمزق أوصال مدنها لكى تكون منشورة فى طول البلاد وعرضها .

إن ما سبق يمثل لك صورة ما ينبغى أن يتم فى حياة الناس ، إذا أخفق الدفاع السياسى . وقد يشق تصديقه فى قوم أصابوا الغنى والرخاء ، ولكنّ هذه الصورة ليست وهماً من أوهام الخيال ، بل هى قائمة على رأى خبراء تدرّبوا أحسن تدريب ، واطلعوا أوفى اطلاع ، وفكروا أصدق تفكير .

ولن تجد بديلاً صالحاً من الدفاع السياسى ، هذا هو الرأى الجرىء الذى خلص إليه خبراء هيئة أركان الحرب .

فإذا أدرك الناس مغزى هذا الرأى ، فلا مفرّ من أن يُلحّوا أقوى إلحاح على جعل السيطرة على الطاقة الذرية سيطرة دولية يحوطها ضمان كاف ، وعلى جعل هيئة الأمم المتحدة هيئة عالمية مجدية ، تستطيع أن تسوى مشكلات العالم بأساليب السلام . وينبغى ألا يصرفهم عن هذه الأغراض تعقيد المشكلات أو شدة المقاومة ، أو ما فى طبيعة البشر أنفسهم من ضعف .

تعريف : السيّدة الكريمة هى التى تيسّر للرجل أن يكون سيّداً كريماً . [ولتر ونشل]

من آيات العرب

* مرّ عمر بن الخطّاب ببناء يبنى بحجارة وجصّ فقال : « لمن هذا ؟ » فذكروا عاملا لهُ على البحرين فقال : « أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها » ، وشاطره مالهُ .

* ضرب الحجّاج أعناق أُسارى أتى بهم . فقال رجل منهم : « والله لئن كنا أسأنا فى الذنب فما أحسنت فى المكافأة » ، فقال الحجاج : « أفٍّ لهذه الجِيَف ! أما كان فيهم أحد يحسن مثل هذا ! » وكفّ عن القتل .

بابـ يحرره
ألون ديفو

أصدق صديق للانسان



توجد الكلاب حيث يوجد البشر ، وحيث تجد الكلاب تسمع غرائب القصص عن أخلاقها وأفعالها — من قصص تدل على الشجاعة ، وقصص تبعث على الضحك ، وأخرى تبلغ منك العجب ، وكلها مما يدعو المرء إلى التفكير والتعجب .

كنت على وشك أن أدخل دكان جزّار ، فلمحت كلباً ضخماً من كلاب الصيد قائماً عند المدخل ، فرماني ببصره وهزّ ذَيْله ، ثم نظر إلى الباب ، ففهمتُ ما أراد وفتحتُ له البابَ ، فعدا إلى الجزّار ، فنظر إليه وابتسم ، وقال له : «مرحباً ، خذ هذه» فتلقى الكلب عظمة كبيرة وبصبص له بذنبه شكراً ، وعدا خارجاً .

وبعد دقائق سمعت نباحاً خافتاً ، وإذا به إلى جواري مرةً أخرى ، وتلقى العظمة التي ألقيت إليه ومضى من حيث أتى . فضحك الجزار ملء شدقيه ، ثم قال لي : « أرأيت إلى هذا الكلب فإنه يأوى إلى حظيرة الفندق هو وصديقٌ له من الكلاب ، وكلاهما قد جاوز العاشرة من عمره . وكان من عادتهما أن يخرجا إلى الصيد معاً ، وكانا يأتيان إليّ معاً ليصيبا شيئاً من العظام . وفي السنة الماضية صدمت الكلب الآخر سيارة ، فصار أعمى أعرج عاجزاً عن التجوال والحركة . فمن أجل ذلك يأتي هذا الكلب صبيحة كل يوم ليأخذ عظمة لصديقه ، ثم يعود ليأخذ أخرى لنفسه .

[بيرز ماروني]

كان لدينا كلب من كلاب المرعى ، وقد ضاق ذرعاً بكلب آخر صغير من كلاب جيراننا ، كان لا يدع له عظمة مخبوءةً إلا فحص عنها واستخرجها وذهب بها . وكان هذا الكلب الصغير يقف له بالمرصاد ، فإذا خبأ كلبنا عظمته عن العيون ، فلا تكاد تنقضي خمس دقائق حتى يسرع إليها الصغير فيخرجها من مخبئها .

ثم مضت الأيام فرأيت كلبنا يحمل عظمتين ويمضي بهما إلى مكانٍ في الحديقة ، فيحفر حفرة واسعة عميقة ويدسُّ فيها العظمة الكبيرة ثم يهيل عليها التراب برفق وعناية ، ثم يضع العظمة الصغيرة من

فوقها ويغطيها بغطاء خفيف من التراب .

ولم تمض دقائق حتى أقبل الكلب الصغير على عادته مسرعاً إلى الحفرة الحديثة العهد ، وجعل ينبش جاهداً ثم انطلق يعدو عدو المنصور بما وجد — بالعظمة الصغيرة .

وبقي كلبنا ساكناً مقعياً رخيّ البال ، ينظر إلى الصغير المحتال . وحقّ له أن يهدأ فإن خدعته قد انطلت على الصغير ، ونجح نجاحاً باهراً . [الويز مينور]

كانت عندنا كلبة من آلفات البيوت ، فبذلنا جهدنا لتتولى الحراسة ، فلم نوفق. فكان من عادة أبي إذا دخل الصيف أن يرسلها في مساء كل يوم لكي تحرس بيت الدجاج حتى يتنفس الصبح . فإذا استيقظ أبي مع الصبح رآها حيث تركها ، وهي مقرورة ترتعد من شدة البرد ، فأحطناها بأعظم العطف والرعاية جزاءً لما تلقى من العناءِ والمشقة .

ومضى الصيف وجاء شهر سبتمبر فإذا جارٌ لنا يحدثنا عن العادات الغريبة التي بدت من كلبتنا هذه ، فكان من دأبها طول أيام الصيف أن تيمم شطر داره إذا انتصف الليل ، وتطرق الباب تطلب الدخول ، فتظل عنده راضية مطمئنة إلى أن تكون الساعة الخامسة صباحاً ، وعندئذ تسرع خارجة عائدة أدراجها إلى الحظيرة .

[جان جولسون]

كان عندنا في مزرعة أبي كلبان يحبان الخروج إلى الصيد ، فإن لم يجدا من يخرج معهما إلى الصيد خرجا إليه وحدهما .

وفي ليلة من ليالي الخريف انطلقا كعادتهما إلى الغابات ، وبزغت شمس اليوم التالي ولما يعودا . فلما أقبل الليل جاء أحدهما وهو يتهالك من التعب والجوع . فأكل حتى امتلأ ، ثم انطلق عائداً إلى الغابات ولم يبالِ بنا حين جعلنا نناديه ليرجع. ولم تمض ساعة حتى جاء الكلب الآخر ففعل كما فعل صاحبه من قبل ، وأكل حتى تضلّع ، ثم انقلب عجِلاً إلى الغابات .

وظلا في غيبتهما هذه طول الليل وطول اليوم التالي كله ، فلما دنا الليل جاءَ أحدهما يلتمس بعض القوت ، وما كادَ حتى انطلق عائداً دون أن يصيب شيئاً من الراحة . ثم جاء الآخر بعد قليل وفعل كما فعل صاحبه .

فلما أصبحنا خرجت أنا وأخي نفتش عنهما حتى وجدناهما . فقد وقعا على صيدٍ من حيوان البر فاعتصم منهما برأس شجرةٍ ، وأعجزهما أن يصلا إليه وثباً ، فضربا عليه الحصار ، وجعلا يتناوبان مراقبته حتى يستسلم . [أوليفر بري مدجر]

فتح الأدغال وصيرها عمرانا

توم هام

> إن إيمان أندراد بالأرض والناس والحرية وعبقريته العملية ، جلبا رخاء مدهشاً إلى أدغال البرازيل

نفر قليل من الناس صليباً من الخشب فى التربة الخصبة الحمراء فى رقعة مكشوفة من أدغال البرازيل الرحيبة ، ثم وقفوا خاشعين يدعون الله أن يبارك فى الحلة التى يوشك أن تؤسس . ولما كان المشروع هو حلم رجل اسمه أنطونيو مورا أندراد ، فقد أطلق على المكان اسم أندرادينا .

منذ ثمانى سنوات كانت تلك البقاع الواقعة فى قلب ولاية سان باولو الغنية ، بحراً من خضرة مطردة موحشة ، ولم يكن فى دائرة نصف قطرها ستون ميلا حول الصليب الجديد المغروس إلا أقل من ألف نفس ، وكانت السكة الحديدية البرازيلية الشمالية الغربية تخترق الأدغال الخضر دون توقف . وإذا أنتج أحد من الرواد المبعثرين من المحصولات فوق حاجته ، فقد كان من غير المحتمل أن يحاول إرساله إلى السوق .

واليوم تقوم مدينة عدة أهلها نحو عشرة آلاف حيث وضع الصليب فى عام ١٩٣٨ ، وفى هذه الدائرة التى نصف قطرها ستون ميلا يوجد الآن أكثر من مئة ألف نفس ، وهناك ٢٠٠,٠٠٠ رأس من الماشية ، وتخرج الأرض الخصبة التى استنقذت من الأدغال ، الأرز والبن والبرتقال والقصب والحنطة والقطن والخضر .

وهناك مستشفيان حديثان ، ومسرح للصور المتحركة ، وكنائس من مذاهب شتى ، ومدارس ، وستة مصارف ، وجريدة ، و٣٢ فندقاً ونزلا ، ومكتبة وافية ، ومطار ، وناد للطيران فيه أربعمئة عضو ، وشبكة من طرق السيارات ، وجماعة من أصحاب المزارع الصغيرة لاشك أنهم أسعد أمثالهم فى أمريكا اللاتينية وأكثرهم رخاء .

وكل هذا صنعه أنطونيو مورا أندراد .

وكانت بصيرته هى التى تمثلت هذه الصورة الجريئة ، وروحه المثاليــة العملية هى التى صاغتهـا ، وماله هو الذى أمدّها . وهو مشروع خاص وضـع بحيث يؤتى ربحاً ، ولـكنه أيضاً أكبر من هذا ، فإنه تعبير من أندراد عن إيمانه بالأرض وبالناس وبالحرية.

وأنطونيو مورا أندراد أحد أبنـــاء البرازيل العصاميين . وقد بدأ بالعمل لتاجر سورى ، وهو فى الثانية عشرة ، وله الآن ثروة عظيمة قوامها الأرض والبن والماشية، ثم عبقريته فى التنظيم . وهو يملك ست عشرة ضيعة كبيرة ، ويعرف تفاصيل العمل فى كل واحدة منها .

وكان إيمانه الراسخ بالأرض هو الذى حمله على شراء رقعة واسعة فى الأدغال فى ١٩٢٨ ، بنحو ريال للفدان ، وكشف مساحات كبيرة منها وزرعها كلأ ، والماشية تربو على مثل هذا المرعى . وأرض أندراد تطعم من الماشـية فى كل ميل مربع سبعة أمثال ما تطعمه السهوب الطبيعية فى ولاية ماتوجروسو المجاورة . وقد أثرى أندراد ولـكنه لا تزال توجد رقعة هائلة من الأدغال لم يستطع أن يستغلها لقلة الأيدى العاملة .

وهــذه هى المعضلة الـكبرى فى أمريكا اللاتينية كلها ، فإن المدن مزدحمة — ٨٥ فى المئة من أهل أمريكا الجنوبية يعيشون على الساحل وإلى مسافة مئة ميل من البحر، أما المنطقة الداخلية فمترامية وخاوية .

وكانت لأندراد أرض غنية طيبة ، وفى أهل سان باولو نشاط ،وهم من خير الرواد، ولـكن الرائد خليق أن يموت جوعاً قبل أن يستطيع أن يستنقذ من الأدغال ما يكفى لإخراج محصول لطعامه ، فإنه يحتــاج إلى مال يعيشّ منه وهو يجاهد ليكسب المعركة التى تقوم بينه وبين الطبيعة .

ويقول أندراد : « إن الشيوعية تتفشى فى البرازيل ، ولا أحد يعنى بأن يضع شيئاً لعلاج ذلك، سوى أن يقترح اعتناق مذهب الفاشية لضدّها . وهــذا شبيه بأن تسقى المريض سماً لتشفيه من السرطان . فإن رجالنا حين استغلوا أموالهم فى مشروعات غير مثمرة — مثــل ناطحات الســحاب الـكثيرة — وتركوا سواد الناس يعيشون عيشة زريّـةً فى المدن الـكبيرة ، وتركوا الأرض فى هــذه البلاد الزراعية خاوية ،

قام دزموند هولدريدج برحلات كثـيرة إلى أمريكا اللاتينية فى السنوات الخمس عشرة الماضية وكان فى الأغلب يذهب عضـواً فى بعثات علمية أو تعليمية . ووضع أربعة كتب ، وعدة مقالات عن مشاهــداته فى أقطارها . وهــذه المقالة إحدى المقالات الأخيرة التى أتمها قبل وفاته فى حادث سيارة .

صارت للشيوعية جذور بطبيعة الحال. أما النظرية التى يقوم عليها مشروع أندرادينا فهى أن الذين يملكون أرضهم يكونون أكثر إنتاجاً من العبيد فى ضيعة كبيرة صاحبها بعيد عنها، أو فى ضيعة شيوعية، جامعة. وصغار الزراع الذين يعيشون فى خفض وخصب، يكونون فى أمان من الشيوعية، لأن « البيئة » التى تتوالد فيها الجرثومة قد نزعت من حياتهم » .

وكانت فكرته أن يقسم الأرض إلى قطع تتراوح بين خمسين فداناً ومئة فدان، وأن يعرضها للبيع بشروط يستطيع أى إنسان أن يتحملها، فإذا عجز رجل عن دفع الثمن نقداً، فإنه يستطيع على كل حال أن يمتلك المزرعة بمجرد وعد منه بأداء الثمن. ذلك أن إيمان أندراد بالناس عظيم، حتى لقد كان يزيد على ذلك فيقرض الزراع من ماله بفوائد معقولة ليشتروا البذور والآلات والطعام والكساء، ريثما يخرج أول محصول. وكان هناك شرطان: أن يكون الطالب من أهل الكد والجد، وأن لا يكون ألمانيا أو إيطاليا أو يابانيا.

وأقبل الناس من نواح أخرى من سان باولو على أندرادينا، فههنا أرض تستطيع أن تقف فيها معتدل القامة، وتظفر فيها بكدحك بالحياة والحرية لنفسك ولأسرتك، ولا أثر هناك للنظام الإقطاعى المألوف. فإنك تملك الأرض حقاً، ولديك وسائل كثيرة لسداد الدين الهين الذى تستدينه فى بداية العمل.

وكان هناك أكثر من ألف أسرة فى الموجة الأولى من الوافدين، فمدوا الخيش المشمع بين الأشجار، وضربت الخيام. وبنيت أكواخ ساذجة لتكون مأوى فى أثناء كشف الأرض. وكشف مثل هذه الأدغال من أشق الأعمال التى يعالجها الإنسان، والعضلات المكدودة تعمل بالفأس فى الشمس المحرقة والمطر المنهمر، ولا بد من نشر جذوع الأشجار الضخمة وتقطيعها لتتخذ منها المساكن، ويجب إحراق الأعشاب. فهو ليس بالعمل الذى يطيب للإنسان أن يقوم به بأجر يومى، ولابد للنفاذ فيه من حافز يحركه. ومرت الأيام فبدأت طلائع بيوت المستقبل تبنى وتحل محل الأكواخ المؤقتة، وزرعت المحصولات الأولى، ووجد بعض النزلاء أن من الخير لهم أن يقوموا بخدمة غيرهم لقاء معونة هؤلاء فى كشف أرضهم. وهكذا يصنع رجل آجرًّا لبناء البيوت، فيكون هذا نواة لمصنع آخر. أو ينشر رجلان ألواح الخشب من جذوع الأشجار، لأن كل إنسان يحتاج إلى أثاث وأرضية.

وبدأ أصدقاء المستعمرين الأوائل وأقرباؤهم ينزلون فى القطار عند محطة أندرادينا الجديدة ، وأقبل الباعة المتجولون وأقاموا ليفتحوا دكاكين دائمة ، وجاء القساوسة ، ثم جاء الأطباء وكانوا قليلين ، لأن المناخ جيد والأمراض قليلة.

وكان من الطبيعى أن يتسامح فى شرط الكدح الشديد بعد أن بدأ أهل المدن يفدون . مثال ذلك الخياط الأول ، وكان شيوعياً إسبانياً تورط فى شغب سياسى بسان باولو. فطلبته الشرطة ففر إلى أندرادينا ، وتحادث أندراد والأسبانى طويلا ، وبحثا المسألة الجوهرية بحثاً مستفيضاً ، وهى هل يطلب هذا الخياط العمل جاداً فى طلبه ؟ أما كونه أجنبياً وشيوعياً وشريداً سياسياً فأمر لم تكن له قيمة. وأخيراً قال أندراد : « حسن ، سأصحبك لتختار قطعة من الأرض ، وسأمدك بالمال وأنت تكشفها وتسرع فى زرعها ، وسيكون العمل شاقا ، ولكنا محتاجون إلى خياط ، وبعد أن ينتظم عملك تستطيع أن تفتح دكاناً هنا فى المدينة » .

واليوم ترى هذا الخياط الأول فى أندرادينا (فقد جاء غيره) يقسم وقته بين خياطة الثياب وتعهد شجيرات البن فى مزرعته البديعة ، ويربح من العملين . وهو الآن لا ترضى عنه الشيوعية ، ولو رآه أى متعصب للديمقراطية لوصفه بأنه ديمقراطى.

ويقول أندارد بخبث : « إنى أزلت البيئة التى كانت تعيش فيها جرثومة الشيوعية وتتوالد ، فماتت » .

وقد أفردت منطقة من الأدغال بعناية « المنطقة الصناعية » ، وبعد بضع سنوات قامت مضارب الأرز ، والمطاحن ، ومصانع الآجر ، وغيرها مما هو أصغر ، وراحت تعمل بجد على جانب سككها الحديدية . ونمت « المنطقة التجارية » من بضعة دكاكين صغيرة إلى عدد من الشوارع الواسعة الحافلة بالمتاجر الشبيهة فى كل وجه بأمثالها فى أى بلد كبير فى مثل حجمها .

والمنازل جميلة المظهر ومريحة ، وهى جميعاً مدهونة ولها سقوف من القرميد ، وفيها الكهرباء ، وكله ملك لسكانها . ولم يرحل إلا أقل من اثنين فى المئة ممن أخذوا أرضاً ، أما الوافدون ففى ازدياد ، وقامت تسع قرى يتراوح سكانها بين ١٠٠٠ و ١٥٠٠ نسمة .

ويزرع المستعمرون ٥٠٠,٠٠٠ فدان ارتفع ثمن الواحد منها إلى عشرين ريالا بدلا من ريال واحد، وهو ما اشتراها به أندراد. وقد وفى نحو ستين فى المئة من السكان ديونهم كلها ، وهم فى الأغلب فى دعة ورخاء ،

ويشترون بالنقد حاجاتهم من التجار ، وإذا احتاجوا إلى مال ذهبوا إلى مصرف من المصارف الستة ، وأخذوا القروض بالشروط المصرفية العادية ، ثم يشترون ما يشاءون حيث يشاءون . وبهذا استئصلت شأفة نظام الاقتراض الذى يجعل صغار الزراع فى كثير من البلاد غارقين فى الدين الى الأبد .

ومن أكبر الأسباب فى خواء الأرض الواقعة فى قلب أمريكا الجنوبية ، وجود أملاك كبيرة أصحابها بعيدون عنها ، يضاف إلى ذلك سوء العلاقة بين الزراع والملاك . فحيث تسهل وسائل النقل ، فإن النظام المتبع فى أندرادينا يبشر بتعمير مساحات كبيرة من الأرض .

ويقول لك أندراد : « إن تنفيذ مثل هذا المشروع يورث المرء صداعاً شديداً ، ولكنك متى قمت به مرة ، فإنك تزداد افتتاناً به ، فتروح تفكر فى القيام به مرة أخرى . ومن الممكن أن توجد مدن كثيرة على غرار أندرادينا » .

آيات القلب المهذب

كان الليل قد أقبل ، وكانت عربة الترام مزدحمة بالمتعبين من عمال المصانع وذوى الحاجات عائدين من السوق ، حين وقفت أمام مستشفى لرجال البحرية فصعد إليها بحار يمشى على عكازين ، وكانت إحدى قدميه فى قالب من الجبس . ووقف ولم يقدم له أحد الناس مقعداً ليقعد ، وإذا سيدة من العاملات قد وقفت وعرضت عليه أن يأخذ مقعدها ، فتردّد فى القبول ولكنها قالت إنها ستنزل فى المحطة التالية ، فشكر لها صنيعها وجلس . ونزلت السيدة فى المحطة التالية ، فتبعتها ، وفعلت ما توقعت أن تفعل : ركبت مركبة الترام التالية — وكانت مزدحمة ووقفت فيها — حتى وصلت إلى بيتها .

قتل زوجها فى الحرب قبل موعد ولادتها بشهر ، ولما كانت قليلة ذات اليد فقد اضطرت أن تشارك عدة نسوة حجرة واحدة فى مستشفى الولادة . فلما وافى يوم خروجها من المستشفى جاءها الطبيب ليودعها فسلمته شيكا بقيمة أتعابه فشكرها وأعطاها وصلاً ، ولكنها وجدت حين ذهبت إلى مكتب المستشفى لتوفى حسابها ، أن الطبيب قد سدّده من مبلغ الأتعاب الذى أخذه منها .



مشكلة ازدحام خطوط الجو بالطائرات ، وكيف تحلها الأجهزة الكهربية العجيبة ؟

هل ضاق الهواء ؟

ولفجانج لا نجويش
مختصرة من مجلة "هاربرز"

أنت تعلم ولاريب أن خطوط الطيران تزداد ضبطاً سنة بعد سنة ، فإذا ما اشتريت تذكرة للسفر بالطائرة ، قام فى نفسك أن تنطلق الطائرة فى الموعد المضروب ، وأن تصل إلى غايتها فى الموعد المضروب ، وأن تعود فى الموعد المضروب .

ولكنك على خطأ فما ترى ، فهى لا تزداد ضبطاً بل تزداد أمناً سنة بعد سنة ، وقد قلّت حوادثها قلة عظيمة حتى ليسعك أن تطرح خطرها من فكرك . ولكن الاعتماد على ضبط مواعيدها صار أقل ، فأنت خليق أن تتأخر عن مكتبك إذا اعتمدت على ميعاد وصول الطائرة من رحلة رحلتها إلى مدينة أخرى . فخطوط الطيران تزيد الطائرات التى تسيّرها زيادة مطردة ، وتكثر مواعيد قيامها ورجوعها ، فصارت مشكلة « الحركة فى الجو » ، ولاسيما حول المدن الكبيرة معقدة أشد تعقيد ، وهى تزداد تعقيداً فى الأشهر التى تسوء فيها حالة الجو

بيد أن حالة الجو ليست سرّ المشكلة . فالانتفاع بالراديو والأجهزة الحديثة والاعتماد على طائرات لها أربعة محركات ، والوسائل التى تمنع تكوّن الجمد على الطائرات ، جعلت الطيران على مدار السنة أمراً مستطاعاً ، مهما تكن حالة الجو ، ولكن حالة الجو تجرّ فى أثرها مشكلات السيطرة على حركة مرور الطائرات وتوجيهها .

حين تطير طائرة فى جو غائم لا يرى فيه قائدها ما حوله ، تقع تبعة توجيهها وتجنيبها الاصطدام ، على هيئة من هيئات الحكومة — هيئة ضبط الحركة فى الجو ، فتعين لكل طائرة مساراً محدوداً فى الفضاء فى وقت معين ، فلا يحق لطائرة ما فى بعض المناطق أن تدخل الجو الغائم ، أو الذى يغشاه

☆ طيار بحاثة ، ومؤلف « الطيران بالطائرة الخفيفة » و « عصا القيادة ودفة الطائرة » وغيرها

الدخان الكثيف ، بغير أن تنال الإذن بالراديو من هيئة ضبط الحركة .

وهذا نظام مجيد ، ولست تجد فى تاريخه ذكر اصطدام واحد بين طائرات تهتدى بهديه فى الجو المطبق ، ولكنه نظام لايجدى إلا إذا طبق على بضع طائرات فى وقت ما ، فإذا ساءت حالة الجو ، عجز هذا النظام عن إرشاد جميع الطائرات المذكورة فى جدول القيام والهبوط . وقد تكون حجزت مقعداً فى إحداها فتلفى رحلتها قد ألغيت .

وقد حدث ذات يوم فى الشتاء الماضى ، أن كان السحاب قريباً من سفح الأرض فى نيويورك ولكن الجو كان صافياً فى بوسطن ، وكان من السهل على الطيار أن يحلق من أرض مطار نيويورك ، معتمداً على الأجهزة دون رأى العين ، ثم يستوى فى الجو وينطلق إلى بوسطن . ولكن هيئة ضبط الحركة ألغت فى ذلك اليوم رحلة ١٨ طائرة إلى بوسطن ، لأنها لم تجد وسيلة مأمونة تمكنها من توجيه مسير هذه الطائرات بين الطائرات المقبلة على نيويورك .

ومما تضيق به صدور رجال الطيران أن تقيد الطائرات هذا التقييد ، مع أن فضاء الجو رحب لايكاد يحدّ حتى يستحيل أن يزدحم بالطائرات كما يزدحم شارع فى مدينة بالسيارات . ومادام الجو صافياً ترى فيه وترى ، ففى وسعك أن تطير فى خط مستقيم على أى ارتفاع تريد ، وتستطيع أيضاً أن تحيد خمسة أميال أو عشرة أميال عن طريقك المرسوم بغير أن يزداد طول رحلتك شيئاً مذكوراً ، ففى الجو الصافى يتسع الفضاء لعشرة آلاف طريق بين مدينة وأخرى.

ولكن إذا ساءت حالة الجو قلّ هذا العدد حتى لايزيد على بضعة طرق رئيسية ، هى طرق الجو العامة المزودة بأشعة الراديو وبالمطارات اللازمة للطوارىء ، وغير ذلك من وسائل الملاحة الجوية. وتسيير الطائرات على هذه الطرق عمل شاق معقد .

خذ هذا المثل للطيران فى جو مطبق . فارتفاع السحاب فى منطقة نيويورك يبلغ ٨٠٠ قدم ، وفى منطقة كليفلاند يبلغ ٧٠٠ قدم ، والسحاب يغطى قمم الجبال بينهما . فالطيران فى السحاب يقتضى منك أن تهتدى بهدى شعاع الراديو ، وليس بين المدينتين سوى ثلاثة طرق مزودة بهذه الأشعة . أرأيت كيف صارت العشرة آلاف طريق بين المدينتين ، ثلاثة طرق وحسب ؟

يقضى القانون فى مثل هذه الحالة أن يكون الفرق بين ارتفاع طائرة وطائرة ألف قدم ، اتقاء لخطر الاصطدام . فإذا جئت طائراً من مدينة على ارتفاع ٤٠٠٠ قدم ، وهو أقل ارتفاع يمكنك من الطيران فوق

الجبال التي فى طريقك وجب أن تكون الطائرة الآتية إليها على ارتفاع ٥٠٠٠ قدم، والطائرة التي تليك على ٦٠٠٠ قدم، والطائرة الأخرى المتوجهة إليها، على ٧٠٠٠ قدم. ولكن افرض أن السحاب على ارتفاع ٧٠٠٠ قدم أخذ يحدث جمداً على الطائرات، فماذا يكون من أمرها؟ بعض الطائرات الحديثة تستطيع أن تحلق فى الفضاء وتطير فى ضياء الشمس فوق أطباق السحاب. ولكن الطائرة من أوساط الطائرات لا تستطيع أن تفعل — وإذن فتنحصر حركة الطائرات بين المدينتين فى ثلاث طرق، ارتفاعها على التوالى ٤٠٠٠ قدم و٥٠٠٠ قدم و٦٠٠٠ قدم.

وهذه الطرق الثلاث نفسها لا يمكن أن تجعل طريقاً لأفواج متلاحقة من الطائرات، بل ينبغى أن يكون بين السابقة واللاحقة عشر دقائق أو نحو ٢٥ ميلا. وهذا يبين لك، لماذا تركب الطائرة أحياناً فتمضى بك إلى رأس المدرج، ثم تقف هناك متأهبة للطيران، نصف ساعة أو نحوه، ذلك أن قائدها ينتظر إشارة من إدارة الحركة، بتعيين مكان له فى خط السير.

وكيف تضبط حركة الطائرات؟ يتصل قائد الطائرة بالتلفون بمدير «ضبط الحركة» فيذكر له الموعد الذى يرغب أن يقوم فيه ومعدّل سرعته، وارتفاع طائرته فى أثناء الرحلة، وحقائق أخرى من هذا القبيل، ثم يأخذ ركابه ويمضى بالطائرة إلى المدرج متأهباً للقيام، أما مدير الحركة ومعاونوه فتراهم فى حجرتهم وحولهم أجهزة نقل الأنباء السريعة، وأمامهم خريطة تمثل «الطرق العامة» ومحطات الراديو القائمة فى مدن على طول الطريق. وتكتب بطاقات صغيرة تسجل فيها اسم كل طائرة وارتفاعها والوقت المقدّر لمرورها فوق كل محطة من هذه المحطات. فعين المدير المدربة تستطيع أن ترى ما تكون عليه حركة الطائرات بعد ساعة أو ساعتين، فيبذل وسعه لكى يعيّن لطائرتك مكانها فى هذه الصورة. وقد يفعل ذلك فوراً، وقد يؤخرك نصف ساعة، وربما استحال ذلك فتلغى رحلتك.

فإذا استوت طائرتك فى الجو ومضت فى طريقها سمع القائد أصواتاً خاصة فى سماعة الراديو على أذنيه تنبئه أنه صار فوق مدينة بعينها، فينادى بالراديو محطة الراديو فى تلك المدينة، فيذكر لها رقم طائرته، ودقيقة مروره فوق المحطة، وارتفاع طائرته، فتعمد محطة الراديو إلى جهاز نقل الأنباء السريعة فتحمله هذا النبأ إلى مكتب مدير الحركة، فيعلم المدير أنه قد انفسح مكان لطائرة تالية لم تزل تنتظر، فيأمرها عندئذ بالقيام.

وكل قائد طائرة محلّقة فى جو مطبق

يتامس طريقه تامساً على مسار الراديو ، فهو أعمى لا يرى شيئاً سوى حاجز الهواء أمامه، والسحاب الأبيض الذى يحتويه ، وقد يجيئه الأمر بالراديو : ارتفـع بطائرتك تواً إلى ٦٠٠٠ قدم ، وبلّغنا ساعة تتجاوز ٥٠٠٠ قدم ،وهو لا يعرف لِمَ صدر إليه هذا الأمر، فالأمر يصـدر من مكتب مدير الحركة ، ولكن القائد يعلم أن الطريق الذى ارتفاعه ٥٠٠٠ قدم محجوز للطائرات الطائرة شرقاً ، وأن مدير الحركة يأمره بالارتفاع لكى يخلى مكاناً لطائرة مقبلة إلى الشرق .

وحين تشرف طائرتك على غايتها تكون الطرق المفضية إلى المطار مزدحمة بالطائرات، فيصدر الأمر إلى قائد طائرتك بأن ينحرف حتى يصير فوق بلدة بعينها ، وأن يظل على ارتفاع ٦٠٠٠ قدم، وأن ينتظر الأمر التالى .

ذلك أن المطار له شعاع واحد تستطيع أن تهبط على هَدْيه ، فى جو مطبق ، ولكن هناك أربع طرق مزودة بشعاع الراديو ، تسلكها الطائرات من مختلف الجهات إلى المطار ، وإذن فلا بدّ للطائرات المقبلة عليه ، من أن تنتظر فى الجو ، حتى يتاح لها مكان على الطريق الذى تسلكه آمنة إلى المطار . وهـذه طائرتك تنتظر فوق المكان الذى عين لها ، فتروح وتجىء على ارتفـاع ٦٠٠٠ قدم ، وقائدها يعلم أن هناك طائرة على ١٠٠٠ قدم تحته تروح وتجىء فى جو كثيف ، وأن تحت هـذه أخرى على ألف قدم منها ، ثم يسمع القائد إذاعة تأمر قائد طائرة جديدة بأن يرتفع إلى ٧٠٠٠ قدم فوق هـذه البقعة عينها . وأدنى الطائرات إلى الأرض هى أقربها إلى سلوك طريق الشعاع إلى المطار . وكلما حطت واحدة ، هبطت التى فوقها ألف قدم وتأهبت للنزول حتى يجىء دور طائرتك فيهبط بها قائدها مستعيناً بالأجهزة .

هـذا هو لباب النظام المتبع للطيران فى الجو المطبق . وهو نظام مأمون ولكنه يحد من الانتفاع بطرق الجو التى لا تكاد تحد .

وإنك لتجد اليوم بحثاً قائماً على قدم وساق، تنفق عليه ملايين الريالات ويشترك فيـه الطيارون وشركات الطيران وشركات الأجهزة الكهيربية ، وجماعات الباحثين الذين تولوا إتقان رادار فى أثناء الحرب ، ولكن هذا المجهود العظيم لم يسفر حتى اليوم إلا عن نُتَف لا تغنى .

إن السبب الأول لاكتظاظ طرق الجو هو عجزنا عن أن نرى من خلال الضباب . إذن ، فلِمَ لا ننتفع بأجهزة رادار ؟

لقد استعملت أجهزة رادار فى الطائرات فى أثناء الحرب ، ولكنها لا تزال غالية الثمن

ضخمة ثقيـلة ، فتشغل من فراغ الطائرة التجارية ما يقلل قدرتها على نقل البضائع أو الركاب الذين تتقاضاهم أجراً ، وإذا جعل جهاز رادار صغيراً خفيفاً شق عليه أن يتبين طائرة واحدة من مسافة بعيدة ، وإذا أقيم جهاز رادار في الطـائرة ، ظل مدير الحركة على الأرض لا يعلم كل ماينبغي له أن يعلمه عن كل طائرة في الجو .

فإذا أقمت جهـاز رادار على الأرض ، وعمدت إلى إنباء الطيار في الفضاء بالـكلام كيف ينبغي له أن يطـير ، اعترضتك مصاعب شتى . نعم إن هذا يتيح لك أن تنتفع بأجهزة رادار الضخمة القوية ولـكن العمل يقتضي إصدار تعليمات كثيرة بالمحادثة المباشرة مع الطيار ، وهذا فيه مجال لخطأ في القول أو السمع ، ولذلك تعاظم الاعتقاد بأن رادار لايصلح وحده ، بل ينبغي أن يقرن بحيلة بارعة . فما هي هذه الحيلة ؟

يلوح أن الحل مقـترن بجهاز أنشأته شركتان متنافستان « راديو كوربوريشن الأمريكية » وشركة « انترنشونال تلفون وتلغراف » . أما الأولى فقـد أطلقت على جهازها اسم « تليران » وأما الثانية فقد أطلقت عليه اسم « ناقار » ، والجهازان متشابهان في مبـدأهما . تنشأ محطة رادار على الأرض ، فتتبين تبيناً لاينقطع كل طائرة في محيط قطره ٥٠ ميلا مثلا ، وتبين مواقعها على خريطة مدير الحركة بطريقة آلية ، فتظهر كل طائرة نقطة من الضوء . وهذه الخريطة تذاع في الجو ، وتظهر على لوحة أمام مقعد القائد في كل طائرة محلقة ، أما « تليران » فيرسل الخريطة بأسلوب التلفزة ، وأما « ناقار » فيرسلها بحيلة من حيل رادار .

وكذلك يرى مدير الحركة صورة دقيقة لحركة الطائرات في منطقته ، ولا يستطيع طيّار أن يتسلل إليها دون أن يراه ، ولا يمكن لقائد طائرة محلقة أن يخطيء في تبيين لفظ ستة من لفظ تسعة ، لو صدر الأمر إليه بالكلام .

وكذلك يتاح للطـيّار أن يمضي في طريقه بغير أن يتلقى أوامر من أحد ــ إلا إذا اشتد الزحام . وجهاز « تليران » يبين له على اللوحة أمامه أية نقطة من الضوء تمثل طائرته هو ، وذلك بسهم يشير إليها . أما في جهاز « ناقار » فإن طائرة الطيّار تبـدو على اللوح أمامه بلون مخالف للون الطـائرات الأخرى . وكذلك يستطيع الطيار أن يرى أين هو بالقياس إلى « حركة » الطائرات جميعاً في منطقته ، ويراه أوضح وأجلى مما لو نظر بعينه في جو صاف ، فهذه اللوحة أمامه تجنبه خطأ النظر خلال السحاب الخفيف وبريق

ضوء الشمس ، وتكفيه مؤونة إتلاع عنقه بين الحين والحين .

بل تمكنه اللوحة أن يفعل أكثر من ذلك . فإذا أضيفت خريطة جغرافية بسيطة إلى خريطة « حركة » الطائرات ، استطاع الطيار في الجو المطبق أن يحيد عن صراطه المستقيم دون أن يخشى بأساً ، لأن اللوحة تبين له موقفه على الخريطة كيفما اتجه . فالانتفاع برادار على هذا الوجه ، يتيح للطيارين أن يسلكوا عشرة آلاف طريق في الجو المطبق ، وهي الطرق المتاحة لهم أيضاً في الجو الصافي .

ولعلّ جهازي تليران وناڤار هما أدق ماتم في براعة الانتفاع بالأجهزة الكهربية . فجهاز تليران يتيح لمدير الحركة على الأرض أن يهز إصبعه أمام نقطة من الضوء تمثل طائرة حائدة عن النهج القويم ، وما إن يفعل حتى يرى قائدُ الطائرة هذه الإصبع تهتزُّ في وجهه على اللوحة أمامه . أما في جهاز ناڤار فترى مدير الحركة يملك عصا ساحر تدعى ناڤامندر ، فإذا رأى على خريطته شبح طائرة منطلقة إلى مبنى شاهق يخشى أن تصدمه ، انتفع بناڤامندر فيضغط زراً ، فتظهر توّا على اللوحة أمام قائد تلك الطائرة وحدها ، عبارة « إرتفع ألف قدم » .

تصنّف الطائرات في الجهازين بحسب ارتفاعها ، فتظهر المنخفضة على « خريطة حركة » خاصة ، والمحلقة على خريطة أخرى وهكذا . فإذا أراد الطيار المحلق أن يهبط إلى مستوى أقرب إلى سطح الأرض ، ضبط جهازه حتى يرى خريطة الطائرات التي على الارتفاع الذي يليه ، فيرى الطائرات فيهبط حيث يرى فسحة للهبوط .

وجهاز ناڤار يتيح لمدير الحركة أن يرى ما وراء حجب المستقبل ، فيضغط زراً وإذا أشباح جميع الطائرات على لوحته قد أسرعت . فإذا كان اثنتان منها سائرتين في اتجاهين يفضيان بهما إلى الاصطدام ، رأى هذا الاصطدام بعينيه كما هو خليق أن يتم ، فيحذر إحداها بوساطة ناڤامندر خطر ذلك ، فتغير اتجاهها .

إذن فما الذي يعوق عن الانتفاع بجهازي تليران وناڤار ؟ هل فيهما وجه نقص أو موطن ضعف ؟ نعم فهما لا يزالان في مرحلة التجربة ، وقد تنقضي سنتان إلى خمس سنوات قبل أن تتم الأجهزة التي يمكن استعمالها وكلاهما غالي الثمن . ولكن من الواضح أن اكتظاظ طرق الجو اكتظاظاً مطرداً خلال السنوات المقبلة ، يحتم القيام بعمل حاسم يمهد الطرق للطائرات في الجو حين تسوء حاله .

طبيب

رامون رشيون

مختصرة من كتاب "في مدينتنا"

الدكتور براكت رجلاً محمود الشمائل، وقد مضت سنوات عالج فيها من أهل مدينتنا أكثر مما عالج سواه من الأطباء، بيد أنه كان أقلهم ربحاً، فقد كان من دأبه أن يعالج الفقراء الذين لامال لهم.

كان يخرج من بيته في جوف الليلة القارسة فيقطع عشرين ميلا ليعالج امرأة مريضة أو طفلاً، أو ينقذ إنساناً أصابه أذى في بدنه.

وكان كلُّ امرىء من أهل مدينتنا يعرف مكان عيادة الدكتور، حيث علقت لوحة عند أول درج السلم الضيق مكتوب عليها: «الدكتور براكت — العيادة في الطابق الأعلى».

وقد قضى الدكتور حياته عزباً لم يتزوج، بيد أنه كان على وشك أن يبني بالآنسة إلفيرا كروموِيل ابنة صاحب المصرف، حتى إذا كان يوم العرس، دُعي إلى القرية ليعالج طفلا من أهل المكسيك. فجُنَّ جنون إلفيرا وصرَفت شهود العرس، وقالت إنه لاخير في رجل يشغله عن العرس طفل مكسيكيٌّ، ولقد وافقها على رأيها هذا كثير من نساء المدينة. فلما تماثل الطفل المكسيكيُّ للشفاء بقي للدكتور في نفس أبويه شكرٌ لاينفد.

وانقضت أربعون سنة وعيادة الدكتور براكت هي كعبة الزَّمْنَى يقصدها العرج والعمي من أهل مدينتنا، ولم يطرد الدكتور عن عيادته أحداً من الناس قط.

وعاش الدكتور حتى بلغ سبعين سنة، وذات يوم اتكأ على أريكته وصعدت روحه إلى بارئها. وكانت جنازته أكبر جنازة سارت في مدينتنا، لم يتخلف عنها أحد.

وكثر حديث الناس عن جمع بعض المال لكي يشيدوا على قبر الدكتور شاهداً جميلا ناطقاً بذكراه، وأكثروا حتى تحاوروا في شأن مايكتب عليه. ومضت الأيام ومات الحديث، ولم يتمّ من كل ذلك شيء.

وذات يوم جاء حارس القبور يسعى وأخبر الناس أن قبر الدكتور قد ظفر بالشاهد الذي ينطق بذكراه. وقال لهم أتذكرون الطفل المكسيكيّ الذي أنقذه الدكتور منذ سنوات خلت، فإن أبويه ساءهما أن يعدم قبر الدكتور شاهداً يخلد ذكره، ولما لم يكن عندهما من المال مايعينهما على مايريدان، فقد نزعا اللوحة التي كانت عند أول درج السلم في عيادة الدكتور، ونصباها على رأس القبر، وهي هذه:

«الدكتور براكت — العيادة في الطابق الأعلى».

لماذا يصير بعض الضعفاء الأغبياء حرباً على المجتمع ؟

المدمر

ج . إدجر هوفر
مدير المكتب العام للمباحث بالولايات المتحدة


« المدمر » عامين ملأ القلوب رعباً

ظل وهو يجمع بالسلب والخطف والقتل نصف مليون ريال أخذها اغتصاباً ، دون أن يقبض عليه أحد من رجال الشرطة . وكان الخوف يعقد ألسنة المخبرين عن إفشاء اسمه ، ولم نظفر بوصف له يعيننا على تعقبه ، لأنه كان يترك فرائسه جميعاً مبلبلى العقل أو موتى ، فلا يتذكرون .

وكلُّ ما كنا نعرفه هو أن وغداً من الأوغاد جُنّ جنونه بإطلاق النار قد أخذ يعيث فى الولايات الغربية المتوسطة فساداً ، وقد اتّبعته عصابة لاتعرف شفقة ولا تعصى له أمراً . وكانوا يظهرون كالأشباح فى ردهة مصرف ، ثم يسددون سلاحهم تسديداً محكماً فتاكاً ، ويسلبون نقد المصرف ، فإذا بدرت بادرة من أحد الناس أو من الشرطة ، تقاذفت النار الحاصدة من مدافعهم الرشاشة . ثم ينطلقون فى سحابة من غاز سياراتهم السريعة ، فيغيبون عن الأنظار دون أن يمسهم سوء .

ولكن هذا المجرم المجهول ارتكب خطأه الذى لا يُرَدُّ فى ١٧ يناير ١٩٣٤ . فقد وقف إدوارد جورج بريمر ، أحد أصحاب المصارف ، بسيارته عند إشارة المرور ، حيث يتقاطع شارعان فى مدينة سانت بول ، وإذا رجل غريب قد فتح بابها ودخلها وأمره أن يترك مكانه ، فأطاع وهو يحسُّ بمسِّ البندقية بين أضلاعه .

فلما فعل ضُرِب على جمجمته فسقط مغمى عليه ، فلما أفاق ألفى نفسه فى سيارة أخرى . ولم يَعُد إلى بيته حتى دُفِع كل المبلغ المطلوب فدية له — ابتزاز فادح قدره ٢٠٠٫٠٠٠ ريال .

هذه جريمة أخرى ارتكبها هذا المجرم المجهول ، وقد كان الشبه بينها وبين جرائمه السابقة أمراً لا ريب فيه . فاستجوبنا بريمر

متلهفين على سماع ماعنده ، فعثرنا على حقيقة صغيرة يبدو أن لا خطر لها .

قال بريمر : « وكان الذين خطفـوني يحملون بنزينهم في سيارتهم ، وقد سمعتهم مراراً يملأون خزانها ثم يطرحون الصفائح الفارغة ».

فأرسـلنا إشـــارة بالآلات الـكاتبة الـكهربائية التي تطبع عن بعد ، وبالتلفون إلى رجال الشرطة ومخبري مكتب المباحث العـام في خمس ولايات ، فلم تكد تنقضي ٢٤ ساعة حتى عثرنا على أربع صفائح بنزين وجدها فلاح ، فأخذناها ونقلنا عنها صور بصمات واضحة .

وفي اليوم التالي استخرجنا صورة المجرم — رجل نحيل قصـير له شارب محفوف وشفتان تنمان على الشدة ، وكان للنقمة بريق في عينيه الشاخصتين إلى آلة التصوير . هذا آرثر « دوك » باركر الذي أطلق من السجن بعد أن أخذ عليه العهد والميثاق ، وكان قد حكم عليه بالسجن مدى الحياة لجريمة شنيعة قد ارتكبها .

لم أجد بين شرور البشر التي واجهتها خلال اثنتين وعشرين سنة توليت فيها مكتب المباحث ، شراً شغلني وأقلقني كمثل جرائم هذا المجرم — ولم يكن سبب ذلك أنه مجرم عبقري ، بل لأنه أقام الدليـل على خطر الأذى الذي يتمّ على أيدي أوساط المجرمين في مجتمع لا يباليهم ويتهاون في أمرهم .

وقد كشفت لنــا التقارير المفصّلة عن ماضيه ونشأته . فقد ولد في مدينة صغيرة سـنة ١٨٩٩ ، وكان أبوه ميكانيكياً وامه امرأة شعثاء شريرة لا تزال تناقر زوجها . ولم يبلغ فقر الأسرة حد المتربة ، وكانت تعيش في حي محترم ، وكان الفتى « دوك » يذهب بانتظام إلى الـكنيسة والمدرسة العامة. فـكيف إذن نشأ مجرماً يرتكب من الجرائم الفظيعة مالاعهد للناس بمثله منذ زمن بعيد ؟

أليس المرء في حاجة إلى الذكاء والجرأة والإقدام لـكي يرتكب سلسـلة من جرائم السطو والسرقة ، وليـدبر حادثتين من أكبر حوادث الخطف ؟ ومع ذلك فقـد كان « دوك » تلميذاً بليداً، وكان إذا نشب شجار بين التلاميذ أوّل من يفرّ ، وكان يرسب كل سنة في الامتحان ، وكانت أمه تتوسل بإرهاب المدرّسين لـكي ينقلوه من فصل إلى فصل ، وكانت تمطر رجال الشرطة بوابل من دموعها حين يلقون عليه شبهة السرقة ، ولـكنها كانت تتباهى بين جيرانها فتقول : « إن أيام السعد في انتظاري متى بلغ أبنائي مبالغ الرجال ، وسـوف ألبس الحرير والفرو وأتختم بالماس».

وقد عاش الطفل الأبله الذى كانت أمه تقوده من يده ، حتى صار قادراً أن يغتصب الأشياء الجميلة الثمينة التى كانت أمه تشتهيها . وقد استبدت به عاطفتان طاغيتان منذ أيام شبابه — تفانيه فى حب أمه ، واحتقاره كل سلطان غير سلطانها . وقد ماتت أمه يوم ماتت فى فلوريدا ، فى أثناء معركة دارت رحاها بالمدافع الرشاشة مع رجال الشرطة ، إلا أن التدريب الذى أخذت به ابنها أثمر شرّ الثمار .

كان الفتى لا يزال تلميذاً فى المدارس الابتدائية، يوم صار أحد لصوص السيارات. وكان أول عمل تولاه عملاً وجدته له أمه عند صانع زجاج توفر فى السر على تدريب اللصوص الفتيان . وكان دوك فى التاسعة عشرة ، يوم ألقى القبض عليه أول مرة وهو يسرق إحدى سيارات الحكومة ، وكان فى الثانية والعشرين يوم اشترك فى جريمة سطو وقتل فظيعة ، فحكم عليه بالسجن مدى الحياة.

وبعد سنوات سَرَت فى السجن إشاعة : « إن دوك مخنق » فترددت الكلمة فى ملاعب البليارد ، وقيل : « إن سبب حنقه لا يعود إلى أن أمه هجرت أباه ، بل لأنه سمع ما جعله ينفر من هذا الرجل دنلوب الذى تزوّج أمه » .

ولم يمض على ذلك زمن طويل حتى وجد دنلوب قتيلا على شاطىء البحيرة المظلم ، وقد نسفت قلبه نسفاً رصاصة من يد تحكم الرماية. فلم يقبض على أحد متهماً بالجريمة ، ولكن عالم المجرمين كان يعرف أن أصدقاء دوك هم الذين ارتكبوا هذه الفعلة . وكذلك صار دوك يعرف باسم « المدمّر » حتى قبل أن يطلق سراحه .

وعلى الرغم من الأقاويل فقد أطلق سراح دوك بعد أن أخذ عليه عهد مستغرب، هو أن يبرح الولاية ولا يعود إليها . وقد خرج من السجن يمشى كأنه يريد أن يدكّ الأرض ، وفى عينيه السوداوين القاسيتين نظرة الحنق المزمن ، وما لبث حتى ألفى نفسه شريك مجرم آخر يدعى ألفين كاربيس . ثم ألف عصبة من المجرمين تأتمر بأمره ، وانطلق فى تيار الإجرام ، فقضى سنتين حفلتا بجرائمه ، وكان يخلص من كل شرك ينصب له ، بالقتل أو بالرشوة . وها هى ذى صورته بين يدىّ ، فآليت على نفسى :

« لن يطول أجلك ياباركر . إننا فى أثرك » .

وقد علقنا صورة « دوك » المطارَد فى مكاتب البريد والمحطات ، أما هو فقد عزم على أن يضللنا بتغيير ملامح وجهه وبصمات أصابعه ، واستعان بالدكتور جوزيف موران الجراح الذى تخصص فى علاج

المجرمين . وقد كان موران سجيناً فى سجن جوليت ، فجعل يبذل المعونة لرجال المستشفى . فلما أطلق سراحه زاول صناعته بين المجرمين الذين أفرج عنهم . وفى ذات ليـلة اختلى الجراح والمجرم فى حجرة فندق ، ومعهما فتاة من راقصات المـلاهى ، فقامت بعمل الممرضة ، وأخذ موران يجرى جراحته على أنف دوك وفمه وخديه وأطراف أصابعه .

وقد ظل المجرم أياماً مضمداً يبرّح به الألم ويصب اللعنات على من حوله ، حتى جاء يوم أزيلت فيه الضمادات ، فوقف أمام المرآة ونظر بعينيه القاسيتين إلى وجهه الجديد ، ثم هدر كما يهدر الثور الجريح ، فقد خيبت الجراحة أمله .

وبعد أشهر خرج «المدمّر» وزميل له بالدكتور موران السكران من حجرة الشرب فى فندق ، ثم انطفأ خبر الطبيب ، فلم يره أحد من أصدقائه مرة ثانية . ويلوح أنه أخذ فى الليل على زورق فى بحيرة ، ثم وضعت قدماه فى دلو ممتلىء بالإسمنت الطرىّ ، فلما جفّ الإسمنت عليهما ألقى الجراح المسكين فى اليمّ .

والانتقام على هذا النمط السريع المحكم ، كان من خصائص باركر . فلما قدم أحد زملائه إلى المحاكمة كان وكيل النيابة رجلاً يدعى ج. إرل سميث ، وعلى الرغم من قوة الدفاع فقد أدين المتهم . وفى صبيحة الغد وجدت جثة وكيل النيابة مطروحة على بساط العشب أمام نادٍ فى الريف ، وقد مزّقها الرصاص . ذلك بأن هذا الرجل قد قضى على أمل العصابة فى نجاة صاحبها .

أما مصير هاريسون أحد صغار أعوان « دوك » فقد كان أفظع . وكانت أمه قد كتبت إليه من منزلها حيث تشتىّ ، أن هاريسون قد أفشى بعض الأسرار إلى بعض أعضاء العصبة . وقد توسّل دوك باركر بالرفق والمودة ليأخذ هاريسون معه فى سيارته إلى مزرعة مهجورة ، وفى مخزن المزرعة أطلق على رأسه رصاصاً أرداه ، ثم أشعل النار فى المخزن . وكتب إلى أمه فى اليوم التالى فقال : « لقد أنجزت لك تلك المهمـة ، ولو توليتها أنتِ لما كان إنجازها أتمّ . وأنا دائماً فى خدمتك كمصلحة التلفون . ها . ها . ها » .

وصار الرعب يساور الناس حتى المجرمين أنفسهم ، إذا كانوا ممن يعرف دوك معرفة يسيرة ، وصار الذين لا يعرفونه يأبون أن يتعرفوا إليه ، فإن أسطورة غوائله الدامية أخذت تتوطد وتنتشر .

أما الآن فقد أخذ رجال الشرطة يتوسلون بكل وسيلة بين أيديهم ليتعقبوا أثرهُ . وقد علمنا أنه هو الذى دبّر خطف وليم هام

صاحب مصانع الجعة الغنيّ وأخذ مئة ألف ريال فدية له ، وبلغنا أن جماعة من أتباعه قد ذهبوا في سياراتهم إلى منتجع لينفقوا نصيبهم من المال في حماية بعض أصحابهم من المشتغلين بالسياسة .

ثم علمنا أن الفتى الخجول الذي كانت تدلله أمه ، قد اتخذ لنفسه خليلة وأقام معها في شيكاغو ، فبثثنا عليه العيون ليل نهار . ولقد دلّ رجالنا ، دون أن يدري ، على مخابيء أصحابه حيث أقاموا مستترين بعد حادثة خطف بريمر . وأخيراً دنت ساعة « الكبسة » في صبيحة يوم من أيام الشتاء ، فلما أحدق به رجالنا في الشارع ، حاول أن يفرّ ، فزلّت قدمه على الجمد وسقط على وجهه سقوطاً مزرياً .

وحكم عليه مرة أخرى بالسجن مدى الحياة ، في سجن « ألكتراز » ، وهناك قابلته واقفاً وراء قضبان الحديد .

حدّق فيّ ، وكانت البغضاء تشع من عينين سوداوين لاقرار لها . وإني لأتذكره الساعة كما رأيته يومئذ ، فأحسّ برذاذ بصاقه القذر حين سدده إلى من خلل القضبان .

وقد كانت البغضاء في وجهه دليلا على شهوة قوية في باطنه ، وكان يدبر الوسيلة للفرار حتى في تلك الساعة . وقد فرّ ! ويباهي عالم المجرمين بأنه استعان بحيلة بارعة ، فقد أنبأ حراسه بولعه بالموسيقى ، فهل ثمة مايمنعهم أن يزودوه بآلة موسيقية صغيرة — هارمونيكا . وقد تندّر المجرمون بأن الآلة التي أرسلت إليه كانت تخفي منشارين صغيرين أخفيا تحت صفائحها .

وقد ظفر بالمنشارين يوم ١٣ يناير عام ١٩٣٩ فنشر بهما قضيبين من قضبان الحديد في باب حجرته وخرج ، وكذلك فعل أربعة من المجرمين . وجازوا المبنى إلى نافذة في الجدار الخارجي ، ثم قطعوا الحاجز المصنوع من الصلب وهبطوا إلى الأرض .

وسرعان مادق جرس الخطر . وفي الساعة الرابعة والدقيقة العاشرة قبل الفجر ، سددت الأنوار الكشافة فكشفت دوك باركر في مكان على الشاطيء وقد أبى أن يستسلم ، وجعل يبحث مذعوراً عن مكان يحتمي به ، والمدافع الرشاشة والمسدسات الآلية تقذف نارها عليه .

فالرجل الذي عاش بإطلاق النار مات بالنار . وقد كانت كلمته الأخيرة في مستشفى السجن : « لقد كنت مجنونا ! »

أ كان ماقال حقاً ؟ إذن فجنون المجتمع أعظم . فلم لم يتبين المجتمع أن باركر مجنون

ـ إن كان مجنوناً حقاً ـ قبل أن يرتكب هو وعصابته ثلاث عشرة جريمة ؟ ولو تبين مدرّسوه أن سلوكه منافٍ لقواعد الاجتماع ، أو كان في المدرسة طبيب نفسيٌّ ليفحصه، لتيسر لهم أن يباعدوا بينه وبين أثر أمه الأثيم . ولو فعلوا لكان سلوكه الملتوي خليقاً بأن يستقيم إذا ظفر بالعناية الصحيحة . فإذا ثبت أن العناية به غير مجدية عزل عن الناس في معهد خاص .

وسوف يجيء يوم يتيسر فيه للمجتمع أن يستعين بمثل هذه الأساليب على مساعدة أهل الشذوذ ، وعلى حماية نفسه منهم أيضاً .

نعم خالي البال

قضيت أياماً مع زوجي في نزل صغير في قرية هادئة بوادي نهر المسيسبي ، فلاحظت شيخاً يملأ سلة بالطعام بعد كلّ وجبة ويأخذها ، فظننت أن زوجته مريضة فسألته ذات يوم كيف حالها .

فقال بلهجة الساخط : « إنها لم تمرض قط في حياتها » .

فقلت : « إذن أنت تأخذ الطعام إليها لأن الجو شديد الحرارة »

فقال : « لا . فقد مضت على ثلاثون سنة أنقل إليها الطعام ثلاث مرات كلّ يوم . إنها لا تحب أن تطبخ »

فقلت : «ولكن ألا تستطيع أن تأتي إلى النزل على الأقل فتأكل معك؟»

فقال : « تستطيع ، ولكنها لا تحبُّ أن تمشي » . [ليونور والترز]

ظلّت سيدة أمريكية من الشمال طوال الشتاء تسعى إلى ابتعاث الهمة في جماعة من البيض في الجنوب، عسى أن يحيوا حياة أرحب وأحفل . ثم جاء يوم رحيلها فنادت أحدهم ، وكان أوفرهم نشاطاً وأسرعهم إلى العمل ، وقالت : « يا جيم عدني انك ستبذل غاية جهدك حتى تتقدم » .

فقال وفي لهجته شيء من التردُّد : « لا أجد نفعاً في العجلة ، ما دمت على ثقة من أن لكل يوم غداً تاماً جديداً لم ينتقّص أحد من أطرافه شيئاً » .

[م . ى . سوير]

الطبيعة أسبق

جون ى. بيتى

كتاب "الطبيعة أغرب مما يتخيله الخيال"

في قديم الزمان قبل أن يخطر للإنسان أن يسعى إلى السيطرة على الحرارة بمواد عازلة مما تهيئه له الطبيعة ، كانت حشرة فرس النبي المفترسة تصنع لبيضها ما يشبه الزجاجات المفرغة التي تحفظ فيها الماء بارداً أو القهوة ساخنة، وتنتفع بها في حماية بيضها من عوادي الجوّ المتقلبة . فهي تحيط بيضها بكتلة هشة خفيفة من الفقاعات ، وما تحتويه الفقاعات من الهواءِ يقوم مقام الطبقة المفرغة حول الزجاجة ، فيقلل تسرُّب الحرارة أو البرد إلى داخلها ، فيظلُّ البارد بارداً ، والساخن ساخناً ، ومهما اشتدّت حرارة الجوّ أو قرس بردهُ ، ترى البيض الطرى داخل هذه الغلالة بمنجاة من غوائلهما .

من طبائع العنكبوت النسّاج أن تفرز خيطاً دقيقاً وتمدّه كالوتر إلى قلب بيتها فيكون أشبه ما يكون بخط التلفون . ثم تحمل الطرف الآخر من هذا الخيط إلى مكان خفيّ وتنام ملء عيونها . فإذا ما حطّت حشرة ما في بيتها اهتزّ هذا الخيط المشدود فيوقظها فتجرى عليه كأنه جسر إلى قلب بيتها أولا ، ثم إلى الحشرة الأسيرة ، فتغلبها على أمرها .

ولنحل العسل نظام كنظام ضبط الهواءِ ، فهى تحفظ الهواء على درجة ثابتة من الحرارة والتهوية التامة ، لكى تظفر يرقاتها بأسباب الحياة والنمو ، ولكى يبلغ عسلها تمام نضجه ويجود طعمه . وذلك أن إجهاد العضل فى بعضها يولد حرارة فى أبدانها تشع فى الخلية ، ثم ترى طائفة أخرى من النحل جاثمة على أرض الخليـة تحرّك أجنحتها بسرعة معيّنة محكمة لتولد تياراً من الهواء كفيلا بالتهوية كما تريدها .

تستطيع طوائف من العناكب والزنابير أن تحفظ اللحم أسابيع فلا يفسد دون أن تلجأ إلى جمد أو ثلاجات . والعناكب تحتاج إلى اللحم الطرىّ فى طعامها ، وهى لا تستطيع أن تضمن الظفر به كل يوم ، فهى لذلك تحفظ ما يفيض عن حاجتها ، حين تصيبه ، بمادة تفرزها فى أبدان الحشرات التى تصيدها ، فتخدرها دون أن تميتها . وكثير من الزنابير يجرى على الطريقة نفسها . فصغار الزنابير تحتاج إلى اللحم الطرى ، ولذلك ترى الآباء يفرزون هذا السائل المخدّر فى أبدان العناكب والأساريع التى تصيبها ، ثم يدّخرونها طعاماً لصغارهم .

أوراق وفوط وملاءات ومعاطف مطر ، وأشياء شتى من أدوات البيوت ، تصنع من ورق لا يؤذيه البلل .

ورق لا يضره البَلل

لويس ستوفر

مختصرة من مجلة «العلم العصري» الشهرية

في يوليو ١٩٤٣ وصلت إلى كتيبة مدرعة أمريكية ، خريطة مطبوعة على ضرب جديد من الورق ، وأُمروا بأن يعركوها عَرْك الرحى حتى يروا مبلغ احتمالها .

وجاء تقرير الكتيبة بعد أسبوع فإذا الخريطة قد (١) غطست في الماء ٢٠ مرة ثم عصرت عصراً شديداً كما يعصر الثوب المبلول ، (٢) طويت مراراً وضربت بكعوب البنادق ، (٣) لطخت بالشحم ، (٤) بُلت بالبنزين ، (٥) ألقيت في الوحل ووطئت بالأقدام ، (٦) غليت في ماء أذيب فيه الصابون ثم دعكت بفرشة قاسية الشعر ، (٧) ثبتت على أرض حجرة الضباط ومشى عليها رجال الكتيبة جميعاً ، (٨) مرت عليها دبابة .

وقد جاء في التقرير ، أن كل هذا « لم يترك فيها أثراً ظاهراً » .

كان ذلك بدء الانتفاع بورق لا يضره البلل ، أتقنت صنعه شركة س . و . وارن ، وهو ورق يبدو كأي ورق ولكن أليافه متماسكة تماسكا قوياً ، إذ خلط به مقدار يسير من اللدائن .

وعلاج الورق على هذا المنوال قد أخذ يمتدُّ إلى مئات من الأشياء المصنوعة من الورق ، فإن فوط الورق التي تمسح بها يديك في الأماكن العامة ، لا تتفتت حين تبتل ولا تترك نتفاً منها على يديك ووجهك . والأكياس التي تضع فيها الخضر التي تقطر ماء لا يبتل قعرها ولا ينهار . وما هو إلا قليل حتى تظفر بورق للرفوف والجدران يسهل غسله ، وفوط ورق للمائدة لا تطرحها عقب استعمالها مرة واحدة ، وكذلك المناشف واللايات ، والأغطية ، وفوط الأطفال ، ومعاطف المطر — وكلها مصنوعة من هذا الورق .

وقد استعمل الجيش الأمريكي في الحرب ٤٠٠ مليون خريطة من الورق الذي لا يضره

البلل ، وكان منها ١٢٥ خريطة فى غزو نورمندى . وقد كانت هذه الخرائط شيئاً لا غنى عنه فى غابات الجزائر فى جنوب المحيط الهادى ، حيث ترتفع درجة الحرارة وتكثر الرطوبة ، وحيث لا يلبث الورق العادى ساعات حتى يعلوه العفن .

وقبل أن توفى الحرب على نهايتها ، كان رجال الجيش والأسطول قد انتفعوا بهذا الورق فى كل شيء يكون عرضة للرطوبة ، فقد وضعوا مقادير من المؤونة فى أكياس كبيرة وألقوها فى البحر فظلت عائمة حتى قذفها الموج إلى الشاطىء ، فانتشلوها . وكثيراً ما كانت تكدس أكواماً فى الفضاء فتظل شهوراً لا يصيبها تلف . وكل ربة بيت خزنت فى القبو الرطب من بيتها علباً من الطعام المحفوظ فى صندوق من الورق المقوّى (الكرتون) تعلم أن رطوبة الأرض تتلف قعر الصندوق ، فلا تكاد ترفعه حتى يسقط ما فيه بين يديها ، فهذا الضرب الجديد من الورق خليق بأن ينال عنايتها .

وقد مهد هذا الورق أيضاً لتيسير شحن الثمار الغضة والخضر فى أكياس أو علب مصنوعة منه .

وأنت تظفر بهذه المناعة على البلل باستعمال أحد نوعين من اللدائن ، تجدهما عادة فى علبة البطارية الكهربائية ، والأغطية التى تتخذ لزجاجات الأدوية والعطور ، فيضاف أيهما شئت إلى رُبّ الورق بغير أن يحتاج الرُّب إلى أى معالجة أخرى ، ثم يدفع الربُّ بين الأسطوانات الساخنة فى آلات صنع الورق ، فيجف الخليطُ فيصير ورقاً ، وتثبت دقائق مادة اللدائن فتصير غير قابلة للذوبان . فهذه الدقائق تربط ألياف الورق بعضها ببعض ، ولا تنحلُّ مهما بُلَّ الورق بعد ذلك .

إن مناعة الورق على البلل لا تعنى أن الماء لا يخترق الورق ، فهذا الورق يبتل كأى ورق . ولكنه متماسك فلا يتمزق ولا ينقطع ، وفى وسعك أن تجعله مانعاً لنفاذ الماء منه إذا عالجته بصمغ أو شمع . وقد صنعوا منذ عهد قريب كيساً من طبقات من هذا الورق بينها إسفلت لمنع الماء من النفاذ ، ثم مُلىء الكيس دقيقاً وألقى فى نهر نياجرا ، فهوى من فوق الشلال وظل سبع ساعات ونصف ساعة يصدم الصخور عند أسفل الشلال ، فلما استردوه كان الكيس لا يزال صالحاً للشحن ، وكان الدقيق الذى فيه جافاً .

واستعمال الصمغ المركب الجديد يزيد من متانة الورق ، جافاً كان أو مبلولاً ، لأنه يربط ألياف الورق بعضها ببعض . وتستطيع أن تجعل الورق متيناً مادام جافاً إذا أضفت إلى رُبّه أليافاً طويلة ، ولكن

الانتفاع بالصمغ بجديك المتانة نفسها دون إضافة الألياف الطويلة ، فيستطيع صانعو الورق أن يستعملوا ربّ الخشب القصير الألياف ـ وهو كثير ـ بدلا من رب الخشب الطويل الألياف ، وهو قليل ، فيفضى ذلك إلى الضن بهذا المورد الآخذ فى النقصان .

والورق الذى لا يضره الماء يجب أن لايكون أغلى من الورق المألوف اليوم . ومتانته الناشئة من إضافة اللدائن ، تيسر لصانعى فوط الورق ، مثلا ، أن يجعلوها أخف وزناً وأجدى على مستعملها . وفوطة مصنوعة من هذا الورق ليست أشد امتصاصاً للماء من فوطة مصنوعة من الورق المألوف ، ولكن متانتها بعد أن تبتل تكفل الانتفاع بها حتى تتشبع من الماء ، وحينئذ تقوم الفوطة الواحدة مقام ثلاث فوط من الورق المألوف . أما أكياس الخضر المصنوعة من الورق الأسمر الذى عولج باللدائن ، فآخذة فى الازدياد ، وسوف تجدها ربة البيت أصلح ما تكون لتبطين وعاء الزبالة .

أما والورق اليوم لايزال قليلا ، فالانتفاع بهذا الأسلوب الجديد لايزال فى بدئه . وفى المستطاع أن يصنع معطف من هذا الورق بعد معالجته حتى لاينفذ منه ماء المطر ، فتشتريه من أقرب دكان إليك بربع ريال ، وترتديه فى حفلة رياضية إذا أنذرت السماء بالمطر ، ثم تطرحه . وقد صنعت هذه المعاطف فى الحرب ، ولبسها الفدائيون فى بعض غاراتهم على فرنسا .

وقد صنع أحد رجال المصانع نموذجاً لملاءة تستطيع أن تفرشها على شاطىء البحر أو فى بستان حين تخرج مع أهلك للنزهة ، ولا يعوقه عن إنتاجها سوى قلة المواد اللازمة له . ومما تمتاز به هذه الملاءة أنها تردُّ الماء وتعكس ضوء الشمس ، ولا تلتهب ، وقد أثبتت التجارب أن غمرها فى الماء ١٢ ساعة لا يؤثر فيها ، ثم إنها تصلح فرشاً يلعب عليه الطفل ، وغطاء لمقعد السيارة ودثاراً للنائم فى خيمة ، وغطاء للحشايا .

ولعل أروع مثال على منافع هذا الورق فى المستقبل ، هو بيت بنى كله بالورق فى أرض « معهد كيمياء الورق » فى مدينة أبلتون بولاية ويسكونسن ، وهو بيت مؤلف من حجرة واحدة طولها ١٦ قدماً وعرضها ثمانى أقدام ، وقد كلف الورق اللازم لبنائها ٥٠ ريالا ، وجدرانها مصنوعة من ورق مقوى مضلع سمكها بوصة ، وقد بلغت من المتانة مبلغاً عظيما ، فلم يكن ثمة حاجة لهيكل من خشب أو صلب . ومع أن ورقها عولج بأسلوب قديم لجعله منيعاً على الماء ، إلا أنك ترى البيت لا يزال قائماً

بعد تعريضه سنتين لعوادى الجو المختلفة .
وقد وضعت الخطط لصنع مثل هـذا البيت على أساس يجعله صالحاً للتجارة . وينتظر أن تنتفع به الأسر التى تترقب تشييد دورها ، أو جماعات النـاس التى تخرج إلى الصـيد أو التخييم فى الفضاء .
إن « بيت أبلتون » هذا رمز لضرب جديد من الورق . وهذه مادة من أرخص المواد قد اتسع نطاق نفعها أضعافاً كثيرة بعد أن كان ضيقاً محدوداً .

الحياة مع أبى

يروى الممثل تشارلز كوبرن هذه القصة: «أولعت فى صغرى بالمسرح، وبدأت أحضر ما يمثل من الروايات كلما سنحت الفرصة ، فحذرنى أبى ذات يوم فقال: ينبغى لك يا بنىّ أن تمتنع عن شىء واحد : احذر أن تذهب إلى مسارح المهازل
« فسألته طبعاً : ولم ذلك ؟ فقال : لأنك ترى أشياء ينبغى أن لا تراها .
« فكان فى ذلك فصل الخطاب ، فما كدت أوفر من مصروفى أجرة الدخول حتى ذهبت إلى أحـد تلك المسارح . وقد كان أبى على حق . فقد رأيت ما لا ينبغى أن أراه — رأيت أبى » . [صحيفة « بلتيمور نيوز بوست »]

Oo··oOOo··oO

كان الملك جورج الخامس مشهوراً بالحرص ، وسعى جهـده أن ينشىء أولاده عليه . أما ولىُّ عهده فكان مشهوراً يومئذ بالتبذير ، وقد كتب إلى أبيه الملك من المدرسـة يطلب منه أن يرسل إليه مبلغاً من المـال علاوة على مخصّصاته . فتلقى ردّاً شديد اللهجة فيـه تأنيبٌ وحثٌ على تغيير ما ألف من عادات ، وعلى الاقتداء برجال الأعمال . وقد حمل البريد التالى إلى الملك رسالة من ولى عهده يقول فيها :
« لقد جريت على نصحك ، وبعت لساعى رسالتك الأخيرة إلى من يجمع رسائل الملك بخمسة وعشرين جنيهاً » [لويس سوبول]

إحدى مغامرات التاريخ — شعب جرىء يهدده ويحدق به فاتح غضوب ، بيد أنه لايرتاع بل يؤازر الشعوب التى تقاتله مؤازرة صادقة .

إماطة اللثام عن حياد السويد

رالف والاس

مختصرة من صحيفة "منيابوليس تريبيون"

فى إسكندناوة إبان الحرب العالمية الثانية مغامرة تعد من أكبر المغامرات التى عرفها التاريخ . وما علم أحد إلى يومنا هذا — اللهم إلا نفر قليل من كبار الساسة فى أمريكا وإنجلترا — أن السويد التى طالما وجهت إليها تهمة الميل إلى ألمانيا ، قد ساعدت الحلفاء منذ بدأت الحرب فزودتهم بالعتاد الحربى والأنباء .

وثمة رجلان لا غير من كبار موظفى السويد كانا يعلمان أن أعوان هيئة المخابرات السرية السويدية المنبثين فى كل مكان يتوفرون على جمع أنباء ترسل رأساً إلى مفوضيات الحلفاء ، فتدلهم على كل ما يحدث فى مقر قيادة هتلر يوماً بعد يوم . وقد عرف الحلفاء ، بفضل هذه الأنباء ، أسرار القنابل الطائرة قبل أن تلقى على لندن بعدة أشهر ، بل وصلتهم خرائط مصغرة لمواقع بطاريات المدافع التى تطلق قنابلها على إنجلترا من شاطىء كاليه .

ولما كانت السويد مطوقة من نواحيها بالألمان ، فقد اضطرت إلى التظاهر بالحياد ، ومع ذلك ففى السنين الأولى من الحرب تسربت منها خفية إلى الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى شحنات من كرات المحاور ومن عتاد كثير عظيم الخطر . وهرب من السويد سنة ١٩٤٠ نموذج من مدافع بوفرز



« وأنا فيما يخصنى أومن بأنه خير للأمة أن تموت شريفة من أن تعيش مجللة بالعار »

إلى قراء المختار

في أعداد أغسطس وسبتمبر وأكتوبر ونوفمبر من المختار قسائم، فاقرأوا كيف تمكنكم ثلاث قسائم، تفصل من ثلاثة أعداد مختلفة، من أن تظفروا بنسخة من هذا الكتاب النفيس مجاناً - بغير ثمن

كيف تحصل على نسختك من كتاب "هل أنت حي"

في أعداد أغسطس وسبتمبر وأكتوبر ونوفمبر قسائم كهذه القسيمة، وعلى كل منها تاريخ العدد الذي ترفق به.

فإذا أردت أن تظفر مجاناً بنسختك من هذا الكتاب النافع الممتع الجديد، فما عليك إلا أن تفصل هذه القسائم، فإذا جمعت ثلاثاً من الأعداد الأربعة المختلفة وأرسلتها إلينا، ومعها اسمك وعنوانك إلى:

المختار ١٤ شارع القاصد
القاهرة

فنرسل إليك على الفور نسختك من هذه الهدية الثمينة، مجاناً وخالصة أجرة البريد. لا ترسل إلينا القسائم متفرقة، انتظر حتى يجتمع عندك ثلاث منها من ثلاثة أعداد مختلفة.

الاسم ....

العنوان ....

هذه قسيمة مختار نوفمبر ١٩٤٦

المضادة للطائرات عيار ٤٠مم ، وهو من أهم الأسلحة التي ظهرت في هذا الحرب ، فوصل إلى الولايات المتحدة التي عمدت إلى صنع آلاف مؤلفة منه . وأرهق كبار ضباط السويد أنفسهم ، في تعبئة المدافع الرشاشة والقنابل اليدوية في مستودعات الأسلحة الخفية لكي يرسلوها إلى رجال المقاومة السرية في الدنمرك والنرويج .

ولما كنت في أستكهلم منذ بضعة أسابيع قال لي ألبين هانسون رئيس وزراء السويد: «هكذا كانت السويد طوال سنوات الحرب، وإنها لمعجزة أنْ كتبت لها السلامة ! »

وقد ظللت بضعة أسابيع أبحث بحثاً مستفيضاً في بلاد السويد ، جعلني أومن بأن كل رجل من أهل السويد كان حريصاً على أن يسعى في هزيمة ألمانيا ويتمناها، ولا أستثني سوى فئة قليلة من كبار رجال الحكومة ورجال الأعمال . نعم كان فيهم من يشايع الألمان بقلبه ، وعُرِف بعض كبار الضباط في الجيش والأسطول بأن قلوبهم مع النازي ، بل عمد ضابط سويدي ذات يوم إلى فتح مكتب سري لجمع شبان يلحقون بجنود الصدام الألمان من حرس هتلر، غير أن السواد الأعظم كان نصيراً للدول الديمقراطية . وهذه المقالة تكشف الستار لأول مرة عن أكثر الأدلة التي تدل على ذلك .

لو شاءت السويد الانضمام إلى الحلفاء لوجدت يدها مغلولة ، فجميع مصانعها تعتمد كل الاعتماد على الفحم الألماني ، ولو عبأت جيشها بأجمعه لما تجاوز ٣٠٠ ألف من جنود لم يدرّبوا تدريباً كاملا . وعلاوة على ذلك فإن ٧٥ في المئة من واردات السويد الجوهرية تصلها عن طريق البحر ، ويستطيع الألمان إذا شاءوا أن يضربوا عليها الحصار .

وأصرّ النازي على أن ألمانيا تستطيع أن تستوعب كل صادرات السويد ، ولكن السويد تمسكت بحقها في الاتجار مع كلا الطرفين ، وطلب منها النازي أن يزيدوا ما كانوا يشترونه من الحديد، فرفضت السويد وخفضت ما تصدره من الحديد إلى ألمانيا بنسبة ٢٥ في المئة .

وقد واجهت السويد في مطلع سنة ١٩٤٠ اول أزمة دبلوماسية ، إذ كانت روسيا وألمانيا لا تزالان تطنطنان بوفائهما لميثاق عدم الاعتداء المعقود بينهما ، ولكن ساسة

رالف ولاس مؤلف وصحفي أمريكي مشهور ، وقد قضى منذ عهد قريب بضعة أشهر في أوربة الشمالية، وقد بنى هذه المقالة على محادثات عقدها مع كبار رجال الحكومة من السويديين والبريطانيين والأمريكيين ، وزعماء حركة المقاومة السرية في البلاد الاسكندناوية ، وعلى بحث مستفيض في وشنطن ولندن وأستكهلم وكوبنهاجن .

السويد كانوا يرون أن هذا الميثاق تحالف غير طبيعي سوف تنحل عقدته على الزمن. وكفى دلالة على صحة هذا الرأي أن الألمان أبدوا قلقاً لامراء فيه من خشية تحول مناجم النيكل في فنلندة إلى أيدي الروس إذا هزمت روسيا فنلندة، وكانت فنلندة وقتئذ على شفا الهزيمة.

وفي ذلك الحين طلب الفرنسيون والبريطانيون أن يؤذن لهم بمرور قوات الحلفاء لنجدة فنلندة. وقد حاول جنتر وزير خارجية السويد — في مؤتمرات سرية — أن يثني الحلفاء عن عزمهم، وسألهم هل عندكم مدد حربي يكفي لإنقاذ فنلندة؟ إنه يشك في ذلك. وأهم من هذا كله، أن الهجوم على روسيا سيوحد بينها وبين ألمانيا إلى أن تسحق قوة فرنسا وإنجلترا. فهل يجسر الحلفاء على مثل هذه المخاطرة؟

ولكن الفرنسيين والبريطانيين قدموا في ٢ مارس سنة ١٩٤٠ طلباً رسمياً يرجون الإذن بمرور جندهم، فاجتمعت الوزارة السويدية على عجل وقررت بإجماع الآراء رفض الطلب ووافق الملك على ذلك.

وقد اعترف ممثلو بريطانيا وفرنسا وفنلندة بعدئذ أنه ربما كان قرار السويد هو الذي أنقذ الحلفاء من هزيمة ماحقة تنزل بهم من جراء اتحاد روسيا وألمانيا على حربهم.

جواسيس من رجال الأعمال

وقد أثبتت الجاسوسية السويدية منذ مبدأ الأمر أنها أصدق علماً من مثيلاتها في أوربا، فأكبر أعوانها كانوا من رجال الأعمال البارزين الذين عاشوا سنوات طوالاً في ألمانيا وجابوا أقطارها. ففي سنة ١٩٤٢ مثلا أغارت قاذفات القنابل البريطانية على مصنع للزيت الصناعي في مدينة بتنهايم، واتفق أن كان أحد رجال الأعمال من السويديين في تلك المدينة، فلم يمض يوم واحد على الإغارة حتى طار النبأ إلى إنجلترا بأن القنابل لم تصب إلا بناء يشبه المصنع أقيم للتضليل، فعادت القاذفات بعد بضعة أسابيع وهدمت المصنع المقصود.

ومما ساعد الجاسوسية السويدية أن كثيراً من كبار موظفي النازي كانوا يضمرون الاحتقار لهتلر.

فقد حدثت في فجر يوم ٣١ مارس سنة ١٩٤٠ في برلين أن دقت يد متلهفة باب أحد رجال الأعمال السويديين ولنطلق عليه اسم س. وكان القادم طبيباً له أصدقاء حميمون في حاشية هتلر، وأفضى إلى صاحب الدار بأنه قد علم بأنه قد تقرر الهجوم على إسكندناوة يوم ٩ أبريل، وأن سفن الغزو قد حشدت فعلا في ميناء ستيتين.

فلم ينتصف النهار حتى اجتمع فى المفوضية السويدية نفر من الموظفين أخذ منهم الاهتمام كل مأخذ، وتساءلوا بينهم : هل سمع أحد مثل هذه الإشاعة ؟ كلا . ولكن هناك دلائل وقرائن، فقد لاحظوا أموراً لم يفقهوا مغزاها من قبل، فإذا به يتجلى لهم الآن بوضوح . إذن لامفرّ من العمل فوراً. ولكن كيف ؟ وقرّ الرأى على اثنان أحد رجال الكنيسة السويدية فى ستيتين .

وفى عصر ذلك اليوم نفسه تسللت عصبة من كبار رجال الكنيسة السويدية فى ستيتين، يخالهم من رآهم أنهم خرجوا فى نزهة إلى شاطىء الميناء، وعادوا بنبأ مهول: فالعمال منهمكون فى شحن ٤٠ سفينة بالعتاد الحربى، ونفر من برلين رسل دبلوماسيون لإبلاغ النبأ إلى وزارات النرويج والدنمرك وأرسلت به برقية رمزية إلى أستكهلم . ولما جنّ الليل كان س . . قد عرف من أصدقائه فى حاشية هتلر أنه قد تقرر غزو النرويج والدنمرك لا السويد .

ولم يسع وزارتى الخارجية فى أوسلو وكوبنهاجن أن تصدّقا هذا النبأ، وذهب وزير خارجية النرويج يقابل وزير ألمانيا المفوض، فأكد له الوزير سراً أن السفن إنما أعدت لغزو هولندة وبلجيكا . وجاء يوم الثلاثاء فإذا بأهل الدنمرك والنرويج يستيقظون على قصف مدافع الجيوش الغازية.

وحملت صحافة السويد بعنف على ألمانيا بعد هذا الهجوم، مما جعل هتلر يظن الظنون بنيات حكومتها، ونصح أصدقاء السويد فى الحاشية المقربة لهتلر، بإرسال وفد شبه رسمى يؤكد له حيادها . وقد جاءه هذا التأكيد، ولكن يصحبه إنذار قاطع : إذا هجم هتلر على السويد فإنها ستنسف كل مصانعها الحربية ومناجمها وسككها الحديدية .

وقد طلب هتلر، على لسان جورنج، أن تباح له الاستعانة بالسكك الحديدية التى تجتاز السويد إلى مياه نارفيك، لإرسال الطعام والعلاج ونفر من رجال الصليب الأحمر، وقد اتهم بعض هؤلاء الرجال فيما بعد بأنهم من خبراء التخريب قد تخفوا فى زى الصليب الأحمر . فأجابت السويد هذا الطلب على مضض . واقترح الألمان علاوة على ذلك أن تلحق بالقطارات عربات بضائع تحمل عتادا حربيا، وأن تتعهد السويد بأن لاتفحصها أوتفتشها، فرفض هذا الطلب رفضاً باتاً . فعمد الألمان فورا إلى الوعيد، وحلق سرب من الطائرات الحربية فوق جنوب السويد، فأسقط منه ٧ طائرات وهى تحترق .

وحدث أثناء ذلك أن نزل الحلفاء فى

نارفيك وأجلوا الألمان عنها ، وأصبح الجيش الألمانى فى شمال النرويج ووسطها فى حرج ، فأسرع فون روبنتروب وهو يكتم غضبه ، وأبلغ أرفيد ريتشر وزير السويد المفوّض أن رفض بلاده أن تأذن من جديد بمرور عتاد حربى سيعد عملا غير ودّى ، وأن هتلر لن يحجم عن شىء حتى غزو السويد ، من أجل إنقاذ جيوشه .

وفى تلك الليلة — ١٧ مايو — اجتمعت الوزارة تحت جنح الإظلام الذى فرض لأول مرة على أستكهلم احتياطاً خشية الغارات ، وأخلى بعض أحياء المدينة من سكانها ، ولمعت أسلحة الجند على الحدود ، ونسفت المعابر المؤدية من النرويج إلى السويد. وقام هانسون رئيس الوزراء فى المجتمعين يشرح المطالب الألمانية ، وهو رجل أصلع وقور ، جهم المحيّا ، أزرق العينين جامد النظرات ، ولم يكن هانسون قط رجلاً مشبوب النفس تغلبه العاطفة ، بيد أن صوته ارتجف وهو يختم خطابه قائلا : « إذا رفضنا فأغلب الظن أننا سنتعرض للغزو والاحتلال ، وإذا قبلنا أضمر لنا الشعب عداوة لن تموت » . ثم تريث قليلا وقال : « وأنا فيما يخصنى أومن بأنه خير للأمة أن تموت شريفة من أن تعيش مجلّلة بالعار ، فلا مفرّ إذن من رفض الطلب » .

فانعقد إجماع الوزارة على رأيه ولم يرتفع صوت واحد يعارضه .

ولعل الذى عاق هتلر عن تنفيذ وعيده بالغزو هو أنه شغل بالحرب الخاطفة التى اجتاح بها فرنسا وبلجيكا وهولندة .

ولما قاربت سنة ١٩٤٠ على نهايتها ، إذا بالسويد تواجه مشكلة أخرى ، إذ ظلت أشهراً عدة تشحن آلاف الأطنان من البضائع إلى إنجلترا عن طريق بتسامو ، ولكن البوارج الحربية الألمانية ضربت بعدئذ الحصار على بتسامو ومضيق سكاجيراك ووقفت فى ميناء جوتنبرج على الشاطىء الغربى للسويد خمس سفن نرويجية حديثة البناء . هذا وبريطانيا فى حاجة شديدة إلى الصلب السويدى ، فجمعت فى جوتنبرج لكل سفينة طائفة كاملة من البحارة تريد أن تخترق بها الحصار . فهل ترخص السويد لهذه السفن بالإبحار إلى إنجلترا فتستولى عليها الحكومة النرويجية التى فى المنفى ؟

ووافقت الحكومة فى هدوء على إبحارها ، وأرسلت معها سفن حراسة لتحميها وهى تسير حذاء الشاطىء السويدى محملة بـ ٢٥ ألف طن من العتاد الثمين . ولما اقتربت السفن من ليزيكيل حيث يجب أن يبدأ انطلاقها لاختراق الحصار المضروب على سكاجيراك ، توقفت وألقت مراسيها ، إذ لم

تشهد تلك المناطق برداً أشد زمهريراً من شتاء ذلك العام، فإن رياح شهر يناير — وقد هبطت الحرارة تحت الصفر — كست مياه البحر بساطاً من جليد أطبق على هيا كل السفن ، ووقف جورج بيتى الضابط الإنجليزى الذى يتولى قيادة القافلة ، يجول بنظره فيما حوله وهو رابط الجأش. إنه يعرف قوة سفنه الجديدة ، وقدّر — وكان على حق فيما قدّر — أن الألمان لا يعرفون ما يعرف . وقد ظلت طائراتهم المستكشفة تحلق فوقها بضعة أيام حتى اعتقد الألمان أنها حبيسة فى الجليد طوال الشتاء ، فكفوا عن إرسال طائراتهم . وفى تلك الليلة نفسها شقت السفن بساط الجليد واخترقت الحصار وانسربت إلى ثبج البحر ووصلت جميعها سالمة إلى إنجلترا . وأنشأ الإنجليز فيما بعد خمس سفن شحن صغيرة تماثل المدمرات فى سرعتها ، واستخدموها بمساعدة السويد فى نقل البضائع الثمينة إلى إنجلترا كل أسبوع .

وفى مطلع سنة ١٩٤٢ جاءت النذر مرة أخرى بأن الألمان يعدون العدة لغزو السويد، إذ كان هتلر فى حاجة إلى سككها الحديدية لتأمين مواصلاته أثناء الحملة الروسية .

وأخذت خطط هذا الغزو المنتظر تتبين شيئاً فشيئاً على مرّ شهر يناير ، فعلم أن ٤٣ فرقة ستهاجم السويد براً وبحراً من الدنمرك والنرويج وشمال ألمانيا ، وجعل موعد الغزو فى أواخر فبراير ، ولكن لم ينصرم شهر يناير حتى تمت تعبئة الجيش السويدى بأكمله وتدفق الجند إلى الحدود.

واندفع الفيلد مارشال فون بوك إلى مقر قيادة هتلر فى برلين وهو يصرخ : «لقد وشى بنا واش إلى هؤلاء السويديين اللاعين» . وهذه الألفاظ ذاتها بلغ خبرها جواسيس السويد، ثم طلب المارشال مدداً من عشرين فرقة أخرى ، ولكن هتلر لم يسعه أن يمده بالمدد المطلوب ويقتطعه من المدد المرسل إلى روسيا ، وهكذا نجت السويد بفضل يقظتها وانتباهها .

الحرب الخفية

إن مشاركة السويديين فى جهاد رجال المقاومة السرية فى الدنمرك والنرويج لا تقل روعة عن قصص المغامرات الجريئة . ومن أوائل مآثرهم تهريبهم العالم الدنمركى الشهير نيلز بوهر إلى السويد ثم إلى الولايات المتحدة، حيث أصبح ذا مكانة ظاهرة بين العلماء المشتغلين بكشف الطاقة الذرية .

وقد حملت السفن أثناء الحرب أكثر من ١٨٠٠ راكب بين السويد والدنمرك،

لم يقع منهم فى أسر سفن الحراسة الألمانية سوى ثلاثة وحسب ، وكان بين الركاب عدد من الطيارين الأمريكيين ممن أسقط الألمان طائراتهم فى الدنمرك . ومن أمثلة الإتقان الذى بلغته هذه الحركة أن نسى أحد المهاجرين أسنانه الصناعيـــة فى كوبنهاجن ، فجىء له بها فى اليوم التالى إلى السويد .

وكانت المعلومات تتدفق من الدنمرك فى الساعة العاشرة من صباح كل يوم إلى جوت فريبرج مدير الشرطة السويدى المقيم فى هلسنجبورج ، فيبلغها إلى مفوضـيات الحلفاء ، وكانت هذه المعلومات تجيئه مسطرة على فلم مُصغر مُدسّ فى داخل دمية مصنوعة على مثـال شمعة احتراق فى محرك الطـائرة التى تسافر كل يوم بين كوبنهاجن ومالمو . وكانت تدور مخابرات رمزية بين السويد والدنمرك بجهـاز لاسلكى يذيع على موجة صغيرة قدمه الجيش السويدى .

وفى أوائل ســنة ١٩٤٢ سقطت على جزيرة دنمركية جنوب كوبنهاجن قنبلة طائرة قذف بها على سبيل التجربة ، فسارع رجال المقاومة السرية ففكوها ووضعوها فى صناديق كتب عليهـا « مهمات وقاية المدنيين من الغارات » وشحنوها فى سفن من سفن السواحل إلى جتلند . وجاءت بهـا سفينة أخرى إلى السويد ، فأمر هانسون بإرسالها بالطائرة إلى إنجلترا . وإذا كانت إنجـــلترا قد نجحت فى ابتـكار وسائل بارعة لمقاومة القنبلة الطائرة ، فنجت لندن بذلك من الخراب ، فمردّ الفضل فى هذا إلى أنها كانت قد وقفت على أسرار القنبلة وحقيقة سرعتها من قبل أن تسقط القنبلة الأولى على أرضها بعدة أشهر .

وعلى أن الحلفاء كانوا يعرفون أن القنابل الطائرة كانت تصنع فى ألمانيا ، إلا أنهم لم يتمكنوا مـن معرفة مواقع المصانع ، ولم يدلهم عليهـا سوى عامل سويدى فى دار صنعةٍ فى جوتنبرج ، إذ استطاع أن يؤلف ببصيرتهِ بين عبارات وردت على ألســنة الثرثرين على الشاطىء ، فعلم منها أن شحنات كبيرة من الرمل والإسمنت ترســل إلى بنيموندە على الشاطىء الشمالى لألمـانيا ، وأن أشـجار الصنوبر العالية فى الغابات الـكثيفة فى تلك المنطقة تحجب عن الأنظار بناءً ضخماً جديداً لم يستكمل بعد ، كما سمع من بعض البحارة .

وقد دلت الصـور الفوتوغرافية التى عادت بها طائرات الاستكشاف على وجود مدينة جديدة عجيبة . وأسرع الجواسيس فكشفوا اللثام عن الغرض الذى أقيم هذا البناء من أجله ، فهوت إليه يوم ١٧ أغسطس ٦٠٠ قاذفة قنابل بريطانية وضربته ، فانبعث

منه انفجار مخيف بلغ من حدته أن هلك خمسة آلاف عامل من عمال بنيموندة البالغ عددهم سبعة آلاف ، وهلك معهم كبار علماء المصنع . وهكذا تأخر إنتاج القنابل الطائرة مدة تقدر بستة أشهر* .

أثر كبار رجال الأعمال

يعتقد معظم الذين تتبعوا أنباء الحرب أن كبار رجال الأعمال فى السويد شايعوا النازية ، وهذا أبعد شىء عن الصواب . فلنضرب مثلا بشركة جرانجسبرج التى تملك معظم مناجم الحديد فى السويد . ففى المعركة التى دارت بين البريطانيين والألمان للاستيلاء على نارفيك هُدم رصيفان من أرصفة الشحن الثلاثة التى تملكها الشركة ، ودمرت كل الآلات . فحاول النازى مراراً حمل مارتين والدنستروم رئيس الشركة على تجديد الرصيفين ، ولكنه أصرّ على الرفض فكان رفضه هذا عاملا كبيرا فى إنقاص صادرات الحديد من السويد إلى ألمانيا . والحق أن والدنستروم — وهو أكبر رجال الصناعة فى السويد — قاوم النازية أعنف مقاومة ، حتى شاع حين عزمت ألمانيا على غزو السويد سنة ١٩٤٢ أن رجال الجستابو وضعوا اسمه فى رأس القائمة السوداء .

وقد وجهت التهم العنيفة مراراً إلى شركة س . ك . ف ، بأنها هى السبب فى أن ألمانيا لم يعوزها السلاح بعد أن هدمت طائرات الحلفاء المصانع النازية التى تصنع كرات المحاور فى شواينفورت ، وهذه الكرات لاغنى عنها فى كل شىء يتحرك على عجلات ، ولكن الشركة لم تصدر إلا أقل من ٣ ٪ من كرات المحاور التى تحتاج إليها ألمانيا . وقد وقفت فى جوتنبرج على حقيقة تثير الدهشة ، ألا وهى أن هذه الشركة — بالرغم من الحصار البحرى وغيره من العوائق — استطاعت أن تهرب ما قيمته ٢٠ مليون ريال من كرات المحاور والآلات إلى إنجلترا وروسيا ، وهو يعادل نصف مجموع ما أرسلته منها إلى ألمانيا ، إذ أن السويد كانت مضطرة إلى الاتجار معها من أجل أن يتوفر لمصانعها الفحم الألمانى .

وأكبر معونة بذلتها هذه الشركة هى التى ظفرت بها إنجلترا فى مطلع سنة ١٩٤٣ ، إذ ذهبت بعثة من مهندسيها لمساعدة إنجلترا على إنشاء مصنع لكرات المحاور فى شمال إرلندة . بل إن جميع آلات هذا المصنع ومن بينها ٨٠ آلة ضخمة — أعدت فى مصانع جوتنبرج وأرسلت سرّاً بالطائرة إلى إنجلترا .

---

* « أربعون دقيقة غيرت وجه الحرب » المختار ديسمبر ١٩٤٤ ص ٣٢

الأيام الأخيرة

وما وافت سنة ١٩٤٣ حتى بلغت السويد في مقدرتها العسكرية والاقتصادية مبلغاً جعلها أقدر على إقامة الدليل على ميلها إلى الحلفاء . ففي شهر يوليو منعت الحكومة السويدية مرور الألمان وبضائعهم إلى النرويج وفنلندة ، وكفت عن الاتجار مع ألمانيا في نهاية سنة ١٩٤٤ حين رفضت تجديد الاتفاق التجاري المعقود بينهما .

وقبل ذلك التاريخ كانت التجارة مع ألمانيا قد وقفت، إذ كانت السويد قد منعت السفن الأجنبية من دخول موانئها ، ورفضت أن تتمتع السفن المسافرة إلى الموانىء الألمانية بمزايا التأمين من أخطار الحرب .

وتقضي أحكام القانون الدولي بجواز ترحيل المعتقلين من جنود الدول المحاربة على شريطة أن يتساوى عدد هؤلاء العائدين من رعايا الدولتين . وكان في السويد من المعتقلين في السنة الأخيرة من الحرب أكثر من ألف طيار أمريكي ، واقل من مئة طيار ألماني ، فوافقت السويد على ترحيل الأمريكيين قائلة إنها قيدت الفرق لحساب ألمانيا، وأنها ساعة يهبط على أرضها ٩٠٠ طيار ألماني ستتولى إعادتهم فوراً إلى الريخ !

وقدمت السويد أيضاً مساعدة إنسانية كريمة إلى المهاجرين وإلى أمم أوربا الجائعة ، فصدرت إلى النرويج حتى نهاية الحرب ٢٠٠ مليون رطل من الطعام ، وجمعت من التبرعات ما أتاح لها أن تقدم وجبة كل يوم طول سنوات الحرب إلى ٣٢٥ ألف نرويجي أكثرهم من الأطفال ، وأرسلت ١٥ ألف طن من الطعام إلى هولندة حين تعرّض سكان مدنها للموت جوعاً في يناير سنة ١٩٤٥ ، وأوفدت إلى بولندة وحدات طبية مزودة بالرجال والنقالات والعلاج . وبلغ مقدار الاعتمادات التي فتحتها من أجل إعادة تعمير أوربا ٥٠٠ مليون ريال أو أكثر.

وقد تولّى الكونت فولك برنادوت مفاوضة هملر حتى استطاع أن ينقذ ١٩ ألف شخص من معسكرات الاعتقال في ربيع سنة ١٩٤٥ ، وحملهم سالمين إلى السويد .

وقد غادرتُ إسكندناوة وأنا مقتنع بأن السويد قد فعلت في زمن الحرب ما تتجلى فيه آيات من الشجاعة والذكاء. ولو التزمت حيادها كما ينص القانون، لما تعرضت للخطر، غير أنها آثرت أن تواجه أخطاراً جسيمة عن عمد ، لإيمانها بمبادىء الحرية والعدالة واحترام النفس والحق — تلك المبادىء التي حارب الحلفاء في سبيل إدراكها .

اربَح بنفسك ! ففى قدرتك أن تتغلب على معظم تعبك .

هل تحس بالتعب دائماً ؟

مارى بينون راى
مؤلفة كتاب "كيف تنجو من التعب"
مختصرة من مجلة "المرأة اليوم"

كلُّ إنسان يشعر بالتعب أحيانا ، ولكنَّ بعضهم لايفارقهُ التعب أبداً . ولو عرف الناس حقيقة التعب ، وساروا على ما تقتضيه ، لقلَّ تعبهم. وأكثرنا تساوره أوهام باطلة عن خير الوسائل التى تنجيه من التعب . فلماذا لا ننتفع بالحقائق الثابتة حتى نزداد نشاطاً وسعادة ؟

* التعب المزمن غير ناشىء عن جهد البدن أو العقل .

مهما كان التعب الناشىء عن جهد البدن شديداً ، فنوم ليلةٍ كفيل بأن يزيلهُ . والتعب لايتراكم بعضه على بعض ، والرجل منا إذا كان يعمل قاعداً ، وكان سليما معافى ، فمردُّ تعبه كله إلى أسباب غير جهد البدن الذى يبذلهُ فى عمله . والواقع أن السآمة الناشئة عن عمل يستغرق معظم طاقتنا هو وحده أعظم أسباب التعب .

* احذر ثورة العاطفة .

إن السبب الحقيقى لحدوث التعب المزمن إنما هو سبب نفسى . فليس العمل هو الذى يجلب لنا التعب ، بل توتر الأعصاب الذى يستبدّ بنا فى ساعة العمل ، كالهم والتردد والسآمة والشعور بالضعة والعجلة والحوافز الجنسية المعقدة .

* الراحة ليست علاجاً للتعب .

مهما طالت الراحة فلن تشفى الرجل الذى يعمل قاعداً من تعبه ، أو من أى تعب مزمن آخر ، بل العلاج الشافى هو صرف الهمة إلى عمل آخر — إلى عمل يخالفه أو عمل أشق منه ، أو إلى رياضة أحبَّ إلى النفس ، أو إلى الاستمتاع بمخالطة الناس . أما التسكع فلا يأتى بخير ولا تغيير ، ولا يصرف العقل عما يخامره ، ولايزوّده بشىء جديد يشغله . والبدن لا يفتقر إلى الراحة ، والعقل يفتقر إلى التغيير. وما من شىء يفجّر ينابيع النشاط سوى شاغل يستأثر باهتمام المرء .

* اضطراب الغدد الصم قلَّ أن يكون سبباً للتعب .

إن نقص إفراز الغدة الدرقية والغدة الكظرية يجعل المرء أكثر استهدافاً للتعب ، ولكن الطبيعة زوّدت معظم البشر بما يردُّ عنهم عادية هذا النقص . وليس فى بدن الإنسان طائفة خاصة ممتازة من الغدد وظيفتها أن تملأ بدنه نشاطاً . وليست الغدد أكثر بثًّا للنشاط من القلب والرئتين .

والمرء إذا كانت فى بدنه غدد مفرطـة النشاط فهو عرضة للاعياء من فرط ثورة العاطفة . وهناك شىء أعظم من الهرمونات يحرّك تلك القوة البشرية المتدفقة ، ألا وهو الشغف بشىء فى الحياة .

* الملح يكسر حدة تعب البدن .

إن العمل الشاق والحرارة المفرطة تجعل البدن يعرق عرقاً غزيراً ، يخرج معه الملح ، وقلة الملح فى البدن تورث التعب ، واسترداد مايفقده منه يخفف التعب . وإذن فلا بدّ لك من أن تعرف بدقة مقدار الملح الذى ينبغى أن تستردّه .

* كلال الأعصاب ليس بنا شىء عن فرط العمل .

يؤيد الثقات ما يقوله الدكتور أوستن ريجز : « العمل الشاق وإن كثر ، وسواء كان عمل العقل أو عمل البدن ، لم يفض قط إلى إصابة أحد بكلال الأعصاب » . ويقول الدكتور إيرا وايل : « لا أعرف شيئاً يسمى كلالاً يورثه فرط العمل » .

* التعب ليس ضربة لازم على الشيخوخة .

تتوقف وفرة النشاط فى زمن الشيخوخة على كثرة الأشياء التى لا يزال المرء مشغوفاً بها فى حياته وعمله . وتوقف النشاط على قوة البدن قليل ، وأكبر توقفه على توقد العاطفة . وقد أتم كثير من العظماء فى زمن شيخوختهم أعمالا تضارع ما أتموه فى أيام شبابهم . فالشغف هو الذى يفجر القوة الكامنة فى النفوس .

* النشاط أعظم شأناً من الذكاء فى إدراك النجاح .

النشاط هو المحرّك الذى يبعث كل ضرب من ضروب الذكاء التى ينطوى عليها المرء وهو الصفة التى يشترك فى حيازتها جميع الناجحين . يقول إمرسون : « إن النشاط هو سرّ كل نجاح » ، وهو يرى أنه أجلّ شأناً من الحكمة فى بلوغ النجاح ، ويؤيده فى ذلك علماء النفس .

* التعب سهل العلاج .

ينقلب المرء بين عشية وضحاها من رجل يؤوده الإعياء الثقيل الذى يسرى فى عروقه كالرصاص المصهور ، فإذا هو رجل يتفجر قوة ونشاطاً . وقد أقام علماء الطب النفسى الدليل على هذا .

وأكثر الناس الذين يمسهم التعب مسًّا خفيفاً أو ثقيلا ، كانوا فى مندوحة عن التعب ، فما كان عليهم إلا أن يراعوا هذه الحقائق المذكورة ، فإذا هم بمنجاة من غائلة التعب ، وإذا أيسر شىء وأسرعه وأعجبه ، أن يروا ينابيع النشاط تتفجر متدفقة بين جوانحهم .

قصة إرنست طمسون سيتون وحياته الحافلة ، فقد خلق ضرباً من الأدب ، وابتكر أصول حركة الكشافة ، وما زال وهو فى السادسة والثمانين وافر القوة والنشاط .

صديق الحيوان

رالف والاس

على مسافة من الطريق الأعظم قرب مدينة سانتافيه فى ولاية نيومكسيكو الأمريكية، تجد قصراً غريباً مربع الأبراج هو بيت ذلك العالم العظيم بطبائع الحيوانات — إرنست طمسون سيتون ، وقد أتم سيتون منذ بضعة شهور كتابه الثانى والأربعين ، وأكمل رسماً لمتحف الفن فى بلدته ، وصنع بيديه وهو فى السادسة والثمانين سقفاً لمكتبته التى تحتوى ٥٠ ألف مجلد . ثم ، نعم ، ثم استعد غير حافل لرحلة أخرى لإلقاء المحاضرات يقطع فيها عشرة آلاف ميل .

وقد ظل سيتون نصف قرن وهو من أروج كتاب أمريكا ، وقد بيع من كتابه « حيوانات مستوحشة عرفتها » وغيره نحو مليونى نسخة . وكان سيتون هو الذى ألهم كبلنج أن يكتب « قصص الأدغال » الخالدة . وبلغ من جودة كتابته هو نفسه أن قال تولستوى عن قصته « لوبو ملك الذئاب* » : « إنها خير قصة ذئب قرأتها فى حياتى » . ومما يريك من أى معدن صيغ سيتون أنه وقف عشرة أعوام على وضع كتابه العلمى الجليل «حياة حيوانات الصيد » فى أربعة أجزاء ، وبه ١٥٠٠ صورة من رسمه . وقد تكهن بأنه لن يباع منه أكثر من ٢٥٠٠ ولكنه كان مخطئاً ، فقد بيع منه ٢٦٥١ .

ويبلغ طول سيتون ست أقدام ، ويتوج الشعرُ الفضى المنفوش رأسه. وترى له تحت عينيه العسليتين الملتمعتين شارباً كثيفاً شعراته كالسهام المشرعة ، وقد جلس يقص على بنته المتبناة، وهى فى السابعة من عمرها، وعلى أصدقائها المدهوشين ، قصة الجواد الصغير المتبختر ، وقصة الدب الأغبر وخاتمته المحزنة ، وقصة الحجلة .

---

* لوبو ملك الذئاب ، المختار ديسمبر ١٩٤٣ ص٤١

وهؤلاء الأطفال ــ وبضعة ملايين آخرين كانوا صغاراً فأصبحوا الآن شيوخاً ناءت ظهورهم بالرءوس الصلع والديون الفادحة والرهون ــ كان سيتون هو معلمهم العظيم الذى عرّفهم أن الحيوانات المستوحشة لها حياة كحياتنا ، ولها معاشق ومآس تقارب ما للإنسان .

وقد انحدر هذا المؤلف والفنان والعالم بطبائع الحيوان ، من أبوين من أصل أسكتلندى ، وولد فى قرية إنجليزية هادئة . ويرجع حبه للبرارى إلى أثر يرتدّ إلى عهد طفولته فقد كان أبوه زنديقاً أنانياً إلى حد الجنون ، وكان يجلد أبناءه العشرة بالسوط إذا هم لم يقفوا معتدلى القامة كالجنود حين يدخل عليهم الغرفة . وكان إذا بلغ أحدهم الحادية والعشرين من عمره يقدم له صكاً بكل ما أنفقه من المال على تنشئته ليردّه إليه . وقد بلغ ماتكلف إرنست ٥٣٧ ريالاً ونصف ريال .

وكان والد سيتون رجلا متوسط الثراء من أصحاب السفن ، ولكن لما بلغ إرنست الخامسة حلت بالأسرة سلسلة من النكبات فذهب مالها . واستنقذ جوزيف سيتون بضعة آلاف من الريالات ورحل إلى كندا . وهناك فى ضيعة على الحدود قرب لندسى فى ولاية أونتاريو ، وجد إرنست فى نفسه سروراً لايوصف بحياة الحيوان الذى حفلت به الغابات المتقاذفة .

ولكن الأسرة تحولت إلى مدينة تورنتو بعد أربعة أعوام ، فلم تزده حياة المدينة إلا تلهفاً على الأحياء المستوحشة ، فجمع عشرين قرشاً وابتاع كتاب الدكتور ا . م . روس عن « طيور كندا » ، فوقف على الحقائق العلمية الخاصة بهذه الخلائق المجنحة التى يعرفها حق معرفتها .

وقد استنكر أبوه سخافة درس الطبيعة ، فليس لهذا « مستقبل » ، فكان مهرب إرنست الوحيد أن يختلس الزيارات إلى كوخ مخفى بناه بجهد فى وادى « دون » القريب ، وأن يقضى إجازته أحياناً عند الذين اشتروا الضيعة فى لندسى . وهناك تعلم أن يضرب الخيمة ، وأن يصيد بالنبل والقوس ، وأن يحيى فى طفولته حياة « هندية » وصفها فيما بعد فى كتابه العالمى الذى راج أعظم رواج : « مستوحشان صغيران » .

وفى الخامسة عشرة من عمره حلت به نكبة ، فقد أصيب بالسلّ ، فجاهد فى الغابات القريبة حتى استردّ عافيته ببطء .

ولما كان إرنست قد أظهر حذقاً فطرياً فى الرسم ، فقد أصر أبوه على أن يتتلمذ على مصوّر ، ولكن إرنست قال له وهو يجادله : إنه إذا كان لابد أن يكون مصورا ، فإنه ينبغى أن يدرس التصوير فى الخارج ، فأذن

له أبوه على كره منه فى الإبحار إلى لندن ، وجعل يبعث إليه بثلاثة ريالات ٣ فى الأسبوع فقضى إرنست عامين ونصف عام وهو يعيش فى الأكثر على الخبز وعلى نوع من « القهوة » ابتكره ، مؤلف من النخالة المحمصة والعسل والفول . وعلى الرغم من هذا الطعام ومن المنافسة الشديدة ، فاز بالتعليم المجانى سبع سنوات فى الأكاديمية الملكية .

كان إرنست فى التاسعة عشرة من عمره ، حين اهتدى فى لندن إلى مكتبة التاريخ الطبيعى الهائلة فى المتحف البريطانى ، ولعلها أنفس ما فى الدنيا من نظائرها . ولكنه لما حاول أن يدرس هناك وجد أنه لا يباح ذلك لمن هو دون الحادية والعشرين . فهل من الممكن أن تمنحه إدارة المكتبة إذناً خاصاً ؟ نعم ، إذا استطاع المستر سيتون أن يقنع كبار الأعضاء . فسأل عن أسمائهم ، فابتسم موظفو المكتبة : هم دزرائيلى ، والبرنس أوف ويلز ، ورئيس أساقفة كنتربرى !

وفى ذلك المساء كتب إرنست رسالة عجيبة التأثير لثلاثة من عظماء العالم . ولا بد أن تكون شدة لهفته قد مست قلوب الأمير ورئيس الأساقفة ورئيس الوزارة . فما هى إلا بضعة أيام حتى تلقى رسائل خاصة تفيض عطفاً من ثلاثتهم ، وبطاقة تخوله أن يكون عضواً مدى الحياة فى المكتبة .

وبفضل آثار هؤلاء العظماء من علماء التاريخ الطبيعى ظهرت عبقرية سيتون المتعددة الجوانب بسرعة ، وقضى السنوات العشر التالية متنقلا بين الغابات فى غربى كندا ، ومعاهد الفن فى باريس ، والعمل فى نيويورك ، وكان يعيش على أثمان رسومه وصوره ، ويكتسب شهرة مطردة الذيوع بأنه فنان وعالم بالتاريخ الطبيعى .

وبعد أن طلب أن يقطع أرضاً فى ولاية مانيتوبا فى كندا ، اكتشف أعشاش طيور عديدة وبيضها ، وكلها مما لم يكن يعرفه العلم . وقد راع علماء الحيوان بنظريته التى ثبتت صحتها فيما بعد ، وخلاصتها أن القوارض التى تنسرب فى سهول كندا تؤدى نفس الوظيفة التى تقوم بها ديدان الأرض ، فتحول ما يتخلف عن النبات إلى طين خصب فى تربة كندا الخالية من الديدان . وقد قبل « صالون باريس » أن يعرض صورته : « الذئب النائم » وذلك من أسمى ما يفوز به مصور . واختير لوضع رسوم : « معجم القرن » للحيوان والطير ، وهى تبلغ نحو ألف . وطلب فرانك م . تشابمان وهو أكبر علماء الطير فى أمريكا ، أن يضع سيتون الرسوم اللازمة لكتابه المشهور : « الموجز فى طيور أمريكا » .

ولما لم يجد سيتون كتاباً يبين أشكال الحيوانات الحية ونسب أعضائها ، وفى جملة ذلك أشكال ريش الطير ، ومواضع أصول الفرو فى الحيوان ، فقد عزم أن يضع كتاباً فى هذا الموضوع ، فشرّح مئات من الطير والحيوان ، وقاس كل مافيها بدقة حتى صار من أعظم مشرحى الحيوان فى زمانه . ثم نشر على نفقته كتابه « التشريح والفنّ » الحافل بالصور والأسانيد، والذى لعله اليوم أنفس كتاب فى بابه فى العالم. ثم صار يكتب فى الليل ، ويرسم أو يرتاد فى النهار، وهكذا بدأ أولى قصصه عن الطبيعة .

وقد طارد سيتون مرةً أيّلاً مسافة ٣٠٠ ميل فى المستنقعات والغابات تسعة عشر يوماً متوالية . وفى مرة أخرى كانت به حمى شديدة الوعك ، وليس عنده إلا حربته لصيد السمك ، فاقتحم عليه كوخه وَشَقٌ عظيم فدافعه وغلبه .

وكانت عيون سيتون النَفّاذة لا يفوتها شىء فى الغابات ، وإن ما كتبه عن فتك الحيوان بعضه ببعض ليبدو عند قراءته كأنه من قصص شرلوك هولمز فى دقتها وحبكها . مثال ذلك أن أرنباً جلس تحت شجرة — فإن أثر الوطء فى الثلج ، وآثار الأقدام لا سبيل إلى الخطأ فى دلالتها — وإذا بفاتك متسلل قد ملأ قلب الأرنب رعباً . وكيف عرف سيتون هذا ؟ بطول الوثبة الأولى . ثم ذهب الأرنب يعدو بأقصى سرعة من الفزع : فإن الأثرين الطويلين للرجلين الخلفيتين بعيدان من أثرى الرجلين الأماميتين القصيرتين . أما مُطارِد الأرنب فلا يمكن أن يكون شيئاً يمشى على أرجل ، لماذا ؟ السبب بديهى أيها القارىء العزيز . فليس هناك آثار . فلا بد أن يكون المطارد من جوارح الطير . ولكنه ليس عقاباً فإن بقايا الفريسة هنا ، ولو كان عقاباً لحمل الأرنب . أى طير هو إذن ؟ من البديهى أنه بومة ، إذ تأمل الأثر ذا الإصبعين على مقربة من جسم الأرنب ، وللصقر ثلاث أصابع . ولكن أى نوع من البوم هذا ؟ آه ! هنا ريشة فيها ثلاثة خطوط بنية . فالذى فتك بالأرنب إذن من البوم المخطّط .

وبفضل الملاحظة الدائمة والذكاء والخيال صارت لسيتون فلسفة عن هذه الخلائق المستوحشة . فقد كتب يقول : « إننا نحن والحيوان أقرباء . فليس للإنسان شىء ليس للحيوان أثر منه على الأقل . وليس للحيوان شىء لا يشاطره فيه الإنسان إلى حدما » . وراح سيتون يقص قصص الحيوانات المستوحشة التى درسها واحداً واحداً — الغراب، والأرنب، والثعلب — وانتصاراتهم وأحزانهم ونوع حياتهم اليومية الخاصة .

وعلى الرغم من شهرته العظيمة ، كان على سيتون أن يجاهد فى سبيل القوت ، ففى رحلة منحوسة عاصفة إلى مانيتوبا اضطره نفاد المال أن يعيش أسبوعاً على البيض النيء الذى كانت تضعه دجاجات كان يحملها غرباً إلى ضيعة أخيه . وفى نيويورك وباريس كان شيئاً مألوفاً أن يأوى إلى مسكن زَرِىّ . ثم حدث فى سنة ١٨٩٨ بعد أن رحل رحلات كثيرة للصيد ودرس الطبيعة أن عرض سيتون وهو متهيب ستا من قصصه التى تدور على حياة الحيوان على الناشر سكريبنر لينشرها فى كتاب ، فما راعه إلا أنه قبلها على الفور ، فصدرت تحت اسم : « حيوانات مستوحشة عرفتها » .

وما هى إلا أسابيع قليلة حتى صار اسم سيتون على كل لسان ، وصار أشهر المؤلفين فى أمريكا ، وبيع من الكتاب عدد من النسخ لم يسبق له نظير ، وهو نصف مليون . وتلا ذلك كتاب « حياة الطرائد » وغيره من الكتب العظيمة الرواج . وقد استطاع سيتون بسرْد الحقائق عن حياة الحيوان فى صورة قصة ، أن يؤسس مدرسة جديدة كل الجدة فى باب القصص التى تدور على الحيوان .

والآن وقد صار سيتون مستقلا من الناحية المالية فقد بدأ ما لعله أعظم أعماله .

فقد ظل سنوات يعتقد أن الأطفال يحتاجون إلى منشأة فى الهواء الطلق تؤثر فى غريزة القطيع فيهم ، وفى ميلهم إلى حب البطولة والمجد ، وتعلقهم بالمحافل وولعهم بالرموز الخفية فيما بينهم — فتدفع بكل ذلك إلى مجار من النشاط يبنى الشخصية . وفى عام ١٩٠٢ أعلن تأليف « رواد الغابات » فى سلسلة من المقالات فى مجلة « ليديزهوم جورنال » .

وسرعان ما انتشرت فروعها فى أمريكا وكندا ، وإنجلترا ، وجنوب إفريقية ، وتشيكوسلوفاكيا ، وبولندة ، وغيرها من البلدان . وقد فصل فى كتاب له يقع فى أربعمئة صفحة ، طرق التنظيم ، والمكافأة على الأعمال بالشرائط ، والألعاب ، والطبخ فى الخلاء ، وما يدرس من العلوم الطبيعية ، ونظام الحكم الذاتى .

وقد اهتمّ اللورد روبرتس القائد العام للجيش البريطانى اهتماماً عظيما بهذا ، ووجه أحد ضباطه الجنرال بادن باول لمساعدة سيتون على تشجيع هذه الحركة فى الجزر البريطانية ، فقرأ الجنرال بادن باول كتاب سيتون وراسله طويلا ، ثم أعلن فى سنة ١٩٠٨ تأسيس حركة الكشافة . فحوّل بادن باول نظام جماعة « روّاد الغابات » إلى فصائل وجنود ، ومعلمى كشافة ، وعُدِّلت كلمة سيتون : « كن صديقاً للأحياء المستوحشة

التى لا أذى منها » : فصارت « الكشاف صديق الحيوان » . وترجمت كلمته : « افعل على الأقل عملا واحداً لا أنانية فيه كل يوم » إلى : « الكشاف يجب أن يعمل عملا صالحاً كل يوم » . ثم عُرفت معظم ألعابه التى ابتكرها بأسماء أخرى .

واعتقد سيتون أن الحركة الكشفية أصبحت أضخم من أن تحتمل الجدال ، فرفض أن يدخل فى منافسة فى سبيل المجد مع بادن پاول ، على الرغم من إلحاح اللورد نورثكليف وغيره من كبار الإنجليز عليه ، بل لقد قبل أن يكون رئيساً للجنة تنظيم الكشافة فى أمريكا سنة ١٩١٠ ، وصار الكشاف الأول ومؤلف أول موجز للكشاف الأمريكى . وكل كشاف فى العالم اليوم — وعددهم يتجاوز عشرين مليوناً — مدين بتدريبه على حب الطبيعة لفكرة سيتون .

ولسيتون قطعة أرض مساحتها ٢٥٠٠ فدان قرب سانتافيه ، وعليها بناء ضخم من الحجر يقوم على رأس تل ، وهو حافل بذكريات ماضيه الكثير الألوان . فهنا طرفا حبل صيد قطعه الذئب لوبو بأنيابه بعد أن أوقعه سيتون فى شركه ، وعلى مكتبه تومض مدالية إليوت الذهبيـــة التى منحته إياها أكاديمية العلوم الأمريكية فى سنة ١٩٢٨ لكتابه « حيوان حيوانات الصيد » ، وعلى مقربة منها مداليات أخرى من قيصر روسيا ومن جمعيات كثيرة لما قام به فى علم الحيوان .

وقد قل إنتاج سيتون بعض الشىء — فما أخرج سوى خمسة كتب فى السنوات العشر الماضية ، بعد أن كان يخرج كتاباً كل عام — ولكنه أعد فى ذهنه موضوعات لعشرة كتب على الأقل ، وعشرات من الصور للحيوانات ، ورحلتين أخريين للمحاضرات ، وهى لا تزال تدر عليه ٢٠٫٠٠٠ ريال فى العام ، بعد نصف قرن من محاضرة الجماهير فى أمريكا . وهو يقول جاداً : « إن المسألة هى أنى كنت دائماً وما زلت أحب العمل » .

وقد عاش هذا العالم العبقرى حياة حافلة لا يكاد يصدقها العقل . ففى شمال روسيا الموحش اكتشف نوع جديد من الوعول سمى باسمه — رانجيفير سيتونى — تكريما له . وهو الذى اكتشف نهر إيرل جراى العظيم يوم ارتاد منطقة القطب المتجمدة الشمالية . ويقر له الهنود الأمريكيون بأنه الحجة فى ديانة الهنود . ولكن إرنست طمسون سيتون سيذكر على الأكثر بأنه جعل ملايين من الناس يعدون الخلائق المستوحشة أصدقاء ، لها نصيب من العظمة غير المحسوسة التى تميز كل حياة مفكرة ، ولها أيضاً نصيبها من الضعف .

امرأة من علماء الأجناس تقيم الدليل على بطلان :

أسـطورة السـلالة المتفوِّقـة

إسثل ألبنفلز

مختصرة من مجلة "كاثوليك ورلد"

انهيار ألمانيا النازية خاتمة خرافة من أضخم الخرافات التي فرضت على عالم غِرّ — خرافة تفوُّق بعض السلالات من البشر. وأغلب الرأي أن أسطورة «الآرى القحّ» لن يظهر لها أثر بعد اليوم في جماعة محترمة من الناس.

بيد أن هذا الإنسان المتفوق، الطويل الأشقر، لم يكن خليقاً أن يبلغ ما بلغ لولا عصبية معظم الناس وجهلهم المطبق في كل ما يمس موضوع الصلة بين سلالات البشر. إن الفروق التي تتراءى لنا بين سلالات البشر، والتي نضخمها، مرجعها على الأكثر إلى التربية وطبائع الفرص التي أتيحت للجماعات. فليس ثمة سلالات «متفوقة» وإنما هناك أفراد متفوقون، وإنك لتجد هؤلاء في جميع السلالات. وقد قال فرانز بواس، أحد كبار العلماء في سلالات البشر: «لو تخيرنا أذكى جماعة من البشر، وأوسعهم خيالا وأعلاهم قدرة، وأرزنهم عاطفة، لوجدنا جميع السلالات ممثلة في هذه الجماعة».

كان تشارلز داروين أول من أذاع بين الناس صورة التطوُّر في صورة خط مستقيم، تجد القرد في أسفله والإنسان الأبيض في أعلاه. فنشأت خرافة مؤداها أن هناك طائفة من البشر لا تفوق القرود إلا قليلا، وأن هناك أخرى لا تقل عن الملائكة إلا قليلا.

وإذا فحصت بعض القردة الراقيــة، ألفيت جلدها وردىّ اللون، لا أصفر ولا أسمر، بل هو أدنى إلى جلد الإنسان الأبيض. والقرد أشعر، والبيض هم أغزر البشر شعراً. وللقرد شفتان رقيقتان وأذنان صغيرتان وأنف دقيق، والبيض أرق البشر شفاهاً وأصغرهم آذاناً وأدقهم أنوفاً. فلو صدّقنا هذه الخرافة، لوجب أن نصدّق أيضاً أن البيض أقرب إلى القرد في صفات كثيرة.

بيد أن العلماء لا يذهبون اليوم إلى أن الإنسان تحدّر من القرد، بل يذهبون إلى أن الإنسان والقرد تحدّرا جميعاً من

صلب سلف واحد . والعلماء لا يذكرون اليوم الخصال التى تشبه خصال القرود ، بل يذكرون الخصال الفطرية الأولى أو البدائية . وكل إنسان هو فى الواقع متحف متحرك يضمُّ هذه الخصال البدائية ، وقد أحصى علماء الأحياء ٢١٢ خصلة منها تشترك فيها قبائل البشر . أتستطيع أن تحرك أذنيك أو فروة رأسك ؟ فمنذ دهور متطاولة كنا فى حاجة إلى العضلات التى تحرّك الأذنين ، لكى نحرّك آذاننا فنطرد بتحريكها الذباب . وترى الزائدة الدودية واللوزتين ميراثاً قد ذهب نفعه الأول ، ولكنه احتفظ بشكله الأول . وجنين البشر يقص القصة نفسها ، فإذا ما كان فى أسبوعه الثالث وحسب ، عجزت عن أن تميز بينه وبين جنين السحالى أو الطير أو أى حيوان ثديى آخر .

ولا يزال التطوُّر يفعل فعلهُ فى البشر ، فنحن الآن فى سبيل فقدان خناصر أقدامنا . فإذا ما نشأ فى المستقبل إنسان ذو أربع أصابع فى قدمه ، فربما كرّ ببصره إلى سلفه إنسان هذا العهد، فيجد فى أصابع قدمه الخمس مسلاةً ومضحكة . حقاً ما أتفه ما يشعرنا بالتفوق والاستعلاء !

نعم ، هناك فروق بين السلالات ، فلون البشرة ، وانحراف العيون ، وشكل الأنف وغيرها من الصفات ، تميز السلالات الثلاث العظيمة بعضها عن بعض — السلالة المغولية أو الصفراء ، والزنجية أو السوداء ، والقوقازية أو البيضاء ، وهى فروق لاريب فيها ، ولكننا نخطىء فى تقديرها ، فهى خواصُّ أسبغت على ظاهر هيكل يتساوى فيه جميع البشر .

فالبشر لا فرق بينهم فى أى مكان على سطح الأرض إذا نظرنا إلى صفاتهم البدنية الخطيرة — أى المخ والقلب والرئتان والأعصاب . والعلم والدين هما اليوم متفقان على أن جميع الناس أسرة واحدة ، بل يجرى فى عروقهم دمٌ واحد . فالعلم يؤيد رسالة الأديان العظيمة — رسالة إخاء البشر .

هذه حقيقة . ومع ذلك نرى الإيمان بالفروق بين البشر عميقاً شائعاً . فثمة الفرق فى حجم المخ ، أهو فرق خطير ؟ إن مخ الإسكيمو ، هو على المعدّل أضخم مخ بشرى إذا قيس بحجم بدن الإسكيمو ، ومعدّل مخ اليابانيين أكبر من معدّل البيض . وقد كان أصغر مخ دوّن خبره فى دفاتر العلماء مخ العبقرى الإيطالى دانتى . وكثيراً ما نجد أضخم مخ فى رأس أبله .

واختلاف لون البشرة هو أضعف الفروق دلالة على تمايز السلالات ، فالسلالة البيضاء تدعى السلالة القوقازية ، نسبة إلى

قوم كانوا يقطنون أرض القوقاز ، فحسبها العلماء مثالا للبيض من البشر . ولكن ماقولك فى إنسان « إينوس » الأشعر ؟ فقد وجدوا ١٦٠٠٠ نسمة منه يعيشون فى مناطق محرّمة فى الجزائر اليابانية الشمالية ؟ إنهم بيض، واليابانيون يعدّون تأخر هؤلاء مشكلة فى بلادهم ، فهم لايستحمون مطلقاً لأنهم يعتقدون أنهم يستطيعون أن يشيّدوا بالرائحة الكريهة جسراً إلى السماء .

ثم هناك فروق فى الدم ، ولعلّ هذه الفروق هى التى ترضى كبرياءنا . فثمة أربع فئات من الدم ، أ ، ب ، أ ب ، و . ولكنك تجد هذه الفئات الأربع جميعاً فى جميع السلالات . فأين الفرق ؟

بيد أننا نستطيع أن نتصور المؤمن بهذه الخرافة متمادياً فى لجاجته فيقول : إن هناك فرقاً عظيما بين مآثر الشعوب . فمن الخير أن ننظر فى هذا القول .

وضع ت . ت . واترمان* كشفاً يفتح العيون ، أدرج فيه طلائع بعض المخترعات فى التاريخ . فالنحاس والشّبَه (البرونز) والقمح والمحراث ، وحروف الأبجدية ، والزجاج ، والطوب ، انحدرت إلينا من قدماء المصريين ، وأما العجلات والأوزان فمن الشمّريين ، وأما القانون المبوّب والنقود المسكوكة والقنطرة فمن البابليين .

وقد تعهّد الأشوريون شئون القطن والمصارف ونظام البريد. وأورثنا الكلدانيون الفلك ، والأسبوع ، ودرجات الدائرة . وأخذنا عن الفرس ، التوحيد والدجاج والسراويلات ، وعن العرب الحساب والجبر والأرقام والصفر ، وعن الإغريق هندسة إقليدس والألاووظ ، وعن الصينيين الخزف والبارود والحرير والنظارات والمطبعة وبوصلة البحّار وورق النقد .

نستطيع أن نباهى بأننا أمهر الناقلين فى التاريخ ، ولكن ينبغى لنا أن نقدر ما صنعته الشعوب الأخرى قدره الصحيح . إن كثيرين من المؤرخين يعتقدون أن المدنية انحدرت مع النيل إلى مصر من أرض الزنوج . وفى القرون المتوسطة ، كانت الحضارة فى ثلاث ممالك زنجية — جانه وميلستين وسونجاى ، تضارع حضارة أوربة فى ذلك العصر . وينبغى لنا أن نعرف شيئاً عن جامعة الزنوج فى تمبكتو ، التى كانت تتبادل الأساتذة مع أكبر معاهد العالم منذ ثمانية قرون . وقد قال أحمد بابا العالم الزنجى ، وهو ماض إلى إعدامه ، إنه يبكى على نفسه لأن الحياة لم تطل به حتى يجمع من الكتب مثل ما جمعه بعض أصدقائه . وقد كانت خزانة كتبه تحوى ١٦٠٠ مجلد .

* كتابه « رسائل فى علم البشر » عام ١٩٣٦ .

فهذا النشاط الفكرى كان متقداً فى إفريقية المظلمة ، يوم كان أسلافنا النورديون يتعبَّدون أمام مذابح من الحجر فى الغابات .

مذابح من الحجر؟ يظن العلماء أن الزنوج أنشأوا فنّ صهر الحديد ، وأن قسطهم فى قيام صناعة الحديد أعظم من قسط أية سلالة أخرى . وسَبْقهم إلى صنع أدوات من الحديد أبلغهم أعلى درجة من الحذق الفنى فى نحت الخشب . فمذابحهم فى عهد النورديين ومذابح الحجر ، كانت وليدة ثقافة أسمى من ثقافة النورديين .

وفى كلّ حقبة من التاريخ ، يبدو أن سلالة بعينها هى السلالة المتفوقة ، لأنها تكون السابقة فيما نسميه الحضارة . ثم ينتقل قصب السبق إلى سلالة أخرى فى حقبة أخرى . والجهّال وحدهم هم الذين يعدُّون هذه الحقيقة دليلاً على أن الله وهب التفوُّق لبعض البشر دون بعض .

وقد لخص رالف لينتون مايحدث للمرء فى يومه فقال : يطلع الفجر عليه فى غلالة نومه المنحدرة إليه من جزائر الهند الشرقية ، ويرمى نظرة على ساعته (اختراع أوربى من القرون المتوسطة) ويذهب إلى حمّامه (الخزف من الصين وفرشة الأسنان من أوربة فى القرن الثامن عشر ، والصابون من فرنسا القديمة ، والمرحاض من أصل رومانى ، والموسى — من خليط من الصلب والكربون — أصله من الهند) .

ويجلس إلى مائدة الإفطار فإذا هو أمام حشد من آثار شعوب شتى ومخلفات عصور بعيدة — الشوكة (اختراع إيطالى فى العصور المتوسطة) والقهوة (نبات فى الحبشة اكتشفه العرب) والسكر (عرفته الهند) والفطائر (من أصل إسكنديناوى) والزبد (أصله معجون تطرية من الشرق الأدنى) وهكذا .

ثم يركب القطار (اختراع إنجليزى) ، ويجلس فيه يدخن سيجارة (من أصل مكسيكى) ويقرأ صحيفته (مطبوعة بحروف اخترعها الساميون القدماء ، بأسلوب اخترع فى ألمانيا ، على ورق اخترع فى الصين) ... فهو ابن العالم كله أدرك ذلك أو لم يدركه .

أما اليوم فتقع على عاتقنا تبعة هائلة ، هى أن نزن بميزان الإنصاف والحق ، ما تمّ على أيدى سائر السلالات والأمم . وليس فى وسع بليونين من البشر أن يعيشوا معاً فى وئام وصفاء فى عالم تدانت أقطاره ، إلا إذا ارتقت معرفتنا بطبائع العلاقات بين البشر ، حتى تبلغ مستوى ما نعرفه من العلوم الطبيعية . وينبغى أن ندع التِّيه بما نتوهمه من تفوقنا على سائر الشعوب ، إلى التِّيه بكمال معرفتنا ومودتنا لسائر إخواننا من البشر سكان هذه البسيطة .

عبرة من خلق الإسكيمو

جونتران ده پونسان
مؤلف كتاب "كابلونا"

قضينا ثلاثين يوماً فى الطريق ، أنا وأسرة الإسكيمو التى كنت مسافراً معها . وقد لقيت بلاءً شديداً من الريح العاتية والبرد القارس — كانت درجة الحرارة ٥٠ تحت الصفر ، ولقيت البلاء من تفكير الإسكيمو أيضاً ، فكانت أشقّ رحلة رحلتها فى حياتى .

وأحسست كأن المقادير تكيد لنا لكى تؤخرنا . فهذه عاصفة من الثلج تهب يوماً فإذا نحن نلوذ بكوخ من الجمد صنعناهُ لنجلس فيه ، أو ربّما تراءى لأصحابى الإسكيمو فى يوم ضاح أن يصنعوا كوخاً جديداً بدلا من أن يمضوا فى طريقهم .

فسألت شيخ الأسرة مراراً :

« متى نصل إلى أرض الملك وليم ؟ »

ولكنه لم يجب قط جواباً صريحاً . والإسكيمو لا يحبون الأسئلة ، ويعدونها جفاءً فى الطباع ، وهذا سؤال لا يوجهه سوى الرجل الأبيض ، ثم إن الإسكيمو لا يحبّون أن يورّطوا أنفسهم فى شىء .

وقد تسأل : « ترى ماذا تكون حالة الجوّ غداً ؟ » وإذا الإسكيمو يعرف ذلك حقّ المعرفة ، إلا أنه يجيبك فى أدب : « مونا — أى لا أدرى » ، ثم يتظاهر بأنه معنيٌّ بتدبير أمر الكلاب ، فكأنه يقول : « لماذا أجيب ؟ إذا أصبت لم ينفعنى صوابى ، وإذا أخطأت بدوتُ غِرًّا أحمق » .

مضينا فى طريقنا فوق البحر المتجمد ، طوال الضحى وطوال الظهيرة ، وما كنا نقف إلا لنتبين آثار أقدام الكلاب ، أو لنشعل غليوناً . ثم لمحنا اليابسة ، فعسى أن ندركها قريباً . فما كدنا نبلغ الأمل حتى هبّت الريح ، وحجب الثلج العاصف مرأى الأرض ، وغابت فى أعماق هذا الفضاء الأشهب الداعى إلى القنوط .

فوقفنا ثانية ، فمضى أودلريك يحدث زوجته وابنته غير مستعجل ولا جزع ، وفى لهجته تلك الوداعة التى يتقبل بها الإسكيمو صروف الحياة وأحداث القدر . وكم من فلاح رأيته فى بلادى فرنسا وهو

واقف تحت العاصفة والمطر وهو يفحص محراثه بمثل هـذا الهدوء الذى أراه فى نفوس الإسكيمو .

وشق على احتمال ما أنا فيه من الكرب، فعدت أسأل الرجل الطاعن فى السن مرة أخرى : « والآن متى تظننا نصل إلى أرض الملك ولم ؟ » .

ولست أدرى أفرغ صبره فى هذه المرة أم استرعى الأمر اهتمامه ؟ إلا أنه التفت إلى امرأته ، وفهم كلاهما عن صاحبه وإن لم ينبسا ببنت شفة .

ثم دار وأقبل علىّ وصعّد بصره إلىّ ، ثم أخذ يتكلم على رِسْله وبغير اكتراث كعادة الإسكيمو حين يكون أحدهم حذراً وخائفاً فى وقت معاً :

« أتجد أن الكلاب لا تؤدى عملها على الوجه الذى يرضيك ؟ »

ثم ساد الصمت، وتلفتت الكلاب لاوية رؤوسها كما تفعل حين تكفها عن المسير ، وجعلت ترمقنى بأبصارها. وتظاهرت امرأته وابنتها بأنهما مشغولتان ، بيد أنى كنت على يقين من أنهما تصرفان إلىّ جل اهتمامهما . وخيل إلىّ عندئذ أن كل شىء قد تغشّاه السكون، وهذا شعور يوحى به إليك الإسكيمو فى ساعة الحرج ، فإن لهم أسلوباً عجباً فى جعل السكون محفوفاً بالرهبة.

أفتراهم يدعون الأمر حيث استقر ؟ كلا ، فقد مبلغ مبلغاً لا يحمد الوقوف عنده . وأخيراً قال الإسكيمو الشيخ ، وكأنه قد عجز عن التخلص من ريبه وشكوكه :

« أتجد المركبة غير صالحة ؟ أم أراك غير راض لأن الجليد الذى يغطى البحر قد ظل باقياً طول رحلتنا ؟ »

وظل ينظر إلىّ بعينين ساهمتين حائرتين حتى كأنى أرى العصر الحجرى بسذاجته ، والشرق بحكمته ، كانا ينظران إلىّ وهما يحاولان أن يفهما عنىّ — بل الأحرى أنهما كانا يحاولان أن يجعلانى أفهم أناعنهما. ثم إذا بى أفهم فجأة ما كانت تقوله لى العينان الهرمتان ، قالتا :

« فيم العجلة ؟ وما هـذا المكان الذى لا تزال تلح فى طلب بلوغه ؟ وعلام تعنّى نفسك بأمر الغد ما دمت ترى يومك قد بلغ هذا المبلغ من الروعة ؟ »

وقد علمنى الإسكيمو الشيخ فى ذلك اليوم شيئاً لم أنسه قط، فقد أضلنى سُعار التفكير فى غدى عن أن أقدر يومى حق قدره ، ثم تذكرت وأنا فى حضرة الشيخ ماقاله لى مرة بعض الناس : « التفكير فى الماضى مجلبة للحسرة عليه ، والتفكير فى المستقبل مدعاة للخوف منه » ، الحاضر حسبنا ! أليس هو الحقيقة الوحيدة التى نستطيع أن ندركها؟

إن المرء يرى دنياه كما تصنعها له أفكاره. فقد كنت أرى المنطقة القطبية كرباً يغمّ القلب، أما الإسكيمو فيرونها مملكة متراحبة هم ملوكها. وكنت أنا أعدّ الجليد نقمة ممقوتة، أما هم فيعدونه نعمة من النعم المباركة. والحياة الدنيا فيها آلاف من السبل فمن شاء سلك سبيل النكد، ومن شاء سلك سبيل الرجاء.

فنحن نسلك سُبُل الحياة مسرعين مندفعين، عُمْياً عن مجالي الطبيعة التي تحف جوانب الطريق. ولست أذكر من الذي قال: « لا ينال المرء رغد العيش إلا إذا أتيح له وقت للفراغ » — أي وقت للتريث والتفكير: والإسكيمو يتريّث متى شاء واشتهى، وإن كان الغد يضمر له، كما يضمر لنا، ذلك النذير السرمديّ بالجوع المهلك والمنايا القاضية، بيد أن المنية إذا جاءته وجدته لا يزال سعيداً بحاضره، فيسلم لها نفسه غير جازع ولا متحسر.

ومنذ فهمت عن هذا الإسكيمو الشيخ حديث عينيه، ادركت سوء ما كنت فيه من فقر النفس وخوائها أثناء رحلتي في المنطقة القطبية. وعرفت أيضاً كيف أجعل يومي حافلا بما يغنيني، كأني لن أعرف ليومي غداً، وأن ما عسى أن يأتي به الغد لا يستطيع أن يغير شيئاً من حاضري الذي بين يديّ.

فلما نزلنا مدينة فانكوفر بعد أن ألقينا عصا التسيار، وجدتني مسرعاً مندفعاً إلى الفندق كأني أخشى أن أضيع شيئاً من وقتي. ثم وقفت فجأة في وسط زحام المرور، فأخذت أصوات أبواق السيارات تتعالى من كل ناحية، ولكني كنت كالأصم الذي لا يسمع، وكأني أرى الإسكيمو الشيخ واقفا حيالي في وسط الطريق يرمقني بعينيه الحائرتين المتسائلتين اللتين تشعّ منهما الحكمة المتقادمة السرمدية، وكأني به يسألني عن الكلاب: أأنا راض عنها أم غير راض؟ ويقول لي: أليس الجليد نعمة من نعم الله المباركة؟

فألفيتني أضحك بملء فمي، وقلت لنفسي: « ما أحمق البشر! »، وما زلت أقولها.



إذا رأيت قوماً يفكرون جميعاً على نمطٍ واحد، لم تجد بينهم أحداً يجهد نفسه في التفكير. [ولتر ليبمان]

« دانتزيو — الشاعر الإيطالى الذى كان إسرافه فى المال ، وفى الحب ، وفى غروره بنفسه ، فتنة وغراماً »

شاعرٌ متلافٌ

توم أنتونجيني
صديق دانتزيو وكاتم سره
مختصرة من كتابه " دانتزيو "

قضى جبرائيل دانتزيو ، الشاعر المسرف المتلاف ، خمسين سنة حافلة زاخرة بالعمل ، ألف فى خلالها خمسين كتاباً من نفائس الكتب حازت له شهرة واسعة فى الأدب ، وأنفق منها أربع سنوات فى الحرب العالمية الأولى فقد فيها إحدى عينيه حين سقطت به طائرته، وفتح فيومى باسم بلاده إيطاليا ، واتسع له أيضاً أن يحب نساء لا عداد لهن ، وصار علماً من أعلام كتاب الروايات والمسرحيات ، وغدا أكبر الصحفيين أجراً فى العالم ، وجمع ثروة بعد ثروة وبددها جميعاً . فقد كانت شهوة الإسراف والغلو فى نفس دانتزيو أقوى من عقله — كانت فتنة وغراماً .

وحيث ترى أحدنا يدخل فيشترى ستة مناديل ، ترى دانتزيو يخرج حاملاً ستين منديلا . وحيث تسمع أحدنا وهو يقلب إحدى السلع ، يقول للتاجر : « أعندك أرخص من هذا قليلا ؟ » ، تسمع دانتزيو يقول له : «أعندك ما هو أغلى وأنفس ؟»

وما دخل محلا قط فخرج إلا ومعه شىء قد اشتراه ، فإنه كما قال : «من العار أن تفارق المكان وأنت فارغ اليد ، وماذنب التاجر إذا لم تجد عنده مايستحق أن تشتريه ؟ »

أما أناقة هيئته فكان يسرف فيها إسرافاً طاغياً، وإن لم تكن قط أناقة تخلب الألباب. فإذا لم يجد ما يشغله ، صار كل همه أن يستحم ويلبس ويتعطر من مطلع الصبح إلى سقوط الليل . وكان ينضح على جسده فى اليوم نصف لتر من ماء «كوتى» المعطر، ولا يزال يغير قميصاً بعد قميص ،فمايكون على خادمه إلا أن يطريها بالمكواة قبل أن يضمها إلى أخواتها فى الخزانة . ولست أغالى إذا قلت إنك قد تجد فى خزانة ملابسه مئة حلة كاملة مرة واحدة . وعلى أنه كان قليل التحلى بالجواهر ، إلا أنه قد أهدى إلى أصدقائه وصديقاته من الجواهر ما تزيد قيمته على مليون ليرة إيطالية .

ومن إسرافه الفاضح ماتراه فى رسالة بعث بها إلى صحف باريس يقول فيها إنه لم

يشغل نفسه بإعداد قصته « كابيريا » للسينما (وقد نجحت نجاحاً عظيماً) ، إلا ليكفل لكلابه الكثيرة راحتها وهناءها . فقد كان طعامها اللحم الغض والنبيذ المعتّق ! وقد رأيت مرة بعينيّ جيادَ دانتزيو ، ورأيت خليلته فى ذلك الوقت أيضاً ، ينامون جميعاً على أفخر السجاجيد العجمية وأغلاها .

ولما مثلت روايته « فرانشيسكا داريميني » كلّف حرْصُه على الدقة فى عرضها شيئاً أنفس من المال ، فقد أبى فى منظر الحصار إلا أن يكون ضرب المدافع ضرباً حقيقياً ، فكانت عاقبة ذلك حدثاً فريداً خالداً فى تاريخ المسرح ، فقد أطبق دخان كثيفٌ خانق أعمى عيون النظارة المساكين وكادوا يفطسون ، فخرجوا فارّين ساخطين صاخبين ، وانطلقت من المنجنيق صخرة عظيمة قوّضت أحد الجدران الأربعة كل التقويض . وكذلك أيضاً كان مصير روايته .

ومعدّل ما كان يتسلمه دانتزيو فى اليوم هو ٥٠ رسالة ، ٢٥ برقية ، و ١٥ كتاباً ومخطوطاً ، وكان ما تسلمه فى أيامه نحو مليون رسالة ونصف مليون ، فلو أنه عمل على إرضاء المعجبين به لما كان له من عمل فى حياته سوى أن يكتب رجع هذه الرسائل ، ويردّ على البرقيات ، ويفتح الهدايا ويتقبلها ، ويتصفح الكتب والمخطوطات ، بيد أنه كان من حسن التوفيق أنه كان لا يعبأ شيئاً بأكثر ما يقذفه عليه البريد . وهذا ما كنت قيّدته عن أسلوبه ساعة يتسلم رسائله :

« حين يجلس الشاعر ليلقى نظرة على رسائله ، يأخذ الرسائل التى يميز خطوطها فيضعها جانباً ، ثم يقبل على سائرها فيقبلها ويشمها ، بل ربما أدناها من أنفه فشمّها حريصاً حذراً كما تفعل الهرة بطعامها . وأما الرسائل التى يلقيها جانباً ولا يفضها ، فلا تمزق أو تحرق ، بل تعزل وحدها فى صندوق كتب عليه « رسائل قديمة العهد » فإذا طفح بها الصندوق ، حملت إلى غرفة تراكمت فيها الرسائل منذ أمد بعيد ، لم تفتح ولم تقرأ » .

وقد غلبتنى فى بعض الأحيان لجاجة العلماء وحرصهم ، ففضضت بعض هذه الرسائل المنبوذة ، فما وجدت بينها إلا ما يتضمن طلب صورة من صوره ، أو استجداء بعض الصدقة ، أو مطالبته بدين مستحق . أما الظروف التى فيها رسائل الحب أو شيكات الناشرين ، فلست أدرى كيف كان لا يخطئها البتة . وعلى ما كان فى دانتزيو من السّرف والتبذير ، إلا أنه كان شديد الحرص فى رعايته دَخله ومصالحه . ومن العجيب أنه كان يستشعر فى دخيلة نفسه بالرسائل التى ينبغى أن يفضّها .

والمراســلة بالبريد معناها عنده : البريد المسجل لا غير . وقد ظلّ سنوات لا يرضى إلا بأن يبعث رسولاً يحمل كتبه فيسلمها إلى من أرسلت إليه يداً بيد . أما البرقيات فهو مدين لها بأعظم الفضل ، ولقد رأيته بنفسي يرسل ما ينيّف على مئة برقية مطولة في جلسة واحدة . وهــذه البرقيات التى كتبت فى وقت واحد تتضمن معانى كثيرة متناقضة . فهذه واحدة تقول إنّه مُسْتَقـل فى فراشه ، وهــذه أخرى توحى بأنه إنما ترجّل الساعة عن ظهر جواده . ولما وضع النظام الجديد للبرقيات اهتزت طبيعته المسرفة ارتياحاً حين علم أن البرقيات المستعجلة تتكلف أربعة أضعاف البرقيات المــألوفة ، ومنذ ذلك اليــوم وهو يأبى إلا يتبع هذا الأسلوب الجديد كلما أتيحت له الفرصة .

وكان من مواطن الضعف فى هذا الشاعر العظيم عادة مستهجنة ، وهى بذله المواعيد ، وهى عادة ظلت تتأصل و تستفحل على مر السنين . فتراه يعد بأن يشــترك فى احتفال ، وبأن يكتب مقدمة لكتاب ، وبأن يقبل إحدى الوظائف العالية فى الدولة . وما من مَـوْعِـدة وعدها إلا أخلفها ، حتى ولو كان قد قيد نفسه بالتوقيع وبالشهود على التوقيع ، وبالعهــود والمواثيق ، وبالأختام الرسمية . ولما كان فى باريس وأراد أن يتحلل من وعد رسمىّ ، لم يتردد فى أن يرسل سائق سيارته إلى بلدة قصيّـة ليرسل إلى داعيه هــذه البرقية : « مسيو دانتزيو معلق هنا فى بالون استكشاف ، ولا يُعْـلم متى يقدّر له أن يهبط إلى الأرض » .

أما مواعيده للمرأة التى يكون بينه وبينها يومئذ مُخَـالّة فهى العجب العجاب — ما بين هدايا نفيسة إلى طلب الزواج بها ساعة يظفر بالطلاق . وهو وإن كان يعيش مهاجراً لامرأته بعيــداً عنها ، إلا أن الطلاق كان أمراً مستحيلا طبقاً للقانون الإيطالى . ومع ذلك فقد كان يبذل هــذه الوعود بذل المخلص ، حتى إنّ أكثر النساء كان يصدقها تصديقاً لا تخامره ريبة .

ولما لم يكن من السهل على دانتزيو أن يفى بما وعد ، فهو قد أعدّ لذلك ثلاث خُدَع أو أربعاً يتخلص بهـا . فمن ذلك أنه أعطانى ، يوم كنا فى أركاشون ، هذه البرقيات الأربع لأرسلها :

« السيدة س ، باريس . وصلت اليوم إلى دارَتى الجديدة (فيلا) حيث أعدّ لك غرفتك ، إلى اللقاء . جبرائيل » .

« الـكونتس م ، باريس . هذه أمواج البحر تهدهِـد أســفى وندامتى . كل شيء

بعيد ، وكل شىء قريب ، إلى اللقاء .
الشريد » .

« السيدة ب ، باريس . أفكر فيك فى كل ثانية . جبرائيل »

«السيدة هـ . ر . باريس . أنت لأفكارى أثمن جوهر أصنع منه تماثيل المستقبل ، لا تحزنى . إلى اللقاء ، إلى اللقاء »

وكان ألطف ما فى ذلك وأقبحه أن السيدة الخامسة كانت ساعتئذ معه فى دارته !

ومع ما كان فيه من بعض العيوب المنفرة ، فقد كان عجباً عاجباً ما يأتى من الحظوة عند النساء على اختلافهن — من أشهر الممثلات البارعات ، كالممثلة دوزى ، إلى الخادمات . مثال ذلك أن فمه كان يتحلب ريقه تحلباً شديداً ، فمن أجل ذلك كان يعد أربعة مناديل أو خمسة بحيث تنالها يده . وكان يطرى ضروب الأدوية على اختلافها من كل قلبه ، وينسب إليها عجائب فى الشفاء لا تبلغ مداها أحلام صانعيها مهما بالغوا فى تقريظها . ولم يحجم قط عن تعاطى أية جرعة من دواء جديد، وفى أى وقت كان ، ولكن روحه بقيت شابة ناجية من غوائل السن ووهن الكبر . وقد قال مرة : « لقد سمتنى الأقدار أمير الشباب حتى يبلغ الكتاب أجله »

وقلّ فى الناس من أنشأ من البيوت قدر ما أنشأ دانتزيو ، بيد أنه لم يبن لنفسه قط بيتاً ، بل قنع بأن يستأجر البيوت فيعيد زخرفتها وتزيينها على ما يشتهى .

وكان من دأب دانتزيو فى إنشاء هذه البيوت أن يستعين بالحرير والقزّ المشجر وبعثات من الطنافس ، وبآلاف من الكتب ، ويجعل فى كل مكان زهريات فيها الورود الناضرة . وتمضى الأيام عليه وهو يفحص كراريس الزخارف من كل ضرب ، وملاءات الأسرّة ، ويركب فى البيت كل ما يستحدث من وسائل الراحة ، ويضع تصميم الأثاث ، ويشترى عدداً لا يحصى من الدُّمى الصغيرة وأخيراً يُضمّخ كل ما يحويه البيت بالعطور النادرة ، ويوقد مجامر العود فى أرجائه — وكذلك يصبح البيت مُعدًّا للسكن . هذا صنيعه فى داخل البيت ، أما فى الخارج ، فتراه يسير وكتابه فى يده ليشرف على تشييد البوابات والأبواب المشبكة المصنوعة من الحديد المشغول . وينسق زراعة مماشى الخميلة ، ويشترى لها الأشجار . ثم تمضى الأيام ، وبعد سنة أو عشر سنوات يوم تجدّ فى حياته أسباب مالية أو نفسية تحمله على هجران هذا السكن ، تراه يخلف وراءه كل ما جمعه على مرّ الأيام أو السنوات .

ومن أشهر مساكنه الأولى التى اتخذها

مقراً « دائماً » ، المسكن المعروف باسم « كابو تشينا» على تلال فلورنسة حيث كتب الشاعر أجود روائعه ، وحيث فاض قلبــه بالحب ، وغمر به كعادته عدداً لا يحصى من النساءلاخليلته «إليانورا دوزى» وحدها . وقد انقلب هذا السكن من دارة متواضعة إلى متحف فخم ثمين ، بما جمع له من آثار فلورنسة القديمة . وهذه الدارة التيلم يكن أحد ليدفع فيها ٢٥٫٠٠٠ ليرة يوم استأجرها أصبحت تساوى ٣٠٠٫٠٠٠ لـيرة ، يوم اضـطره الدائنون إلى إخلائها — وأعنى البناء القائم لا الدارة بأثاثها .

وكذلك كان شأن مسكنه الأخير المعروف باسم « فيتورالى » فى «لاجو دى جاردا » ويزيد عليه مازينه به من أدوات الحروب ، كالرايات والخناجر ، والأوامر التى أصدرها والمدليـات ، ومحركات الطائرات . فترى هناك الزهريات الفارسية القديمة الـكالحة الألوان قائمة إلى جانب مسامير الطائرات ، وترى قنبلة صدئة لم تنفجر موضوعة بين القنانى اللطيفة ذات الروائح الذكية العجيبة. أما فى الحديقة فنرى شيئاً هائلا ضخماً قد نتـأ فى جانب التل من بين شجر السرو وأفنان الورود ، هو حـيزوم المدمرة « بيوجليا » الذى استنقذه من مغامرته فى فتح فيومي ، وكانت الحكومة الإيطالية قد أهدته إليه اعترافاً بفضله .

وقد صارت هـذه الدارة بعد مماته فى ١٩٣٨ كعبة يقصدها الفاشيون من كل فج ، ففى أقصى طرف من الحديقة ترى « تل الموتى » حيث دفن أبطال موقعة فيومى . وهناك اليوم جثمان دانتزيو قد وُسِّد الثرى تحت شاهد ينطق بالإسراف والغلو ، كتب كلماته دانتزيو نفسه :

« أنا جبرائيل دانتزيو يتقدم إلى الآلهة ليعرفهم بنفسه ... »

القاضى الفاضل !

حدث الأصمعى قال : أخبرنا بعض شيوخ البصرة أن رجلا وامرأته اختصما إلى أمير من أمراء العراق وكانت المرأة حسنة المُتنقَّب قبيحة المسفر ، وكان لها لسان فكأن العامل مال معها فقال : يعمد أحدكم إلى المرأة الكريمة فيتزوجها ثم يسىء إليها ! فأهوى زوجها إلى النقاب فألقاه عن وجهها فقال العامل : تبًّا لك ! كلام مظلوم ووجه ظالم .

[عيون الأخبار ، لابن قتيبة]

مصنع الرجال المنسيين

د يفن جنجز
مختصرة من مجلة "ذى روتيريان"

منذ بضع سنوات خلت ، كان كلنتون دفى كاتباً فى سجن سان كنتان بكليفورنيا ، فتلقى يوماً من رؤسائه أمراً يتضمن تهمة موجهة إلى سجين كان سلوكه خالياً من كل شائبة ، وكانت التهمة أنه صنع إطار صورة فى ورشة السجن ، وقانون كليفورنيا يحرّم على المساجين أن ينتفعوا فى فراغهم بأدوات الحكومة أو موادّها ، سواء أكان ذلك للتسلية أم للمنفعة . فعوقب السجين ، فانقلب مغيظاً ساخطاً .

فلما عين دفى مديراً للسجن تذكر هذا الحادث ، فكافح حتى عدلت قوانين الحكومة ، وصار مصنع الهوايات فى سجن سان كنتان أغرب مصنع فى العالم على الأرجح . فهناك ألف من الرجال المساجين يشتغلون لأنفسهم فى وقت فراغهم ، بعد أن يفرغوا من العمل ثمانى ساعات كلّ يوم للحكومة . وتبلغ قيمة ما يصنعونه كل سنة ١٠٠،٠٠٠ ريال توفى نقداً .

وقد لمست عصا السّحر النابتة من الأمل والطموح ، مصنع الهوايات فى هذا السجن ، فتحوّل فى خمس سنوات من ورشة بسيطة

هوايات المساجين تربى فيهم روح الاعتزاز بالنفس وتدر عليهم مالا ، ولا تكلف دافعى الضرائب شيئاً .

للعمال إلى مصنع تبلغ قيمة آلاته ١٠،٠٠٠ ريال ، ويصنع ألف صنف من شتى السلع ، وقد صنع فى أثناء الحرب ألوفاً من نماذج الطائرات لتدريب الطيارين ، وصنع حلياً رخيصة لها سوق رائجة فى جزائر المحيط الهادى ، وحافظات النقود للبحّارة . وقد حوّل المصنع الآن من صناعة الحرب إلى صناعة السلام ، وعاد يصنع سلعاً جيدة ودُمى جميلة .

وأهمّ من ذلك شأناً . أن هذه الهوايات تدرّ مالا على السجين ، وتعزّز كرامته بغير أن تكلف دافعى الضرائب شيئاً . يقول دفى : « إن المرء يشعر بالعزة حين يصنع شيئاً بيديه ، فإذا وفق إلى بيعه ، زاد الخير خيراً » .

وبعض الفضل فى هذا يرجع إلى السجين « بيل » ، فقد كان فى التاسعة عشرة يوم أرسل إلى سان كنتان ، وكان ماضيه طافحاً

بالجرائم ، فقد خالف فيه جميع اللوائح والقوانين ، وما لبث حتى صار يعرف عندهم باسم « الولد الآثم » . وكشف دفى ذات يوم أن هـذا الفتى الجامح ، يسرق « الأسيتون » من مختبر طبّ الأسنان ، ثم يأخذ مقابض فرش الأسنان القديمـة ويذيبها فيه ويصنع خواتم غير متقنة، ويبيعها لزملائه فى السجن .

فلم يذكر له دفى كلمة عن هذا ، ولكنه طلب من مديرى بعض الفنادق أن يوافوه بفرش الأسنان الملونة التى يخلفها النزلاء عند رحيلهم ، وهى مصنوعة من اللدائن . فلما جاءته وضعها فى صندوق ، وأضاف إليها موادّ كيميائية وأدوات اشتراها بحُرّ ماله، ودعا بيل إليه ، وقال :

« إذا أطعتنى وأخلصت ، فلك أن تصنع ما تشاء من الخواتم » .

فقبل الفتى الهدية على تحرّدٍ ، ولكن دفى تركه وشأنه . ومن هذه الزيارة نشأت الصناعة الخاصة الأولى فى سجن سان كنتان.

وما عتم بيل حتى صار يصنع عدداً وافراً من خواتم اللدائن وغيرها من أدوات الزينة ، وألح على دفى أن يأخذها ويهبها لمن يشاء . فكان دفى يملأ جيوبه بها حين يخرج من حرَم السـجن ويوزعها على أصحابه ، ويسرُّ إليهم أنه فى وسعهم أن يشتروا ما يشاؤون منها . فازداد الطلب ، وما لبث حتى صار بيل يتلقى طلب مقادير كبيرة منها . وقد طلب الجنود مئات من الخواتم ، فكانوا يقايضون بها على ما يريدون فى جزائر المحيط الهادى . ولم يتقاض بيل ثمن ما صنعه للجنـود ، ولكن ما صنعه للأهلين خلال سنتين أدرّ عليه ألفى ريال أودعها المصرف . وهو اليوم طليق وله فى جنوب كليفورنيا دكان صغير ، ويقضى وقت فراغه فى تعليم جرحى الحرب فى المستشفيات فنون صنع الأشياء من الدائن .

ودفى رجل مثابر لا يثنى له عزم ، فجعل يوالى قذف المجلس النيابى فى الولاية برسائله طالباً تقديم مشروع قانون يبيح مزاولة صناعة الهوايات فى السجن وبيعها . وأخذ يطرق أبواب اللجان فى عاصمة الولاية ، حتى أقرّ القانون بغير معارضة فى ٢٩ مايو سنة ١٩٤١ ، واشتهر نصه الذى لا يحتوى سوى مئة كلمة باسم : « حماقة دفى » . ولم تكد تنقضى ٢٤ ساعة على إقراره حتى أنشأ « جمعية هواة سان كنتان » .

أخذ دفى الكتب اللازمة للتعلم من دار الكتب العامة ، وأنفق من حُرّ ماله على على شراء المواد ، وهـدم بعض الجدران فى السجن ، وهيأ مكاناً للعمل . واشترى الرجال بعض الأدوات بمالٍ ادّخروه ،

واستعاروا بعضاً آخر من ورش السجن . وأخذ معلمو المدارس المجاورة بحماسة دفى فتبرعوا بتعليم المساجين .

كانت الفرق المتعثرة الأولى خليطاً عجيباً من المزيفين واللصوص والذين حكم عليهم بالسجن مدى الحياة ، وكان من أشدهم حماسة رجل يدعى « دوك » فى الخمسين من عمره .

وقال لدفى ذات يوم : « عنّت لى بعض الآراء ولكننى لا أملك قرشاً واحداً . أتستطيع أن تجيئنى بكتلة من الخشب اللّين ؟ »

فاشترى دفى كتلة ضخمة من خشب الصنوبر ودفع ثمنها أقل من ثمانية ريالات قليلا ، فنحت دوك صورة بارزة لممثل هزلى ممتطياً جواداً ، وأعطاها دفى . وصنع من الخشب الذى بقى ملاعق لتقسيم « السلطة » ومنافض للسجائر وصحوناً ، فبيعت لساعتها . وقد كسب دوك مما نحته فى السنة الأولى ١٥٠٠ ريال . وقبل أن ينقل إلى سجن آخر ويطلق سراحه بعد إعطاء العهد ، أهدى إلى المدينة تمثالا من الخشب ليباع فى ترويج سندات الحرب .

قال دفى مزهوًّا : « فبيع التمثال بمئة وخمسين ألف ريال ، وعجز دوك على أن يحبس دموعه حين أخبرته بما كان » .

يقتطع من ثمن ما يباع ١٠ فى المئة تضاف إلى مال الجمعية وتنفق فى ترقية مرتب المدير وفى شراء الأدوات والمواد والكتب التى تحتاج إليها ، ويحفظ مبلغ ٢٠ فى المئة أمانة للسجين ولا تمس حتى يفرج عنه . وأما الباقى فيضاف إلى حساب السجين فى السجن وله أن يتصرف فيه كما يشاء .

وقد ادّخر كثيرون منهم مالاً أربى على ألف ريال ، وجنى أحدهم نحو ٣٠٠٠ ريال من بطاقات التحية التى زينها برسومه . وبعث المساجين إلى أهلهم بألوف الريالات ، فاستطاعت أسر كثيرة أن توفى ما عليها من دين .

وتجد فى بهو الاستقبال الكبير فى السجن ، أدوات كثيرة مما يصنعه المساجين معروضة للبيع فى واجهات من زجاج حافلة بها . والباعة أيضاً من المساجين ، وبفضل فهم دفى لطبائع البشر ، أذن لهم أن يرتدوا القمصان البيض . وترد عليهم الطلبات بالبريد من جميع الولايات وهواى وألاسكا وأستراليا وإنجلترا ، فيتولى أمرها مساجين آخرون فى الورش الكبيرة .

وقانون السجن يحظر بيع هذه السلع فى المتاجر العامة ، أو شراءها لكى تباع فيما بعد ، ومع ذلك ترى تجاراً من ذوى الإقدام يحاولون أن يشتروا كل ما فى السجن .

وكثيراً ما يرى المسجونون كبار رجال الأمن والشرطة السرية وغيرهم من أهل القانون بين الذين يقبلون على شراء سلعهم، فيخالجهم ساعة يرونهم شعور غريب هو مزيج من التهكم والرضى .

ويوم كان ضباط الجيش يبحثون فى أثناء الحرب عن رجال يحسنون أساليب التنكير والتمويه ، عاجوا على سجن سان كنتان . فرأوا صوراً جميلة مما يرسم على الجدران ، وكانت تمثل قصصاً قديمة وقطرات وسفناً وطائرات ومشاهد طبيعية .

فقال أحد الضباط لدفى : « إنها تصاوير عجيبة . ما عدد رجالك الفنانين ؟ »

فقال دفى : « ليس عندى هيئة من الفنانين ، وكل تصوير ترونه هنا هو من صنع رجل واحد » .

وكذلك نقل هذا السجين المجرم إلى عمل فى الجيش ، بعد أن أعطى كلمة العهد ، وجعل يستخدم فرشته فى أعمال التنكير ، وهو لا يزال فى الجيش ، وقد كان من حسن عمله وخلقه ، أن أطلق سراحه اعتماداً على العهد الذى أخذه على نفسه .

ومصنع الهوايات فى سان كنتان قد كاد يبلغ سنته السادسة ، وقد اتسع وزاد عما كان عليه ، والمصنع ينتج الآن ٥٠٫٠٠٠ سلعة فى السنة ، يصنعها الرجال فى وقت فراغهم ، ومن حرّ مالهم . وقد أطلق سراح الصنّاع الأول ، فاقتحموا ميدان العمل الحرّ . ومنهم رجل فتح دكاناً لصنع لافتات الملاهى ، فكسب من المال ما مكنه من توفية دينه . وكان آخر يتولى بيع التجزئة فى السجن ، فظفر بعمل مثله فى متجر . وتخصص آخر فى صنع العرائس والدمى للصغار ، وهو يدير اليوم مصنعاً لحفر الخشب .

وقد انهالت الأسئلة على دفى من مديرى السجون فى الولايات الأخرى يسألونه عن مصنع الهوايات ، فأرسل إليهم نسخاً من « حماقة دفى » .

وسواء أكان دفى أحمق أم غير أحمق ، فهو يعلم أن هذا القانون أتاح لمئات من الرجال حافزاً ليصلحوا شرّ نفوسهم . ولا يقصر الإصلاح على حياتهم فى السجن ، بل حين يعودون بعد ذلك إلى حياة الجماعة كسائر الناس . وقد يكون هذا شيئاً قليل القدر عند بعض الناس ، ولكنه الوسيلة لغرس الصدق والاستقامة فى نفوس المساجين. وقد سأله أحد المتشككين الهازلين فقال : « ألم يخطف أحد رجالك بعض السلع من الواجهة فى السجن ؟ » فردّ دفى عليه : « نعم ، تسرق بعض السلع ، ولكن الذين يسرقونها هم الزوّار لا المساجين » .

قسيمة البائع

هذه القسيمة للبائع
فعليه أن يفصلها حين يبيع
هذا العدد ويحتفظ بها
فهذه القسائم قد تمكنه من
أن يكسب جائزة مالية
أو عدة جوائز من السحب
الذى يجرى فى دار المختار
فى ١٥ من كل شهر من
الشهور الأربعة .

تفصل القسيمة المقابلة بعناية

بواسطة البائع الذى باع هـــذه النسخة من

المختـــــار

صاحب مزرعة أقنع ولاية بأسرها بوجوب فحص الدم، فشهر حرباً مشهودة على مرض مخوف.

ذبح التنين بإبرة

بقلم لي سمث

مختصرة من "ذي أمريكان مجازين"

لن تجد بين الجهود الباسلة التي بذلت لقهر الزهري في الولايات المتحدة، عملا أجرأ من العمل الذي تمّ في ولاية ألاباما الأمريكية. فقد سنّ مجلسها النيابي قانوناً استهله بقوله: « جميع الناس بين الرابعة عشرة والخمسين، ينبغي أن يفحص دمهم مخافة الزهري فحصاً معملياً مقبولا ». وكلّ من يخالف يغرَّم بغرامة لا تزيد على مئة ريال.

ويوم سُنَّ القانون منذ ثلاث سنوات قال المتفائلون: « سوف يستأصل الزهري من ألاباما ». وقال المتشائمون: « قانون آخر لا يمكن تطبيقه — كقانون تحريم الخمور ».

وقد أردت أن أتحقق من مآل القانون، فحادثت رجال الصحة العامة في ألاباما، وأطباء العيادات ومركز العلاج السريع في مدينة برمنجهام، والأطباء المستقلين والمعلمين والمشتغلين بشئون الصحة، كبارهم وصغارهم سودهم وبيضهم على السواء.

فلم أجد أولاً وجه شبه بين هذا القانون وقانون تحريم الخمور، فقانون فحص الدم ظفر باستحسان عام في الولاية، وتنفيذه يعتمد على التعليم والإقناع دون القوة.

إن هذا القانون عاجز وحده عن استئصال الزهري، ولكن تطبيقه أسفر عن نتائج باهرة في ألاباما. ولا سيما ريفها حتى يصحّ أن يكون همّ جميع المشتغلين بالصحة والمشرعين في كل مكان.

وصاحب هذا القانون هو بروس هندرسون عضو مجلس الشيوخ في الولاية، وما هو بطبيب أو خبير في الصحة العامة، بل هو صاحب مزرعة، مهذب النفس، لين الحديث، يأخذ بحكم المنطق والواقع جميعاً.

كان بروس هندرسون يعنى كأبيه من قبله بتوفير أسباب الرعاية الطبية لمئة أسرة من الزنوج يعملون في مزرعته، وقد هاله منذ سنوات حين درس سجلات صحتهم ما رأى من كثرة عللهم التي يمكن أن يردّ أصلها إلى الزهري. فخاطب شيوخ الزنوج في ذلك،

قوافقوا على أن يفحص دم أهل المزرعـة جميعاً ، فوجد كثيرين مصابين بالزهرى ، فعولجوا فتحسنت الحال تحسناً سريعاً .

ولـكن الإصابات الجديدة بينهم كثرت على الأيام ، وافدةً من القرى المجاورة أو من بعض الملاهى على قارعة الطريق .

قال لى هندرسون : « فأيقنت يومئذ أن علاج مزرعة واحدة لا يكفى ، وتذكرت كفاح مرض القراد فى الماشية ، فالطريقة الوحيدة لاستئصال المرض هى أن يستأصل فى منطقــة كبيرة . فلمَ لا نـكافح الزهرى بالطريقة نفسها ؟ »

فلما عقد المجلس النيابى دورته التالية ، تحدث هندرسون مع زملائه فى موضوع سن قانون يجعل فحص الدم إجبارياً فى الولاية . ففزع المحنكون من رجال السياسة ، وكان الرأى الغالب عنــد كل منهم : « أنا مؤيد للاقتراح ، ولـكن سنه مستحيل من الناحية السياسية ، فالشعب لن يقبله . ثم ماذا يقول رجال الدين؟ والصحافة ؟ والسيدات ؟ » حتى أن رجال الصحة العامة قد ساورهم الشك .

لم يفتّ ذلك فى عضد هندرسون ، فمضى هادئاً مثابراً يغرى رجال المجلس ، ويهدىء من مخاوفهم بمنطقه ، وأخيراً طلب الاقتراع على مشروعــه فعجب الناس يوم أقرّ بغير معارضة تذكر .

أما الشعب فلم يبدِ ما يدل على « ثورته » عليه ، وأيدته الصحف اقوى تأييد ، وجعل رجال الدين كنائسهم مراكز لفحص الدم ، وسعت النساء ، بيضاً وسوداً ، سعياً باسلا لـكى يطبق هذا القانون تطبيقاً موفقاً .

وقبل أن تخرج جماعات الفاحصين إلى مقاطعةٍ ما فى الولاية ، تسبقهم إليها جماعة من الطلائع لتمهيــد الطريق ، وهم رجال ونساء دربّوا تدريباً خاصاً على نشر التربية الصحية . فيقصدون أولا قادة الرأى العام — القاضى ومحررى الصحف والمعلمين ورجال الدين والأطباء والمحامين ورؤساءِ الأندية ورئيساتها ، وزعماء نقابات العمال والجمعيات الزراعية — ثم يسجلون أسماء المتطوعين ، وينظمون الاجتماعات والمحاضرات والإذاعة وعرض الصور المتحركة ، وينشئون مراكز لفحص الدم حتى لا يضطر أحد أن يقطع شقة طويلة إليها .

وهؤلاء الطلائع من أهل البراعة وحسن السياسة ، وقد رأيت اثنين منهم يعملان ، وكان أحدهما مدرّباً رياضياً ، والآخر — أندرو ووكر — زنجىّ من المشتغلين بشئون الصحة ، يفهم حقيقة قومه ، ويؤمن أصدق إيمان بنفع هذا القانون . ويغلب أن يكون عمله فى مناطق الريف النائية حيث ينبغى له أن يعالج ماتوارثه الزنوج من عادات وشكوك .

ولا بدّ له أحياناً من أن يبدّد ريبة أحد الزراع البيض المتحفظين. وقد وقع له أن أراد أن يعرض شريطاً صحياً، فلم يجد الكهرباء إلا فى منزل فلاح أبيض، فاستأذنه فى إقامة جهاز العرض على شرفته، فرضى على مضض، ولكنه قال إنه سيأوى إلى مضجعه حتى لا يضيع وقت نومه فى مثل هذا الهراء، إلا أنه تلبث قليلا حتى بدأ عرض الشريط، وإذا به يصيح: «قف هذه الآلة ياووكر»، فأطاع خشية أن يستفحل الأمر، ووقف الفلاح أمام الزنوج المحتشدين أمام داره، وسألهم حتى استوثق من أن جميع أهل القرية حاضرون، فإذا وجد أحدهم غائباً بعث إليه من يحضره ثم قال: «إن فى هذا الحديث المصوّر من الحكمة والنفع مالم أسمع بمثله منذ زمن طويل». وقد أعاد ووكر عرض الشريط فى تلك الليلة مرتين تلبية لطلبه!

فإذا مامهّد الطلائع الطريق، أقبلت جماعات فحص الدم ومعهم أوراقهم، فيسجلون فيها كل الحقائق الصحية المعروفة والمكتومة.

ويقف فى أول الصف القاضى والواعظ وسواهم من كبار الرجال والنساء ويشمرون عن سواعدهم متهيئين لوخزة الإبرة، وهذا يشجع المترددين والخائفين. ويغلب أن يتقدم للفحص فى مقاطعة ريفية من ٨٠ إلى ٩٠ فى المئة من الذين يشملهم القانون، بغير طلب أو حث، أما الباقون فيتلقون تذكيراً لطيفاً بما ينبغى لهم أن يفعلوا، ثم تذكيراً أشدّ لهجة، تليه زيارة ممرضة أو أحد رجال الصحة. ويندر اللجوء إلى البوليس.

فإذا أسفر فحص امرىء عن وجود الزهرى أو احتمال وجوده، دُعى ليفحص دمهُ مرة أخرى، فإذا تأيد وجوده، دُبر لهُ أمر علاجه. ويقدّم من المصابين أولئك الذين أصيبوا بزهرى باكر معدٍ، أما الذين طال الزمن على إصابتهم، فتعدّ حالتهم غير معدية ولكنها مع ذلك تهدّد حياة المصاب نفسه، فتعالج بأسرع مايكون العلاج مستطاعاً.

والعلاج هو الحقن مرة كل ثلاث ساعات ليلا ونهاراً طوال أسبوعين، والحقن تحوى جرعات ضخمة من البنسلين تعززّها مركبات الزرنيخ والبزموت. والرأى أن هذا العلاج يشفى ٨٥ إلى ٩٠ فى المئة من المصابين، أما الباقون فتصير إصابتهم غير معدية، ويعاد علاجهم.

وقد شمل هذا البرنامج حتى الآن عشر مقاطعات ريفية، ومدينة برمنجهام المدينة الصناعية العظيمة، أى ٤٠ فى المئة من الأرض المأهولة فى الولاية. ولقد

تسأل لمَ لمْ يفض هذا البرنامج الشامل إلى استئصال الزهرى ؟ فاعلم أن أحد الأسباب الجوهرية هو طبيعة الزهرى الختالة، فبعد أن تدخل لولبيات المرض بدن المرء تحتاج إلى زمن للحضانة يستغرق ١٠ أيام إلى ٩٠ يوما ، وفحص الدم لا يكشف عن وجودها خلال ذلك . فلذلك ترى عدداً من المصابين لا يكشف أمر مرضهم عندئذ.

ومع ذلك فإن قانون فحص الدم الإجبارى قد أسفر عن نتائج باهرة فى المقاطعات التى زُرتها ، فقد كشف عن ألوف من المصابين المستترين ، وعولجوا . وقد تعلم الناس ما ينبغى أن يعرفوه عن طبيعة المرض وخطره ، وضرورة المبادرة إلى العلاج . وتدل الإحصاءات الدقيقة أن الإصابات الجديدة قد هبطت فى بعض المقاطعات نحو ٥٠ فى المئة، وفى البعض الآخر نحو ٩٠ فى المئة.

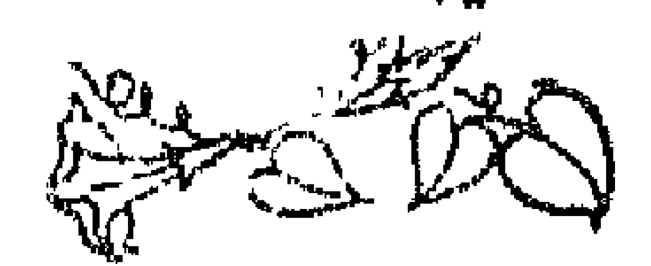
وقد فحص دم ٢٧٠ ألفاً من الأهلين فى مدينة برمنجهام خلال ٤٢ يوماً — أى ٩٠ فى المئة من جميع الذين تتفاوت أعمارهم بين ١٤ سنة و٥٠ سنة . وهذا عمل عظيم .

بيد أن العشرة فى المئة الذين لم يفحصوا ، خليقون أن يكونوا أشد الناس حاجة إلى الفحص .

غير أن الذين لا يفحصون فى المرة الأولى ، يسهل فحصهم فى المرة الثانية فى المناطق الريفية التى يعرف فيها الناس بعضهم بعضاً ، ولكن تعقب هؤلاء فى مدينة كبيرة حيث تتغير أماكن الإقامة ، يكاد يكون مستحيلا .

ومع ذلك فقد أسفرت الحملة فى برمنجهام عن نتائج تستحق الذكر ، ففى ٧٨ يوماً بعد أن بدأ فحص الدم ، عولج ٧٦٦٢ مصاباً بالزهرى الباكر . ويقول الدكتور سميث مدير الصحة العامة فى الولاية ، والدكتور دنيسون طبيب صحة المقاطعة : « إن هذه نتيجة كان يستحيل بلوغها فى سنين من العمل على النظام الصحى المتبع » .

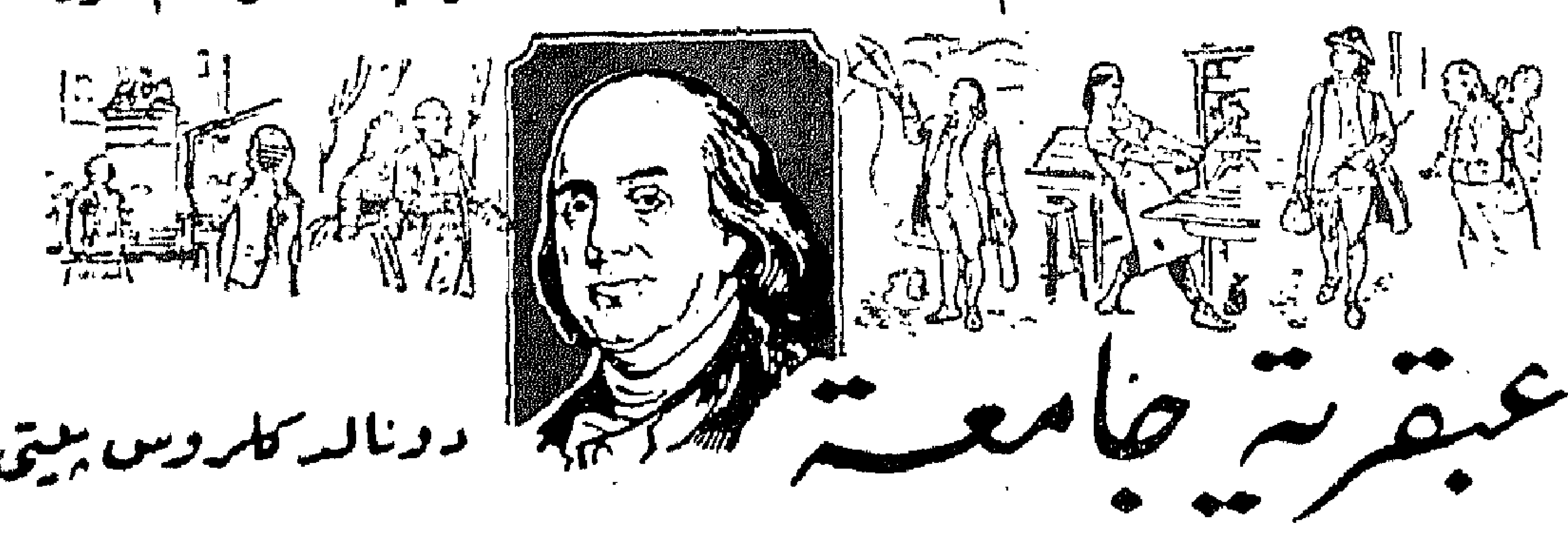
إن أشق ما فى المشكلة هو أن تكشف المصابين وتعالجهم قبل أن تتاح لهم أن يعدوا غيرهم ، وعسى أن يكون المثل الذى ضربته هذه الولاية مثلا نافعاً لغيرها من بلاد الله.



من شيم النفوس

كان عتبة بن عبد الرحمن يغتاب الناس ولا يصبر عن غيبة ، ثم ترك ذلك ، فقيل له : أتركتها ؟ قال : نعم ، على أنى والله أحبُّ أن أسمعها .

كان مخترعاً وعالماً وكاتباً فكاهياً وطابعاً وناشراً ورجلا من رجال السياسة والإدارة ، وأول أمريكى ظفر بشهرة عالمية فى العلم والسياسة والصحافة ، إلا أنه كان وطنياً مخلصاً فى المقام الأول .



عبقرية جامعة

دونالد كلروس بيتى

عندما أخذ الجمهور الأمريكى يطالع تقويمه المفضّل عن عام ١٧٣٣ رأى بين أخبار الجوّ وأوصاف عقاقير النبات ذكر شخص جديد لم يعهده فيه من قبل ، وكان اسمه « رتشرد الفقير » . وكان رتشرد هذا فقيراً فى المال فقط ، ولم يكن فقيراً فى الذكاء ولا الفكاهة ولا المرح أو العقل . ولا يزال الناس يبتسمون كما كانوا يبتسمون يومئذ عندما يقرأون حكمهُ وآراءهُ الحصيفة : « إن انتقال المرء ثلاث مرّات من دار إلى دار يعادل حريقاً » . « إحفظ دكانك يحفظك » . « البيت بلا زوجة ولا موقد كالجسم بلا روح ولا نفس » . وهذا العالم الصعلوك الذى كان يحسب حساب الأفلاك اللازمة للتقويم ، ويبثّ بينها أنباءً مستطرفة ونوادر عن زوجته وعن صروف الحياة القاسية ، كان ظنّ الناس به أنهُ يقدّم مخطوطه إلى الطابع والناشر الذى هو بنيامين فرنكلين .

وازدادت شهرة تقويم رتشرد الفقير على مدى الأعوام واتسع انتشارهُ لفرط إعجاب الناس به ، فكان يباع منه ١٠٫٠٠٠ نسخة فى كلّ عام ، أى نسخة واحدة لكل مئة من الأمريكيين . وكان يقرؤه عدد من الناس يقرب من عشرة أمثال ذلك العدد . وقد كتب إليه بعضهم يسأله : ما بالهُ مُصرًّا على ادّعاءِ الفقر ؟ فأتاح له هذا السؤال فرصة لكى ينتقم من الرجل الذى اختلق وجودهُ ، فكان يجيبهم بأنّ بنيامين فرنكلين يسطو على الجزءِ الأعظم من ربحه .

كان بنيامين فرنكلين ـ الطابع والناشر والمؤلف والكاتب الفكاهى والحكيم الأخلاقى ورجل الأعمال ـ يجمع فى شخصه عالماً من الناس . ومع هذا فإن رتشرد الفقير وبنيامين فرانكلين بعيدان كلّ البعد عن أن يكونا رجلاً واحداً . فرتشرد مدبّر مقتصد ، أما بنيامين فمتلاف ، إذا أيسر

كريم قنوع إذا أعسر. وكان رتشرد يوصى دائماً بالصمت وهجر الخمر ، أما بنيامين فيحب الثرثرة والنبيذ . هـذه هى مواطن الضعف فى خلق هذا الرجل الذى يُعَدُّ بين العظماء من الرجال أدناهم إلى الإنسانية والمروءة ، فهو عبقرية إنسانية جامعة .

وولد فرنكلين فى مدينـة بوسطن عام ١٧٠٦ ، وكان من أبناء الطبقة التى سماها « المتوسطة » . وكان والده يحترف صناعة الشمع، وكان آباؤه وأجداده من أهل الريف فى مقاطعة أكسفورد بإنجلترا . وكانت أمه امرأة فاضـلة ، هاجرت أمها إلى أمريكا لكى تشتغل خادمة فى بعض المنازل . وقد بلغ بنيـامين ما بلغ من الثروة والجاه ، فلم يحاول يوماً أن يتكلف مظهراً أسمى من مقام تلك البيئة المتواضعة التى نشأ فيها .

وربما لم يكن بين الرجال الذين نبغوا فى العلم ، من كان نصيبه من التعليم المدرسى قليلاً مثل بنيامين ، فإنه لم يذهب إلى المدرسة بانتظام أكثر من عامين اثنين ، ولـكن أمكنه بعـد ذلك أن يعلم نفسه الرياضيات ، واللغات الفرنسية والإسبانية والإيطالية .

والواقع أن فرنكلين قد علم نفسه كل شىء تقريباً — على كثرة ما وعاه ذهنـه الواسع — ما عدا صناعة الطباعة ، فقـد تعلمها بأن تتلمذ على أخيه جيمس، وكان يعد فى ذلك الوقت أبرع رجال الطبـاعة فى أمريكا . فلم يلبث بنيامين أن برع فى هذه الصـناعة أيضاً ، ثم اضطره حبه للاستقلال وغيرة أخيه منه ، إلى أن يهاجر إلى فلادلفيا وهو فى السادسة عشرة من عمره .

ثم لم تمض عشر سنوات بعد ذلك حتى كان بنيامين صاحب أحسن مطبعة وأعظمها فى أمريكا ، وأخذ ينشر التقاويم ، وكتب الدين ، وكتب المـدارس ، ويعيد طبع الأدب القديم وأهم مؤلفات الأدب الحديث، وكان يتولى طبع مطبوعات الحكومة لأربع ولايات . وهو أول من نشر جريدة باللغة الألمانية فى الولايات المتحدة . وكان يحرر المجلة التى اشتهرت فيما بعد باسم « ستردای إيڤننج پوست »

ولم يمض عشرون عاماً حتى أصبح بنيامين فرنكلين عين أعيان مدينة فلادلفيا ومسجل الجمعية العموميـة فى المستعمرة ، ورئيس المجلس البلدى . وهو أول من أنشأ فيها فرقة مطافىء ، ثم لم تنقض بضعة أعوام حتى أسس أكاديميـة فلادلفيا (وهى أول مدرسة عالية أنشئت بها) وفضلاً عن ذلك فإنه أصبح مدير البريد فى المستعمرة، والقوة السياسية من وراء الستار . وقد أتم تأسيس الجمعية الفلسفية الأمريكية التى أنشئت لتوثيق الصلة بين رجال العلم الوطنيين ، وتتضمن

سجلاتها اليوم عدداً كبيراً من أشهر أسماء رجال العلم فى أمريكا ، وهى توزع مئات الآلاف من الريالات فى كل عام لمساعدة البحوث العلمية . ونذكر بهذه المناسبة أن فرنكلين قد اخترع موقداً يعطى ضعف الحرارة ، فى مقابل ربع الوقود الذى كان يستخدم من قبل . وقد أصبح اسم فرنكلين بفضل هذا الاختراع متداولاً على جميع الألسنة ، فصارت شهرته لاتقلّ عن شهرة رتشرد الفقير .

ولم يكد يبلغ الأربعين من عمره — وقد استقرت أموره ، وبلغ من الخطر أقصى ماترجوه الضفدعة الضخمة فى البركة الصغيرة — حتى نال فجأة شهرة عالمية عظيمة ، وذلك أنه اشترى من أحد « الأساتذة » المتجولين جهازاً كان يعدّ فى ذلك الوقت من الأجهزة السحرية ، وهو وعاء لتركيز الكهرباء الناتجة من الحك باليد. وما كان يخطر إلا لصبىّ أن يفك الجهاز ليرى كيف يؤدى عمله ، ومايتسنى إلا لفيلسوف أن يكشف عن ذلك السر . وقد كان لفرنكلين نصيب من روح الصّبى والفيلسوف ، فاستطاع بعد بضعة أشهر أن يكشف من أسرار الكهرباء أكثر مما استطاعه جميع العلماء منذ كان أرسطو إلى أن كان نيوتن . ولما أخذ الشرار يتطاير من الكوخ الذى اتخذه معملا ، اضطر إلى أن يشدّ حبلا حوله ليذود الجماهير المحتشدة . وكان فرنكلين أول إنسان اهتدى إلى أن الكهرباء ماهى إلا تيار ، وأول من وفق إلى نقل هذا التيار حيثما شاء ، وأول من فهم أن الكهرباء قوة يمكن استخدامها ، ومن قبله لم يكن فى وسع أحد أن يدير عجلة أو يدق جرساً بقوة الكهرباء .

وقد استطاع فرنكلين أن « يكهرب » البيئات العلمية فى أوربة ، وأن ينال عضوية كثير من الجمعيات العلمية ، ودرجات الشرف من أعظم الجامعات ، بحيث أصبح بعد ذلك وهو « الدكتور فرنكلين » . ثم إن « شرارة » العبقرية التى انبعثت من فرنكلين ، كان لها الفضل فى افتتاح عهد الكهرباء . وقد تمنى لو استيقظ مرة فى كل مئة عام لكى يرى كيف حال بلاده ووطنه ! ولو أنه استطاع ذلك الآن لرأى أمته ، وطائفة من أمم العالم ، تعيش بالكهرباء ، ولفاض قلبه سروراً وابتهاجاً .

وعندما عين فرنكلين مديراً للبريد لجميع المستعمرات فى عام ١٧٥٣ ، كانت الرسائل قليلة بطيئة غير منتظمة ، وكانت الحسابات معقدة ، والنظام الإدارى عقيما فلم يلبث أن استحدث طريقة للحسابات ، يستطيع أصغر ناظر للبريد أن يستخدمها .

فكانت نتيجة ذلك أن أخذت المصلحة تجنى ربحاً ، وأخذت الرسائل تنقل فى الليل وفى النهار فى كل يوم من أيام السنة ، بين جميع المدن الكبيرة . وإلى هذا التحسين فى مواصلات البريد يرجع الفضل الأكبر فى تسهيل الاتصال بين المستعمرات ، من أجل ذلك النضال الذى كان وشيك الوقوع .

ولما جاء « برادوك » إلى أمريكا ، ومعه جنوده البريطانيون ، لكى يردّ عدوان الفرنسيين والهنود الحمر ، لم يستطع أن يجد وسائل النقل اللازمة . فنهض فرنكلين ولم يلبث أن أعد فى أسبوعين اثنين مئة وخمسين مركبة بخيلها وسائقيها ، والمؤونة اللازمة ، وبعث بها إلى القائد الذى أبدى له دهشته وشكره . فلما أخفقت الحملة التى قادها برادوك ، تعرضت المستعمرات لغارات الفرنسيين من البحر ، والهنود من البر ، فتولى فرنكلين تنظيم قوة من المليشيا ، وصار هو نفسه جندياً فيها ، يحمل بندقيته ويؤدى واجبه كسائر الجنود . وقام بعمل « يانصيب » ، ثم اشترى بالمال الذى جمعه مدافع ، ولم يزل يلح على أعضاء الجمعية العمومية حتى قرروا تسليح جميع رجال المستعمرة .

على أن بنيامين لم يكن من أنصار العنف ، فلما أخذ بعض المتطرفين المقيمين على الحدود يقتلون المسالمين من نساء الهنود وأطفالهم ، وأخذ هؤلاء يفرون لاجئين إلى فلادلفيا تتعقبهم تلك العصابات المتوحشة ، طلب حاكم المستعمرة من فرنكلين أن يتولى قيادة « المليشيا » ويخمد الثورة ، ولكن فرنكلين اكتفى بأن ذهب إلى لقاء أولئك الثائرين وهو أعزل لا سلاح معه ، واستطاع بقوة الكلام أن يهدئ ثورتهم ويردّهم . وكتب فى ذلك الوقت إلى صديق له فى لندن : « فى ٢٤ ساعة كان صديقك القديم جندياً ومستشاراً ، ودكتاتوراً ، وسفيراً إلى حشد ثائر من سكان الريف ، ثم رجع إلى منزله فإذا هو رجل من عامة الناس مرة أخرى » .

وقد خرج هذا « الرجل » بعد ذلك فى عام ١٧١٣ موفداً إلى لندن لكى يقف بين يدى الملك والبرلمان والطبقة الحاكمة فى إنجلترا مدافعاً عن حقوق بنسلفانيا ، وعن حقوق جميع المستعمرات . وكان موقفه أمام البرلمان وهو يعارض قانون الدمغة البغيض من المواقف المشهورة . كان يتكلم بلا غضب ، ويرد على كل سؤال بوضوح فى جملتين أو ثلاث تتضمن الحقائق التى لا تقبل النزاع . واستطاع فى يوم واحد أن يجيب عن ١٧٤ سؤالا وجهت إليه . فكان من دواعى دهشة الناس ، حتى أعضاء البرلمان أنفسهم ، أنْ قرروا فى ذلك اليوم إلغاء

قانون الدمغة . وقد طبعت شهادة فرنكلين ونشرت فى أوربة وأمريكا ، فأصبح معدوداً بين كبار رجال السياسة العمليين فى عصره . وفى ذلك الوقت سمع العالم صوت أمريكا للمرة الأولى .

وبعد ١١ عاماً من الحياة الدبلوماسية غادر فرنكلين إنجلترا ، قبل بدء المعارك بين المستعمرات وبين أمهم إنجلترا بشهر واحد . وفى الأيام الأولى القائظة من شهر يوليو سنة ١٧٧٦ اجتمع المؤتمر العام للقطر كله فى مدينة فلادلفيا ، وقرر تأليف لجنة من فرانكلين وآدمز وجفرسون لوضع نص وثيقة إعلان الاستقلال ، وعلى أن جفرسون كان هو المؤلف الأول لتلك الوثيقة ، فإن فرنكلين قد عدّلها ولطف لهجتها وجعلها أكثر دقة .

وكان أكبر شىء تفتقر إليه الدولة الجديدة هو أن تعترف بها الدول وتمدها بالمال ، وبخاصة فرنسا ، وهى فى ذلك الوقت العدو اللدود لإنجلترا . وقد وقع الاختيار على فرنكلين لكى يستدر المال الكثير من خزائن الدولة الفرنسية ، التى أوشك معينها أن ينضب فى عصر ملك كثير التردد هو لويس السادس عشر ، على أن تكون هذه الأموال قرضاً لدولة فى عهد الطفولة ليس لديها ضمان تقدمه . ومع ذلك فقد نجح فرنكلين فيما عهدوا به إليه . وعلى الرغم من الهزيمة التى منى بها وشنطن فى لونج أيلند ، واستيلاء الإنجليز على مدينة فلادلفيا ، ظل فرنكلين يعقد قروضاً جديدة ، وذلك على الرغم من براعة السفير البريطانى فى باريس ، والجواسيس الذين بثهم ليطلعوا على المفاوضات السرية التى كان يقوم بها فرنكلين . ولقد نجح فرنكلين لأنه هو بنيامين فرنكلين ، ذلك « الدكتور الطيب القلب » . فقد كان أصحاب الأمانة والصراحة يجدونه أميناً صريحاً ، وكان أصحاب المكر والخديعة يجدونه أمكر منهم وأبرع ، وكان رجال العلم يجدونه عالماً متبحراً ، وكان البسطاء من الناس يجدونه كمثلهم بسيطاً .

وربما كان بنيامين فرنكلين أبرع رجل ظهر فى السلك السياسى الأمريكى إلى اليوم ، وإليه يرجع الفضل فى عقد معاهدة التحالف مع فرنسا ، التى شرحت صدور الجنود الامريكيين يوم وقعة فالى فورج ، وكانت عاملا هاماً فيما أحرزته الثورة الأمريكية من النصر . فلما قدم فرنكلين أوراق اعتماده فى فرساى سفيراً لدولة معترف بها ، لم يتزىَّ بالزى المألوف فى مثل هذا الموقف ، فلم يلبس الحرير ، ولم يضع على رأسه الشعر المستعار ، ولم يتقلد السيف المألوف ، بل لبس سترته البنية وحمل عصاه فى يده ، وعلى عينيه منظاره

المربع، وكان شعره الأشيب يتدلّى من تحت فرو قبعته . ذلك أن « الدكتور الطيب » له سمعته وصيته ، فهل يسعه إلا أن يرتدى الملابس التى تناسب ما اشتهر به ؟

وبعد أن تم تسليم الإنجليز فى يوركتون، وجاءت مفاوضات الصلح ، أخذ فرنكلين يتوسل فى تلك المفاوضات بجميع الحيل وأساليب الدهاء السياسى، وأمكنه أن يحصل لأمريكا على الحدود التى كانت تريدها ، والتى تمتد غرباً إلى نهر المسيسبى . وبذلك استطاع أن يكسب الصلح ، كما كسب وشنطن الحرب .

فلما عاد من تلك المفاوضات إلى الولايات المتحدة ، أعلن هذا النبأ إلى الناس بقصف المدافع ودق النواقيس فى أبراجها دقاً عنيفاً، وخرجت كل هيئة لتحية الرجل العظيم ، بطل الثورة الأمريكية السياسى . وخرج للقائه أعضاء شركة يونيون لإطفاء الحريق التى أسسها منذ خمسين عاماً ، ورحّبوا بمقدمه ، فقال لهم فرانكلين إنه قبل انعقاد الاجتماع التالى للشركة يكون قد أعدّ دلوه وفأسه .

ولم يكد ينتخب عضواً فى الجمعية التشريعية لبنسلفانيا حتى انتخب رئيساً لها ، وبالرغم من أنه تولى الحكم بتأييد المحافظين ، وعلى الرغم من أنه أصبح اليوم غنياً طاعناً فى السن ، فإنه ظل كما كان وهو شاب فقير : رجلا من الأحرار، ساهراً على حماية الأقليات، وعدوًّا للقوانين التى تميز بين الطبقات ، وحريصاً على أن تكون حقوق الإنسان مقدمة على حقوق الملكية .

وقد صاحبته هذه المبادىء وهو يشهد الجمعية التأسيسية التى عقدت فى عام ١٧٨٧ لكى تضع دستوراً للولايات المتحدة ، وكان قد أعلن منذ زمن بعيد أن المستعمرات يجب أن تؤلف هيئة متحدة ، وقد آن الأوان كى تجد روح الأمة جسداً تعيش به . ولكن الحفائظ كثيراً ما كانت تثور فى تلك الأيام العصيبة ، فكان فرنكلين يعيد الهدوء إلى النفوس بحكمته وفكاهته . فقد كان من عادته – كما كان لنكولن – أن يكسر سورة الغضب بأن يقص نادرة أو فكاهة . وبهذه الوسيلة أمكنه أن يقى الجمعية التأسيسية شر الإخفاق والانقسام ، وأمكنه أن يحارب فكرة جعل حق الانتخاب وتقلد الوظائف مقصوراً على أصحاب الثروة . وإليه فى النهاية يرجع الفضل فى حل أكبر عقدة صادفتها الجمعية ، وذلك أن الولايات الكبيرة أرادت أن يكون التمثيل فى البرلمان بنسبة عدد السكان ، وأمّا الولايات الصغيرة فقد أرادت أن تكون الأصوات متساوية بين جميع الولايات . وانقضت الأسابيع دون أن ينزل

أحد الفريقين عن رأيه ، ثم اقترحت خطة وسط ، وأدخلت في نظام الحكومة : وهي أن يكون التمثيل بنسبة السكان في مجلس النواب ، وأن تتساوى الولايات في عدد من يمثلها في مجلس الشيوخ . وقد لقي هذا الحل قبولاً من الطرفين ، بفضل ما امتاز به فرنكلين من القدرة على الإقناع .

وفي ذلك الوقت أخذ فرنكلين يشكو ضعف البصر ، فلم يلبث بذكائه المعهود أن ابتكر العدسات المزدوجة . ثم رأى أن الشيخوخة تعجزه عن التسلق لاستحضار كتاب من الرفوف العليا ، فابتكر العصا الطويلة ذات الطرف المعقوف ، والتي لا تزال تستخدم إلى الآن في دور الكتب وفي دكاكين البقالة . وكان قد بلغ من العمر ٨٤ عاماً ، يوم وفد عليه وافد الموت سنة ١٧٩٠ ، فأكرم وفادته .

وكان من جملة ما أوصى به تخصيص ٢٠٠٠ جنيه لمساعدة المشتغلين بالعلم وبالبحث العلمي في بوسطن وفلادلفيا ، على أن تقدم المساعدة في أكثر الأحوال قرضاً يرد مع الفائدة . وقد نما ذلك المبلغ الذي تركه فرنكلين حتى أصبح اليوم ملايين عديدة من الريالات . وترك أيضا في وصيته ١٠٠ جنيه لمنح مداليات فضية للطلبة المتفوقين في المدارس الثانوية في مسقط رأسه بوسطن ، وقد بلغ عدد المداليات التي تمنح نحو الثلاثين في كل عام . ومنذ سنة ١٧٩٣ استطاع نحو ٤٥٠٠ شاب أن يفخروا بإحراز هذه المداليات . وهكذا نرى ذلك الصبي . الذي استطاع أن يعيش ، وأن يكون طابعاً وناشراً ، ورجل أعمال ، ومشرعاً ، وسياسياً ، ومن رجال الخير ، لايزال إلى اليوم يتطلع ، ومِلؤه الأمل ، لكي يرى فتى من فتيان هذا العصر ، يستطيع أن يسير بسيرته ، وأن يقتفي أثره .

اشتغلت بتحصيل المال لأحد المخازن في فصل الصيف ، فأتيت ذات يوم فلاحاً عزباً يحلب بقرة فقال لما رآني : « لن أتأخر أكثر من دقيقة » وأشار إليّ بالجلوس .

فلما فرغ من حلب البقرة رفع الدلو إلى شفتيه وعبّ منه ، ثم دلق الباقي على الأرض وقال : « أما وقد فرغنا من الحلب والعشاء وتنظيف الصحون ، فتفضل وقل ما ذا تريد » .

[ألفن لندجرين]

خطرات

أكبر أخطاء الرجال تركُ المجاملة ، فإن أحدهم إذا كفّ لسانه عن قولِ ما هو جميل ، كف أيضاً عن التفكير في ما هو جميلٌ .
[أوسكار وايلد]

الإساءة شيء لا خطر له ، إلا إذا أصّر المرء على تذكرها .
[كنفوشيوس]

ماظنُّك بفصل الربيع لوكان مجيئه مرّة في كل قرنٍ لا مرة في كل سنة ، أو لو أنه كان يأتي في مثل ضجة الزلزلة لا في صمت وسكون ، أكنت ترى القلوب تتشوّفُ إلى سحره وبدائعه مترقبة أو متعجبة ؟
[هنرى وادزسورث لنجفلو]

لا تعجل بالسخط على أخطاءِ أحدٍ من الناسِ ، حتى تتريث وتعُدّ عشرة ـ من أخطائك أنت .
[سبرنجفيلد يونيون]

كان قوّاد نابليون إذا جاءوه يتبجّحون بذكر ظفر أحرزوه ، وجدوا عنده سؤالا عتيداً أعده لهم : « وماذا فعلتم في اليوم التالى ؟ »
[مكسويل دروك]


أهم الأسباب التى تقطع النساء عن أن يأتين بمثل ما يأتى به الرجال من المآثر الخالدة ، هو أن ليس للنساء زوجات . وأخشى أن يكون قد كتب علينا أن نظل نحن « الجنس الأدنى » حتى يأتى على العلم والاقتصاد يومٌ يتاح لأحدها فيه أن يصحح هذا الخطأ الذى جاء مع الفطرة الأولى .
[الأستاذة مرجورى نيكلسن فى جامعة كولومبيا]

إذا رأيت الشعب يؤثر على الحرية شيئاً ما، فصيره أن يفقد الحرية . فإذا كان ما يؤثره راحة أو مالاً فقدها أيضاً ، فيالها من سخرية !
[سومرست موام فى كتابه « من خاصة أمورى »]

السماء قوت العيون .
[رالف والدو إمرسون]

إذا دخلت مكتب بل جرادى الباحث عن ذوى المواهب من الممثلين ، رأيت هناك شعاراً معلقاً هو هذا : « ماهو إلا أن تهوى الهالة قليلاً فإذا هى أنشوطة خانقة » .
[إنجا أرفد فى مجلة « الحرية »]

نصح توماس هتشكوك ولده الرياضى فقال : « يا بنىّ تقبّل الغلبة كأنها شىء تحبّه ، والنصر كأنه شىء ألِفته » .
[مجلة « نيوز ويك »]



باب الكتب ـ ١ ـ

الحياة في الغابات

مختصرة من كتاب
هنري داڤيد ثورو

« الحياة فى الغابات » بيانٌ وافٍ عن تجربة عيشة راضية مطمئنة ، وعن مغامرة فى طلب البساطة والنظام لا تزال مطابقة لحاجة الإنسان ، كما كانت منذ مئة سنة مضت . وهو كتاب سمع به أكثر الناس ولكن لا يقرؤه اليوم إلا قليل . ومع ذلك فيخيل إلينا أنه كلما ازدادت الحضارة تعقيداً على تعقيد ، ازداد هذا الكتاب علوًّا وخلوداً عاماً بعد عام .

الحيـــاة في الغابـــات

لقد آليتُ أن أؤذِّن في الناس كديك الصباح ما استطعت ، وإلا فحسبي أن أوقظ نوّام جيراني الأدْنَــين ...

إن جمهور البشر يعيشــون في قنوطٍ مستكنّ هادىء . والذي يعانونه من قلق مستمرّ ونَـصَـب دائم أشبه بالداء العُضال الذي لاشفاء له . وقد ضاق وقتهم عن أن يكونوا شيئاً سوى آلات متحركة . فيالها من غفلة وحماقة !

ويخيّــل إليّ أنهم يظنون أنه لم تبق لهم خِــيَرة في هذا الأمر ، فليتهم علموا أنّه ما من رأي ولا عمل ، مهما تقادم عهده ، يجوز أن يؤخذ بالتسليم بغير سلطان ولا برهان . وما من شيء يقول لك الناس إنك لاتستطيع أن تفعله ، فحاولت أن تفعله إلا رأيت أنك مستطيع .

ولقد أقنعتني التجارب أن مزاولة العيش في هذه الحياة الدنيا ليست عناءً ومشقة بل لهواً وتسلية ــ إذا حرص المرء على أن يعيش بحكمة وعلى الفطرة .. ولقد عشت سنتين كاملتين وحيداً في الغابات على مسيرة ميل من أيّ جار يجاورني ، فاتخذت لنفسي داراً بنيتها بيديّ على شاطىء بحيرة والدن في ولاية ماساشوستس .

لقد رحلت إلى الغابات لأني أحببت أن أعيش كما أشتهي وأريد ، وأن أقتصر على مالا بد منه من أسباب الحياة ، وأن أعرف ماذا أستطيع أن أتعلم من علمها الذي تعلمنيه . وأردت أيضاً أن أعيش عيشة متعمقة تستوعب سر أسرار الحياة ، وأن أعيش زاهداً متقشفاً صابراً طليقاً كالإسبرطيين ، بأن أنفي عن الحياة ماليس منها ، وأن أردّ الحياة إلى أبسط صــورها . فإذا ثبت لي أنها خسيسة القدر ، فعلامَ إذن نجهد أنفسنا في تلمّــس كلّ مافيها من خسّة متمكنة ؟ وإذا صح أنها رفيعة القدر فقد عرفت ذلك بالتجربة .

في أواخر مارس ١٨٤٥ وقفت على شاطىء بحيرة والدن ، وأخذت أجتثّ شجرة شهباء طويلة مسنونة الفروع من شجر الصنوبر ، وأشذّب خشبها وأنجره بفأسي فأجعله أجذالاً وعروقاً وصفائح . وعمدت إلى كوخ قديم فاستعنت بالألواح التي فيه ، أما مخزن طعامي فقد احتفرته في حضن ربوة كان قد سبقني إليها طائر نقار فاتخذها وكراً عند أصل

بعض أشجار السُّماق والعُلَّيْق . وفى شهر مايو أعانى بعض أصحابى فأقمت قوائم منزلى ، وما هو إلا أن سقّفته ووضعت الألواح على جوانبه حتى جعلته سكنى ومأواى . وقد بلغت تكاليف ذلك كله ٢٨ ريالا . نعم لقد كان مسكناً صغيراً لا يتردّد فى جوانبه صدًى من ضيقه ، غير أنه كان يبدو أوسع من أن يكون سكناً يسكنه إنسان بمفرده ، فى ناحية بعيدة عن الجيران .

وأصلحت قطعة أرض تكفى لما أريد زراعته من فول وبطاطس وذرة ولفت ، فعرفت من يومئذ أن المرء إذا عاش عيشة بسيطة ، وحرص على أن لا يأكل إلا ما يزرع وأن لا يزرع أكثر مما يأكل ، لم يحتج إلى أن يفلح من الأرض أكثر من بضعة أمتار قليلة ، وأنه يستطيع أن يؤدّى أعمال زراعته وادعاً غير جاهد ، وذلك فى بعض أوقات فراغه أيام الصيف . إنها ليست على المرء ضربة لازب أن يكسب رزقه بعرق جبينه ، اللهم إلا إذا كان بدنه أسرع من بدنى فى إرسال العرق .

لم يكن طعامى يكلفنى سوى ٥٤ مليما فى الأسبوع على التقريب ، وقدّرت جملة الوقت الذى قضيته فى العمل ، فإذا هو ستة أسابيع أنفق أيامها فى أدائه ، وذلك حسْبى فى الوفاء بنفقاتى كلها . وتبين لى أن هذه المهنة هى أوفر المهن حرية ، فإن يوم العامل ينتهى بمغرب الشمس ، ففى وسعه بعدئذ أن يصرف همه إلى أى عمل يؤثره ويختاره . فكانت أيام الشتاء كلها ، وأكثر أيام الصيف ، فراغاً خالصاً أنفقه فى التحصيل والدراسة .

حسب المرء فائدة يستفيدها من معيشته على الفطرة ، وإن كان فى غمرة الحضارة ، أن يعلم ما العناصر الجوهرية التى هى قوام الحياة . أجل ، فإن أكثر أسباب الترف ، وكثيراً مما يتوهم الناس أنه من أسباب الراحة ، ليست أموراً نحن فى غنى عنها فحسب ، بل هى عوائق قائمة تؤخر رقى الجنس البشرى . وحياتنا أشلاء ممزقة تعصف بها كثرة المشاغل . وأكثر الناس يعيش عيشة خسيسة ذليلة ضارعة : فهو يقتّر على نفسه جاهداً ليخرج من ذلّ الديون ، وهو يمرض نفسه بشدة الشح رجاء أن ينفعه ماله إذا مرض .

وكلما رأيت أحدنا يقضى أجمل شطر من عمره فى كسب المال الذى يعينه على أن يستمتع بحرية موهومة يوم يبلغ أخسّ شطريه قيمة ، تذكرت ذلك الرجل الإنجليزى الذى رحل إلى الهند ليجمع ثروة عسى أن يعود إلى إنجلترا ثانية فيعيش معيشة شاعر ، وكان أولى به أن يسارع إلى غرفة فى سطح بيت يجعلها مثواه ومَهْبِط إلهامه .

والشعب نفسه ، بما فى مجموعه من رخاء موهوم ، ليس سوى بنيان ضخم متراكب دمّره الترف والسَّفه والتبذير وسوء التقدير وتفاهة الغرض ، كما دمرت الآلاف المؤلفة من الأسر فى طول البلاد وعرضها . وليس للشعب ولا لأهليه من علاج شافٍ إلا الصرامة فى تدبير الأموال والنفقات ، والبساطة فى المعيشة ، والسمو فى الأغراض . أما أسباب الترف والراحة ، فإن الحكماء كانوا أبداً أحرص الناس على بساطة العيش .

وأكثر الناس تتوزّعهم الهموم الكاذبة فى الحياة حتى تقعد بهم عن أن يجنوا خير ثمارها . وأنت إذا سرّك أن تكون فيلسوفاً فلن يغنيك أن تكون صاحب أفكار دقيقة ، حتى يبلغ بك حب الحكمة أن تعيش عيشة البساطة والحرية والنبل والأمانة . ومعنى ذلك أن تعالج بعض مشاكل الحياة — لا بالعقل وحسب ، بل بالعمل أيضاً . فما هى جرثومة الترف التى تَسُلّ قوى الشعوب وتدمرها ؟ وهل نحن على ثقة من أن ليس فى حياتنا شىء منها ؟

أعلم أن الشعوب تستبدّ بها شهوة حمقاء حتى تخلد ذكرها بفخامة الحجارة المصقولة المنضودة ، فانظر ماذا يكون حالهم لو هم بذلوا مثل ذلك من الجهد فى تهذيب الأخلاق والعادات وتطهيرها ؟ لقد كان خيراً للشعوب أن تخلد ذكرها ومجدها بروائع الفكر لا بروائع البناء . وحدثنى بربك ما جدوى كل ما نضدوا من حجارة وصخور ؟ ألا إن خصلة واحدة تدل على أصالة الرأى ، لأجدى وأخلد من نصب شامخ يسامى نجوم السماء .

وهذه الأهرام الخالدة لا أجد فيها عجيبة إلا عجيبة واحدة — أنه قد كان فى الدنيا هذا الحشد من البشر الذين بلغ من هوانهم على الناس وعلى أنفسهم أن يقضوا أعمارهم فى تشييد قبر لرجل طموح سفيه الرأى ، كان أولى به وأكرم لهم أن يغرقوه فى أعماق النيل . وإنى لأرى كثيراً من الناس يشغلون أنفسهم ليعرفوا من الرجل الذى بناها ، أما أنا فما يسرنى إلا أن أعرف مَنْ مِنْ أهل ذلك الزمان من لم يشغل نفسه ببنائها أو ببناء مثلها — أى من الذى ترفع عن مثل هذه التفاهات ؟

لقد علمتنى السنتان اللتان قضيتهما فى مزاولة حياة الفطرة عجباً من العجب : أن تحصيل القوت الضرورى لا يكلف المرء سوى جهد قليل لا يكاد يصدق ، وأن المرء إذا عاش على غذاء بسيط كغذاء الحيوان لم يضره ذلك ، بل يعيش موفور الصحة والقوة . وبالله عليك ماذا يشتهى الرجل العامل من الطعام فى ساعة الظهيرة مثلاً ،

سوى بضعة كيزان من الذرة الخضراء يغليها مع قليل من الملح .

أما الثياب ، فلعلّ أكبر ما يهمنا منها هو حب الطرافة ومراقبة رأى الناس فيها ـ لاطلب المنفعة منها . وأنا على يقين من أن اهتمام عامة الناس بأن تكون ثيابهم مطابقة للطرافة والشهرة (المودة) ، أكبر من اهتمامهم بأن تكون بين جوانحهم قلوب سليمة من الدَّخَل . أما أنا فلم يُزْرِ بأحد من الناس عندى أن أرى عليه ثياباً مرقعة . والرجل الذى صرف همه إلى عمل عظيم يتمه، ليست به حاجة إلى ثوب قشيب يلبسه إبّان أدائه .

ولست أنكر أن المأوى ضرورة من ضرورات الحياة ، بيد أنى أرى أكثر الناس يعيشون عمرهم كله فى فقر هم فى مندوحة عنه ، لظنهم انه لا بد من أن تكون لهم بيوت كبيوت جيرانهم . وتدبر ضآلة الضرورة التى تلجىء المرء إلى طلب البيت . والمرء إذا وجد الدفء ، فماذا يبغى وراء ذلك ؟ إنه لايبغي ولاريب دفئاً من الضرب نفسه ، ولا بيتاً أرحب وأفخم ، ولا نيرانا أكثر عدداً وأشد حراً وأشباه ذلك. والمرء إذا أصاب ماهو قوام للحياة ، فأجدر به أن لا يصرف اختياره إلى ماليس بضرورى للحياة، بل عليه أن يقذف بنفسه فى خِضَمّ الحياة لساعته ، فقد خلصت عنقه من ربقة الكدح والعناء .

حين اتخذت لنفسى سكناً بين الغابات ، صار كل صباح أستقبله كأنه دعوة محبَّبة تغرينى بأن أجعل حياتى رائعة بسيطة كالطبيعة نفسها ، فأرانى أستيقظ مع بزوغ قرن الشمس ، فأستحم فى الغدير، والضباب حولى فى الجو كالأشباح يسرق الخطى هارباً فى كل وجه إلى جوف الغابة ، فكانت رياضة أحسُّ لها خشوعاً كخشوع العبادة ، بل كانت من أحب الأعمال إلىّ .

والصباح هو أعظم الساعات المشهودة فى اليوم كله . هذا على أن المرء إذا تابع مسير الشمس بفكر رزين طيّع صار يومه كله صباحاً مديداً دائماً . وكنت ربما جلست فى الشمس الضاحية أمام البيت من ساعة الشروق إلى ساعة الهاجرة سارحاً فى الأحلام ، تحت ظلال أشجار الصنوبر والجوز والسماق ، وفى عُزْلة وسكون لايفسدها على شىء ، والطير من حولى تسجع وتتغنى أو تمرُق فى جوانب البيت طائرة لاتحدثْ صوتاً . فكنت أنمو فى تلك الساعات كما تنمو أعواد الذرة تحت جنح الليل . بيد أن عشيرتى من أهل المدينة سيقولون هذا كسَل صِرْف ، ولا ريب.

ولقـد عرفت من يومئذٍ حق المعرفة ماذا يعنى أهل الشرق بما يسمونه « الاستغراق والتأمل » ، فلم تكن أيامى أياماً يحتويها أسبوع ، ولا أياماً تقطع أوصالها الساعات أو تكدر صفوَها طقطقة الساعة .

كان لى فى هذا النهج الذى عشت عليه فضيلة تجعل لى مزية على أولئك الذين تضطرهم حياتهم إلى التشوُّف إلى خارج البيت ابتغاءَ السلوة ، إذ كانت حياتى هى سَلْوتى وقُرَّة عينى ، ولم أعدَم لها قط جدَّة وبشاشة . لقد كانت مشاهد مفصلة متصلة لانهاية لها ، وكان عمل البيت تسلية بهيجة . فإذا اتسخت أرضـه بكرتُ فى الهبوب من نومى ، وأخرجت الأثاث من البيت ، ثم أصبّ على الأرض ماءً ، ثم آتى برملٍ من شاطىء البحيرة فأرشه عليها ، ثم آخذ مكنسة فأكنسها فإذاهى بيضاء نظيفة .

وما هو إلا أن أرى أعـواد الفول قد اهتزت وطلبت المخرج من منابتها ، فأسرع إليها قبل أن تعلو الشمس شجيرات البلّوط ، ثم أسرع فى حشّ الحشائش العاليـة ، وأمضى فى عملى حافى القـدمين سائراً على ذلك الرمل الندىّ ، وإذا عملى فى كل يوم هو أن أتيح للتربة الصفراء أن تخرج خبءَ ضميرها فولاً عليه ورقٌ ونوّار ، وأن أتيح للثّرى أن يَبُثّ أسراره فولاً ناضراً لا عُشْباً وحشيشاً .

وإذا ما ضربتْ فأسى صخرة فى باطن الأرض ، سمعت لصليلها صدًى كأنه موسيقى تتردد بين جَنَبات الغاب وأطباق السماء ، وأرانى أعمل عملى على ألحانها . وربما رأيت صقر الليل محوّماً فى عنان الجو كأنه قذاةٌ تلوح فى مرآة السماء ، وأنظر إليـه يهوى بين الحين والحين منقضًّا مرسلاً صريراً حادّاً حتى إخال أنها السماء قد انشقت. وربما وقفت أرقب زوجاً من إناث الصـقور تحومان فى جو السماء ، وتتناوبان التحليق والهبوطَ، وتتقاربان وتتباعدان، حتى أظنهما صورة مجسمة من أفكارى التى تساورنى وتخامرنى . وربما أزعجت فأسى عَظاءَةً رقطاء (سحلية) بليدة الحركة بشعة المنظر خرجت من مرقدها تحت جـذع نخـر . فكنت إذا وقفت أستريح متوكئاً على نصاب فأسى ، وجدت أن تلك الأصوات وتلك المناظر ليست سوى قليل مما يجود به الريف والبر من أسباب الترفيه التى لاتنفد .

لقد يئست الكآبة القاتمة من أن تستبدّ بامرىء يعيش بين أحضان الطبيعة ساكن النفس هادىء الحواس . فقد رأيتنى أعيش مستمتعاً بصداقة الطبيعة ، فما وجدت شيئاً استطاع أن يجعل الحياة عبئاً ثقيلا على نفسى .

فهذا المطر الذى رَوَّى فولى وحبسنى اليوم بين جدران دارى ، لم يجلب على كرباً ولا كآبة بل كان خيراً ونعمة .

كانت أحلى الساعات عندى ، حين تهطل الأمطار المنهمرة فى الربيع أو الخريف فتجعلنى رهين البيت وتمسح عن قلبى الهموم بما أسمع من زمجرتها وصوت هطولها ، وحين تطول ساعات الشفق وتنثال على المرء أفكار كثيرة فتستقر فى نفسه وتكشف له اللثام عن أسرارها . وكان من دأبى أن أخرج فى الليلة الدافئة فأركب قاربى ناخاً فى نايى ، فإذا بى أرى الأسماك تحوم حولى ، كأنها مفتونة بى وبما تسمع منى .

وكثيراً مايقول لى بعض الناس : « أظنك تشعر هناك بالوحدة ، وتود لو كنت قريباً من قومك وعشيرتك؟ » ، فلا أجد شيئاً أحب إلى من أن أقول لهم : « لماذا أشعر أنى وحيد ؟ وحدثونى أىُّ مسافة هذه التى ترونها تقطع المرء عن عشيرته وتجعله فى عزلة مستوحشاً ؟ ولقد عرفت أنه ما من جهد تبذله الأرجل فى السعى ينتهى إلى أن يقرّب ما بين عقلين متباعدين . وحدثونى أى شىء نحن فى حاجة إلى جواره والقرب منه ؟ لن تقولوا — إلى جمهور غفير من البشر ، ولاريب ، بل إلى ينبوع حياتنا السرمدى الدافق » .

واجتماع الناس فى الغالب شىء تافه لاغناء فيه ، فنحن نتلاقى فى فترات متقاربة حتى إن الوقت ليضيق بأحدنا عن أن يقف على خصلة جديدة فى أخيه تزيد قدره له ومعرفته به . وإننا لنتلاقى على مائدة الطعام ثلاث مرات فى اليوم ، فما يزيد ما نفعله على أن يذيق بعضنا بعضاً طعم تلك الثمار الحامضة التى هى نحن أنفسنا . ونحن نتلاقى عند مكتب البريد ، وفى الحفلات ، وحول مواقد النيران فى كل ليلة ، بل نحن نعيش فى زحام كثيف حتى يعوق بعضنا بعضاً عن الحركة ، ويكبكب بعضنا على بعض ، ويخيل إلىّ أن ذلك يفضى بنا إلى أن يقلّ توقير الرجل منا لأخيه .

وأنا بلا ريب لست بناسك ولا راهب متبتّل ، بل أظننى كأشد الناس حباً لمخالطة الناس ، وأن فى نفسى ما يجعلنى ألتصق التصاق العلقة مصّاصة الدم ، إذا وقعت على رجل حق تترقرق الدّماء تحت إهابه . وليس فى بيتى سوى ثلاثة كراسى ، فواحد للعزلة واثنان للصداقة ، والثلاثة لاجتماع السمار . وكان فيمن يزورنى رجال من أصحاب الأعمال ، ولكنى لم أرهم يفكرون إلا فى مزاولتى للعمل ، وفى هذا المسكن النائى الذى يقصينى عن هذا المكان أو ذاك ، وأسمعهم يقولون إنهم يحبون النزهة فى

الغابات ، فما أرتاب فى أن الأمر ليس كما يقولون . ولكن كان يزورنى من أجدنى أشد أنساً بهم — من أطفال يأتون ليقطفوا بعض الثمار ، ومن عمال فى السكة الحديدية فى ثيابهم النظيفة وقد خرجوا للرياضة فى يوم إجازتهم ، ومن سماكين وصيادين ، ومن شعراء وفلاسفة — وقصارى القول إنهم هم الحجاج المخلصون الذين خرجوا من ديارهم إلى الغابات حباً للحرية وحسب .

فلما وافى شهر سبتمبر رأيت على الشاطىء الآخر من البحيرة شجرتين أو ثلاثاً قد بدأت أوراقها تحمر ، وأخذت كل شجرة تتميز عن أختها شيئاً فشيئاً على مرور الأيام وكأنها مفتونة بنفسها معجبة بانعكاس صورتها على المرآة الصقيلة التى تلألأ من ماء البحيرة . ولما نضجت ثمار شجر أبى فروة (الكستناء) ادخرت منها قدراً كافياً للشتاء ، فكنت أخرج حاملاً على كتفى غرارة أجول بها فى جوف الغابات . ولما حل شهر نوفمبر فيومئذ بدأت أتخذ البيت سكناً ألوذ به ، وذلك أنى بدأت آوى إليه طلباً للدفء والوقاية . ولقد طابت نفسى يوم رأيت سُخام النار الأسود يغشى جدران المطبخ الذى بنيته بيدى ، فكنت إذا حركت النار بالمِسْعر ليعلو ضرامها ، أجد فى ذلك لذة أعظم مما عهدت .

فلما جاء زمن الجليد شرعت أطلى الجدران بالجبس ، وأخيراً أقبل الشتاء بعنفوانه وقد فرغت ولما أَكُدّ ، وأخذ عَزْف الرياح يدوّى حول البيت طروباً جذلاً كأنه كان محرّماً عليه أن يفعل ذلك حتى أُذن له فى هذه الساعة . وطفقت الإوَزّ تأتى ليلة بعد ليلة وهى تدلف متثاقلة ولأجنحتها خفق وتصفيق ، وظلت تفعل ذلك حتى بعد أن غطى الثلج أديم الأرض .

صار كل عملى يومئذ أن أجمع الحطب من الغابة ، فربما رأيتنى أتأبط شجرة بيمناى وأخرى بيسراى وأجرّها إلى سقيفة الحطب . وكل إنسان من البشر يرنو إلى حطبه المدّخر بعين ملؤها الشغف ، وقد كنت أنا أحب أن أجعل حطبى أمام نافذتى ، فكلما كثرت أعواده كان ذلك أفضل ، فهى تذكرنى بالعمل الذى أدّيته على أرضى وجه . وليت شعرى أى شىء تقَرُّ به عين المرء كما تقرّ بطعام كان قد اضطره منذ قليل إلى الخروج تحت غاشية الثلوج حتى يحتطب له حطباً ينضجه عليه .

وقلما كان يزورنى أحد فى هذا الفصل من السنة ، فالثلج إذا كثر نهى كل طارق عن الدنو من مثواى ، فيمر الأسبوع والأسبوعان لا أرى طلعة بشر ، فكنت أقضى أيامى مستكناً فى هذا المثوى كما تفعل

فئران المروج والغيطان . وكان دأبى أن أخرج مع الصبح حاملاً فأساً ودلواً ، فأيمم شطر البحيرة طلباً للماء ، ولا أزال أشق طريقى بين الثلوج والجليد ، حتى إذا بلغت غايتى حفرت ثغرة فى الجليد ، فإذا ماجثوت لأكرع من الماء، صوبت البصر إلى مسبح الأسماك الساجى ، فإذا ضوء ناعم رقيق يتخلل جوه وكأنه منبعث من نافذة عليها زجاج مصقول ، ويسود المكان سكون خالد لاتقطع صمته الأمواج ، كسكون السماء الساجية فى شفق الغروب ، وإذا أنت ترى السماء تحت موطىء قدميك ، كما تراها سقفاً مرفوعاً فوق رأسك .

كان من أكبر ما أغرانى بالخروج إلى الغابات والعيش فيها ، أن يتاح لى أن أرى مقدم الربيع فى إبانه . أخذ الضباب والمطر وارتفاع الحرارة يذيب الجليد شيئاً بعد شيء ، وأخذ اليوم يطول طولاً تكاد تحسه . وجعلت أتسمع نبأة من ترجيع طير عائد بعد غيبة ، أو هتافاً رخيما من سنجاب ، أو أتلفت لعلى أرى طائراً نقاراً قد انطلق خارجاً من مكمنه الذى يقضى فيه أيام الشتاء .

يابشرى ! هذا أول أنغام الربيع ! بل هذا محيا العام قد أشرق كأنضر ما كان وأحفله بالبركة ! بل هذه ألحان طيور الربيع تطوى إلى السهول الجديبة الندية ، فأسمعها خافتة لها رنين رقيق كرنين صفائح من فضة ، فإخال أنى أسمع صوت آخر حبة من ثلوج الشتاء وقد هوت ساقطة على الأثر . فما تاريخ الدنيا عندئذ، وماحساب الزمن، وما الآداب الرفيعة على بكرة أبيها ؟ هذه جداول الماء تتغنى جذلانة بمقدم الربيع ! وتسمع الأذن صوت الثلوج الذائبة متخافتاً منحدراً إلى بطون الوهاد ، وحس الجليد وهو يذوب ذوباناً حثيثاً فى قلب البحيرة . وترى العين هامات العشب حمراً متوهجة على مناكب الربى كأنها نار الربيع المشعلة ، حتى كأن جوف الأرض ينفث زفرات متضرمة يحيى بها الشمس الآيبة بعد طول غياب .

وأوان تغير الجو من عاصفة وشتاء إلى صحو وصفو هو الساعة الفاصلة المشهودة التى تنادى جميع الموجودات بحلولها ، والظاهر أنها سريعة الزوال . ففى مثل لمح البصر رأيت الضوء يغمر جوانب دارى ، وإن كان الليل قد أوشك أن يقبل ، وسحائب الشتاء لم تنقشع بعد ، وظنف البيت لايزال يقطر ماء من هطول المطر . فقمت أطل من الشباك ، فيارباه ماذا أرى ! هذا الذى كان بالأمس ثلجاً بارداً أشهب اللون ، قد استحال غديراً شفافاً ساجياً مبشراً بالخير . ثم سمعت رنة عصفور آتية من بعيد ، فخيل إلى أنها

أول رنة سمعتها منذ آباد متقادمة من سالف الدهر ، وأنى لن أنسى لحنها على كرّ الآباد المتطاولة من الدهر الآتي ـ فهي الأنشودة الفتية الحلوة المرددة منذ الأزل .

نحن البشر فى أمس الحاجة إلى سر القوة الذى تبعثه فينا حياة الغاب ـ فى حاجة إلى أن نخوض أحياناً فى المستنقعات حيث تتخذ الدجاج وطيور مالك الحزين مجاثمها ، وأن نتشمم رائحة البرديّ الذى توسوس خلاله النسمات ، حيث تبنى أوكارها دجاجات أشد توحشاً وتوحُّداً ، وحيث يزحف النمس وبطنه لاصقة بأديم الثرى . ونحن مهما نهلنا من مناهل الطبيعة فلن ننهل منها ماينقع الغلة ، فينبغى أن ننعش أنفسنا بمرأى القوة التى لاتنفد، وبمناظر البسيطة المتراحبة الهائلة، وبغُثَاء البحر الذى يقذفه على الشاطىء ، وبالغابات وما فيها من شجر ناضر أو أجذاع نخرة، وبمشهد البوارق والرواعد والأمطار .

وبعد سنتين كاملتين فارقت الغاب ، فربما كان ذلك منى لأنى رأيت أن أمامى ضروباً كثيرة أخرى من الحياة ينبغى أن أستمتع بها، وأنه لم تبق لى فسحة من الوقت أقضيها فى هذا الضرب وحده . ومن العجيب أنه من السهل كل السهل أن ننقاد إلى طريق بعينه ، ثم نتخذ لأنفسنا فيه منهجاً مطروقاً نألفه . إنّ أديم الأرض رقيق سريع التأثر بوطىء الأقدام وكذلك شأن كل سبيل يجتازه عقل الإنسان. فأى أزقة دارسة تربة عميقة تراها، تلك الأزقة التى داسها العُرْف ودرج عليها الاحتذاء بآثار الآباء والأجداد!

بيد أن المرء إذا زاغت خطاه عن مسايرة خطى رفقائه ، فربما كان مردّ ذلك إلى أنه يسمع نغمة غير التى يسمعونها فهو يسير عليها . وخير له أن يتبع اللحن الذى يسمعه كيفما كان إيقاعه ، ومهما تباعد مصدره . ولقد علمتنى التجربة شيئاً واحداً على الأقل هو : أن المرء إذا مشى ثابت الجنان إلى حيث تقوده أحلامه ، وحاول أن يعيش العيشة التى يمثلها له خياله ، لقى من النجاح مالم يكن يتوقعه فى سائر أيامه . إنه سيُعْرِض بجانبه عن بعض أشياء ويهجرها ، وإذا به يجد أن هناك بضعة قوانين أخف قيداً وأهون محملاً قد بدأت تستقر من حوله وفى دخيلة نفسه. والمرء كلما ازداد بساطة فى عيشه ، ازدادت نواميس الطبيعة فى عينيه بساطة وبعداً عن التعقيد ، فلا العزلة ترى عندئذ عزلة ، ولا الفقر فقراً ، ولا الضعف ضعفاً . وإذا كنت قد بنيت لنفسك صروحاً مشيدة فى الهواء ، فلا تظننها جهوداً ضائعة ولابدّ ، فذلك هو مكانها الحق ، وما عليك إلا أن تسرع فتضع لها أساساً ثابتاً فى الأرض .

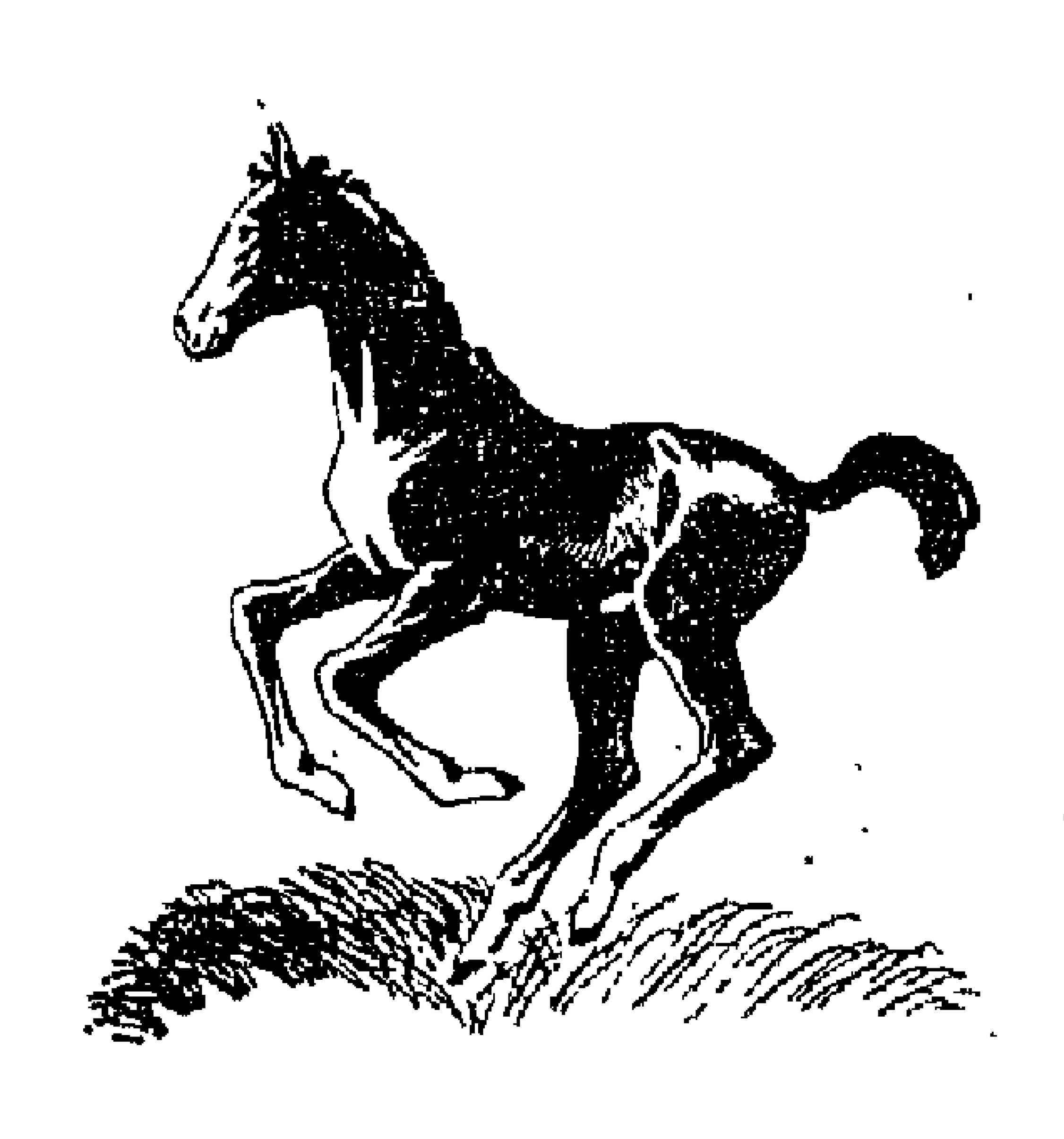
هــذا تاريخ جواد نبيل أفرغه في قالب قصة ،
ضابط كان له صاحباً فى الحرب العالمية الأولى .

الوَثّابُ

حياة حصان من سيبريا

مختصرة من كتاب

نقولا كالاشنيكوف



كان الوثّاب حصاناً من خيل سيبيريا ، وكان صديقاً لى ، وكنت أجده رفيقاً شجاعاً وفيه وفاء وإدراك يندر مثله . وقد كتب لنا القدر أن نكون معا زمناً فى الدفاع عن بلادنا . وأنا إذ أكتب ترجمته من ذكرياتى وكما تلقيتها عن آخرين أحبوه ، فإنما أؤدى ديناً من الشكر لا للوثاب وحده بل لجياد لا يأخذها الإحصاء ، احتملت نصيبها بلا تذمر من المآسى التى يخلقها الناس — المؤلف

الوثّاب ؟

الوثاب قبيل الفجر ، وكان أول ما شعر به المهر بعد أن خرج إلى الدنيا ألماً كحزّ المدى فى بدنه ، ورقد على القش اللين ينتفض وهو فى كربه لا يفهم شيئاً ، وانحنى عليه جسم كبير له شعر ولفه فى شىء لين دافىء ثم حمله ، فقاوم ، ولكن ذراعين قويتين ضمتاه ، وصوتاً مطمئناً كله ، فأدرك بالغريزة أن هذا الذى يحمله يمكن أن يوثق به .

ولما لمس جسمه الصغير جسم الفرس الكبير الدافىء ، أدار رأسه وصعده إلى عينيها السوداوين الرقيقتين ، وفى ضوء النهار ألقت العينان عليه نظرة فيها حنو وقلق ، ثم جاء الصديق الذى حمله ، وأقامه على أرجله فوقف مترنحاً . ثم دفع بفمه إلى شىء لين ، ففتح فمه من تلقاء نفسه

وأطبقه على ماوجد ، فقطر إلى حلقه سائل عذب أفعمه بسرور لا يوصف . وكان هذا ما يشتهى ، فشرب اللبن .

ووقف جراسيم أوزيروف الفلاح السيبيرى إلى جانبه راضياً ، وتذكر يوم جاءه سائس مذعور بجواد غريب لصاحب منجم قريب واستنجده قائلا : « أعنّى . فإنى خليق أن أطرد إذا جئت سيدى بحصان أعرج . وليس هذا بحصان عادى فإن فى عروقه دما إنجليزياً ، وقد فاز بجائزة فى سباق تومسك . وأنت أخبر الناس بالحيوانات فى هذه القرية ، فعالجه وسأؤدى لك أجرك من جيبى » .

ولم يكن المال ماطلب جراسيم حين ثاب الحصان إلى صحته ، بل أن يؤذن له أن ينزّيه على خير أفراسه ، وقال جراسيم لنفسه وهو ينظر إلى المهر الأسود الصغير : « ياله من نتاج » ! والتفت إلى الغلام الواقف إلى جانبه وقال : « قل لى يا دنيس يا بنى ، ماذا نسميه ؟ إنه لك فقد وعدتك به » . فركع الغلام بجانب المهر ومد يده فمسح بها على رأس المهر الحريرى وقال : « إن أرجله

ولد نقولا كالاشنيكوف فى سيبيريا ، وانتظم فى الجيش الروسى ورقى إلى رتبة يوزباشى . وقد عاش فى الولايات المتحدة الأمريكية منذ سنة ١٩٢٤ وتجنس بالجنسية الأمريكية سنة ١٩٣٠ ، وقد نشرت روايته الأولى منذ سبع سنوات وكان عنوانها : « أهل السيف »

طويلة ودقيقة فلنسمه الوثّاب » .

وبدأت تربية الوثاب من أول يوم فى حياته حين عرف فرق ما بين البرد والدفء، والجوع والشبع ، وتعودت أذناه شيئاً فشيئاً أن تميز الأصوات ، وكان أحد هذه الأصوات يبدو كأن له علاقة خاصة به، فكان لا يفتأ يقول: « ياوثاب ، ياوثاب » . وكان كلما سمع هذا الصوت يرفع رأسه ويمد رقبته النحيلة ويرهف أذنيه . وسرعان ما تعلم أن هذا الصديق الكبير هو صاحبه .

وكان الوثاب ذكياً ، فشرع يرد ما يلقى من الحنان بمثله فكان يسير خلف صاحبه والغلام ، ويحك فمه بهما حين يكونان قريبين كأنما يريد أن يقول: « إنى ملككما، ولكما أن تثقا بى ، وسأفعل كل ما تطلبان منى » . وكان إيمانه بالإنسان عظيماً ، ولم يكن يخشاه أو يرتاب فى حكمته .

وكان ينظر باشتياق إلى الأمهار الأخرى فى حظيرة بعيدة ، من الرحبة المسوّرة التى كانوا يخرجونه إليها هو وأمه كل صباح ، واجتذبته على الخصوص مهرة بلقاء حاول أن يلفت إليه نظرها ، فكان يذهب يعدو ويصهل حتى بدأت تستجيب له بكر يرخافت، فسرّه هذا . ولما صارت الأيام أدفأ، أطلق هو وأمه فى الحظيرة الكبيرة ، وهناك وجد المهرة البلقاء .

فراح يشم المهرة على مهل من رأسها إلى طرف ذيلها الملتوى ، ثم استخفه السرور فنهض على رجليه الخلفيتين ودار حول نفسه كالنحلة ، فامتلأت عينا المهرة إعجاباً .

ولكن الجياد الأخرى فى الحظيرة كفت عن الرعى ونظرت إليه كأنما تقول : « من أين جاء هذا المزهوّ بنفسه ؟ » وشرع بعض الأمهار يقودها كميتٌ شرس ، تسير نحوه متحرّشة به ، فلصق الوثاب بالسياج وقد بلغ من ذعره أنه عجز عن إخراج أى صوت ، وهمّ به الكميت وقد كشف عن نواجذه ، وإذا بصوت آخر يصيح :

« أمسك ! ما هذا ؟ » وكان صوت صاحب الخيل ، فلما سمعته الأمهار تفرقت .

« إيه أيها الوثاب لقد أفزعوك ! لعلك غاليت فى الزهو بنفسك » ، ومسح الرجل بكفه عليه ، فأشعره هدوءه أن الدنيا عادت كما ينبغى أن تكون .

وقال الرجل: « سيكون حصانا مطهما يادنيس » .

فقال الغلام : « نعم . فإنه ليس كالأمهار الأخرى . فلماذا ؟ أمن أجل أبيه ؟ »

فصمت جراسيم برهة ثم قال : « ربما ، ولكن أمه حسنة الخلق وخفيفة رشيقة الحركة كما تشتهى . والخيل كالناس ، فيها الجيد والردىء . خذ مثلا هذا المهر الكميت

— إنه سيء الخلق وجبان ، وسنضطر على الأرجح أن نخصيه، فإنه يصلح للعمل الشاق فى المزرعة ، ولـكنه لا يصلح للإنتاج — ولذلك سنجعل المهرة البيضـاء والوثاب للإنتاج ، وسندربهما تدريجاً ، فنعودهما أولا احتمال اللجام ، وبعد ذلك نشدهما مع حصان أكبر منهما . وتذكر يا دنيس أن عليك أن تعامل الوثاب بعطف ، فإن هذه هى الطريقة الوحيدة التى يتعلم بها » .

وأفعم قلب الوثاب رضى ، فترك الرجل يحك له الموضـع الحسـاس خلف أذنه ، ولما صهلت المهرة لتلفته إليها، حمحم مجيباً لها وقال لنفسه : ألا ما أطيب الذين كانوا منذ هنيهة أعداءه ، وأبعدهم من الأذى ! ماعدا المهر الـكميت فإنه يبدو كأنما يمسك فى قلبه حقداً ، وكأنما يقول بعينيه « انتظر ! سأوسعك أذى لم يحل بك مثله فى حياتك » .

وكانت أيام الصيف حارة ، ولـكن الليالى الباردة كانت تطلق الأرج العطر من الزروع النامية ، والبرسيم الذى قطع حديثا وبقى مكدساً فى الحقول . وقاد جراسيم ذات صباح المهر « الوثاب » إلى الأسـطبل وأغلقوه عليه ، فاستغرب المهر لأنه لم يسبق له أن فصل عن أمه ، وجعل يروح ويجىء ويصهل شاكياً ساخطاً ، ولكن أمه لم تجىء .

وبعد ذلك لما عادت الخيل من المرعى جعل يدور مضطرباً ويدعو أمه ويصغى ليسمع جوابها ، وفى تلك الليلة أدرك أنه أمر جلـل — فإن أمه لن تكون بجانبه .

وظل أياماً يتجاوب الفضاء بنداءاته ، ثم سمع ذات صباح صهيلا حزيناً من إسطبل مجاور ، وكان الصوت هو صوت المهرة البلقاء ، فأدرك بغريزته أنها هى أيضاً فقدت أمها ، فاندفع فى حظيرته يطلب إخلاء سبيله ليخف إلى نجدتها .

وأخيراً أقبل صاحبه وقال : « ماهـذه الضجـة ؟ أتظن أن المهرة فى هم ، وأنك تستطيع أن تسليها ؟ ربما كنت تستطيع ذلك » وتبعه الوثاب متلهفـاً إلى الفناء ، وانطلق ماضيا إلى المهرة التى كان دنيس خارجاً بها من الأسطبل ، فحيا كل منهما صاحبه بشمة وأصوات صهيل خافتة . وهكذا أقام الوثاب نفسه حامياً للمهرة .

وجاء يوم اقتيدا فيه إلى حقل عليه سياج والعشب فيه كثيف ، فأطلقا فيه مع الأمهار الأخرى . وهناك رأيا مرة أخرى بعض زملائهما القدامى ، وبينها مهر أبيض رقيق الحاشـية ، والمهر الـكميت الشرس وما كاد هذا يرى الوثاب حتى بدأ يظهر سوء خلقه ، ولـكن الوثاب اتقاه ولازم المهر الأبيض .

ونمت الصداقة بين الوثاب والمهر الأبيض ، وحدث مرة أن شرع الكميت يتودّد إلى البلقاء ، فخف الأبيض إلى معونة الوثاب وطردا الكميت ، ولكن الوثاب لم يكن يستطيع دائماً أن يجتنب عدوه القديم ، فتكررت المشاجرات وكثرت ، وأصيب الوثاب مرة برفسة قوية من الكميت ، وفى مرة أخرى عضهُ بقسوة فى ظهره وفخذيه .

واتفق ذات صباح والخيل عائدة من حوض الماء أن ألفى الوثاب نفسه فجأة فى ركن ، والكميت يسد طريق النجاة عليه . وفى هذه اللحظة حدث أمر عظيم ، فقد أحس كأن كرة من النار تتجمع وتضطرم فى جوفه ، وتجرى فى كل عرق فى بدنه ، وتنفجر فى موضع ما من رأسه ، فدار وراح يضرب برجليه ، وقبل أن يفيق الكميت يواجهه وقد تسطحت أذناه وهجم عليه ، فما راعه إلا أن الكميت دار ولاذ بالفرار .

وصار الوثاب الآن قوياً لايخاف ولايحتاج إلى حماية أحد ، وقد كان تفطنه إلى مافيه من قوة شيئاً باهراً ، ولكن هذا لم يكن معناه أنه أصبح مستقلا ، فقد كانت حاجته إلى الآدميين حقيقية كحاجته إلى الشمس .

وكان الوثاب فى ربيعه الثانى وصيفه التالى يجوب الحقول والغابات مع أصدقائه المهرة البلقاء والمهر الأبيض ومئات غيرها ، والتقى مرة بأمه ، ولكنه لم يكترث لها ولا اكترثت له ، وشم كل منهما صاحبه على سبيل التحية الودية وانصرفا .

وقاده صاحبه ذات يوم هو والمهر الأبيض إلى حظيرة كبيرة ووضع على ظهريهما لِبْداً ذا سيور تنعقد أطرافها تحت البطن ، فتراجع المهر الأبيض ورفس ، أما الوثاب فتحير ولكنه لم يفزع . وبعد عدة أيام على هذه الحال أدهشه صاحبه بأن طرح سرجاً ثقيلاً من الجلد فوق اللبد وشد السيور ، ولكن بعد أن نفخ الوثاب بطنه وصار بدنه كتلة صمّاء ، فقد كانت هذه إهانة له ، وسمع صاحبه يقول بصوت مطمئن : « لالا ! كيف يضير السرج حصاناً قوياً مثلك ؟ »

ثم تلت ذلك صدمة مباغتة حين وثب دنيس وثبة سريعة وامتطى ظهره ، ففزع الوثاب ، وشبّ ، ودار وذهب يعدو فى الحظيرة .

والآن لم يكن على ظهره أحد . فأجال عينه فيما حوله ، وكان دنيس جالساً على الأرض يضحك وفى يده قطعة من الخبز : « تعال خذها ياوثاب . لقد أدهشتك ، أليس كذلك ؟ وأنت أيضاً أدهشتنى » .

وقبل أن يبلغ عامين من عمره تعلم أن يحمل راكباً وأن يجر مركبة جليد خفيفة ،

وكثيراً ما كانوا يشـدونه إلى المركبـة ويدعونه يجرى فوق سطح بحيرة بيكال المتجمد الأملس. وكان يعرف أنه خير تلميذ بين الأمهار التي من سنه فزهاه علمه هذا، حتى المهر الأبيض الدمث كان يبدى أحياناً بعض المقاومة، أما الكميت فكان لا يذعن إلا بالقهر.

على أن الوثاب لم يكن من الجسامة أو القوة مثل المهر الأبيض أو الكميت الذى يشبه البرميل، ولكنه يبدو أطول بسبب طول بدنه النحيل، وكان فيه شيء يجعله فى نظر زملائه خيراً منهم، فقد كان مختلفاً ومنفرداً بصلته العجيبة بالآدميين.

ولما بلغ الوثاب الثالثـة فى الربيع، صارت تعروه نوبات من القلق، ووقعت النبوة بينه وبين المهر الأبيض، وكانا موضوعين فى حظائر منفصلة، يريان منها الأمهار الأخرى تستمتع بحريتها، وكانت الأمهار تمر بهما، فتهيجهما، وحدث ذات مساء عند الغسق أن كانا ينظران إلى خيل العمل وهى راجعة من الحقول، فلمحا البلقاء فى حظيرة قريبـة، وكان جسمها المشوق كالظل فى هذا الضوء الخافت، ولكن صهيلها الرقيق كان حسبهما، فهاجت حرقاتهما.

وكان المهر الأبيض أثقل من أن يستطيع الوثوب، فنخر وأسند جسمه إلى الحاجز، ولكن الوثاب شبّ واصطدم بأعواد الحاجز ثم تراجع إلى الركن، وعلا رأسه وذهب يركض إلى الحاجز، وارتفعت يداه، ودفعته رجلاه فصار وراء الحاجز.

فصهل صهيل الظفر وركض إلى المهرة وجعل يتقصى بدنها المنتفض بفمه، فتقبلت مغازلته الحارة الخشنة، ثم انفرجت الأزمة فجأة بعمل تركه راضياً وادعاً. ولما جاء صاحبه ودنيس فى صباح اليوم التالى كان الوثاب والمهرة واقفين فى هدوء جنباً إلى جنب كما وقفا مراراً من قبل.

وجاء ربيع ١٩١٤ وصيفه إلى سيبيريا. وشرع ناقوس الكنيسة ذات يوم يدق لا دقاً مرحاً كما يفعل فى أيام العطلة، بل بتؤدة ووقار، فقد أعلنت الحرب، وأقبل موظفون فى ثياب عسكرية على القرية يطلبون الخيل ويعرضونها، وزاروا كل إسطبل، وفتح أحدهم فم الوثاب ونظر فيه.

ثم ذهب الرجل فطوق جراسيم بذراعيه عنق الوثاب وأراح خده على شعره الناعم: «أيها الوثاب!..» وكان صوته مترعاً بالأسى ثم صاح دنيس: «إيه يا وثاب، سيأخذك القيصر منا إلى الحرب ولن نراك بعد ذلك أبداً!»

وبعـد بضعة أيام أخرج الوثاب والمهر الأبيض والكميت من الإسطبل، ووضعت

الحبال حول رقابهم ، وربطت إلى مؤخرة مركبة . ولما غادرت الفناء ندّت عن دنيس صيحة : « وثاب ... ياوثاب ! »

وجمعت الخيل وسارت فى الشوارع الصاخبة. ثم لمح الوثاب بغتة أجراماً ضخمة تزأر وتنفخ وتجر صفوفاً من بيوت غريبة الأشكال ، فما كان رأى قبل ذلك قطاراً حديدياً ، فأرهف أذنيه ، وأدار عينيه ، واقتيدت الخيل واحداً بعدواحد وهى تتمنع. ورأى المهر الأبيض يذهب ، ثم الكميت ، فانطلق يركض خلف الكميت ، فى المدرج إلى مركبة السكة الحديدية .

وفى تلك الليلة ، وقفت الخيل والنعاس يغالبها والقطار سائر يهتز بعض الاهتزاز ورأى الوثاب عين الكميت تنظر إليه مستفسرة فى قلق ، فصهل صهلة رقيقة كأنما يقول له : « لاتخف ياصديقى القديم » فقد زال ما كان يخامره من الشعور بأن المهر عدو له ، وصار بينهما رباط وثيق .

وتعاقب النهار والليل تعاقباً مملا ، وعرف الوثاب للمرة الأولى كيف يكون الخوف من الآدميين ، وكان الرجال يجيئون ويذهبون حاملين الطعام والماء ، وكان لأحدهم لحية وخطها الشيب ، ذكرته بصاحبه فحياه بصهلة وهو يتوقع أن يلاطفه الرجل ، غير أن الرجل تناول مقشة وأهوى بها على رأسه .

فصار الوثاب بعد ذلك يجفل كغيره من الخيل إذا دنا الرجل منه ، وكان الكميت هو الوحيد الذى لم يخف كرهه له ، وقد ظل هذا الرجل الغريب الشنوء أياماً وهو يحرص على البعد عنه ، ولكنه جاء ذات مساء وهو مغيظ محنق وصب جام غضبه على الكميت ، فقبل الكميت التحدى وكشف عن أسنانه ، وهجم عليه ، فتقهقر الرجل بسرعة ، فهوى من باب المركبة المفتوح واختفى ، ولم يره أحد بعد ذلك .

وجاء رجال آخرون ، ولكن الوثاب كان ينظر إليهم جميعاً بغير اكتراث ، ثم كان يوم أذهله فيه أن يسمع أحدهم يناديه باسمه : « وثاب .. وثاب ! » فمد عنقه إليه فلاطفه الرجل ، فصار بعد ذلك ينتظر مقدم الرجل بصبر نافد .

وكان الرجل باشجاويش موكلا بقطار الخيل ، ومزوداً ببيان بأسمائها جميعاً ، وكان مثالا للفلاح الذى تنجبه القرية الروسية، وكان يعد الخيل جزءا ضرورياً من الحياة . فلما رأى هذا الحصان الذى كان من الجلى أنه يفهمه ويفهم أساليبه ، شعر بحنين قوى عميق، ومالبث أن اشترى كراسة، مدفوعاً إلى ذلك بهواه ، أو بالضجر من الرحلة الطويلة ، وكتب عليها : « سجل لخدمة الحصان السيبيرى ، الوثاب »

وكتب على الصفحة الأولى: «ليكن معلوماً لكل من يجد هذه الكراسة أنها سجل لخدمة الوثاب ، وهو حصان دمث جداً . وإني لأرجو من كل من يكون هذا الحصان وهذه الكراسة من نصيبه أن يواصل تسجيل أعماله في خدمة بلادنا »

وأسدل ستار الليل على الجبال والغابات وانطلقت شرارات ، وشقت الظلام ألسنة من اللهب ، خلفت وراءها دخاناً كثيفاً كريهاً ، وكانت معركة عنيفة تدور منذ أسبوع في جبال غاليسيا ، وكان كل شيء في فوضى ، وكانت المركبات وصناديق الذخيرة مبعثرة بين الشجيرات ، وكانت الدروب في الجبال غاصة بجثث الخيل والرجال.

وكان الوثاب والكميت لا يشبهان في شيء تلك الخيول السمينة الحسنة الغذاء التي سبقتهما إلى خوض القتال ، وكان جلدهما مشدوداً على عظامهما البارزة ، ورأساهما مثنيين ، وفقد الوثاب كل إحساس بالزمان والمكان.

ولكن الوثاب اكتسب بفضل المتاعب والآلام قدرة على فهم سيده الجديد الملازم روادوف ، وتدرب على أن يظل هادئاً مهما يكن مايحدث ، وشحذت فيه غريزة التفطن إلى الخطر ، وصارت أذناه مرهفتين حتى ليميز بين نيران العدو ونيران قومه ، وصار أنفه يستطيع أن ينبئه باقتراب الغرباء من الناس والخيل .

والآن وهو واقف إلى جانب مركبة مدفعية فارغة عند سفح مرتفع ، فقد أمر فمه على كفل الكميت كأنما يريد أن يقول : « تبسم يا صديقي ! »

فأجابته عينا الكميت الغائرتان : « إني لا أكاد أقوى على جر أرجلي . ولن نخرج أحياء من هذا يا صديقي ! »

وكانت نيران العدو لا تنقطع ، على حين كانت مدافع الروسيين لا تنطلق إلا من حين إلى حين ، وتلفت الوثاب ليحيي سيده الملازم ، الذي مسح له عرقه ، وقال له ليرفه عنه: « يا وثاب إنك بطل ، فإنك أنت الذي أنقذتنا اليوم جميعاً - إذ أحسست بالعدو وعصيتني حين أردت أن تعبر بي النهر ولو أنك كنت غبياً مثلي لوقعنا جميعا في الشرك . ولكنا الآن في مأزق ياصاحبي ، فإن العدو يحدق بنا » .

وفي تلك الليلة تقهقروا ، وكانت أشباح الجنود والخيل والمركبات ترى في الغابات إذ تعجل البطارية بالانسحاب من مكانها المكشوف ، وراحت هذه القافلة الغريبة تتعثر في الظلام .

وقبيل الفجر وصلت الفرقة إلى هضبة

انتثرت عليها الصخور الحادة ، ولها ذروة من أشجار باسقة فانطرح الرجال والخيل على الأرض . ووقف الوثاب ومازال تحت السرج مشدوداً إلى مركبة مدفع ، والكميت على مقربة منه ، فضرب الارض بحافر ، ليلفت إليه الكميت ، ولكن هذا لم يزد على النظر إليه بفتور ، وكان الناظر إلى هيكله المعروق واسوداده من العرق والتراب ، يشعر أن فيه شيئاً مفزعاً غير مألوف .

وسكّ أذنى الوثاب صفير قنبلة ، فدار وقد صار كل عرق فى بدنه كالوتر المشدود ، وكان الجنود والخيل سواء فى إدراكهم أن النهار سيطلع عليهم بالهول مرة أخرى ، وأن السماء ستمطرهم ناراً ودماراً ، وصارت الساعات القليلة التالية كابوساً ، إذ كانت القنابل تتفجر والأرض ترتج تحت الخيل المذعورة ، وانفجرت قنبلة فوق الهضبة ، فصبتهم بوابل من الحجارة والأقذار ومعها شجرة عظيمة ، وأصابت الشجرة حصاناً وتشابكت عليه أغصانها كأنما تعانقا ، ثم اختفيا معاً وراء حافة الهضبة .

ولما كان الظهر أطلت الشمس المضطرمة على الأرض المخربة ، وكانت نيران المدافع قد انقطعت تقريباً وأفسحت لنيران البنادق التى كانت تنصبّ من كل اتجاه . وتحت هذه النار الحامية تقدم الملازم من الوثاب ، وشد السرج ، وامتطى ظهره ، فذهب عن الوثاب كل خوف . وراحا يجوبان الهضبة من أقصاها إلى أقصاها ، وكان الوثاب يرى الخيل والمركبات تنحدر عن جانب الهضبة الوعر ، إذ يوجهه سيده هنا وههنا .

وكان العدو المستتر يرقب هذا الانحدار عن الهضبة ، فصبّ على القوم وابلا جديداً من الموت ، ورأى الوثاب زميلا له — حصاناً كميتاً — يتعثر ويقع براكبه ، فانتفض ، ولكن لمسة من يد سيده كانت كافية لرد السكينة إليه ، فانطلق ليلحق بالآخرين الذين تدفقوا فى شِعْبٍ مفضٍ إلى غابة كثيفة آمنة ولما بلغ سفح التل رأى الكميت مجروحاً جرحاً بليغاً ، وهو يحاول أن ينهض ، ويحرك رأسه من ناحية إلى ناحية ولا معين له . ولو كان الأمر إلى الوثاب لذهب إليه . ولكن سيده حثه على السير ، فذهبت آخر فرصة لمساعدة صديقه القديم وتخفيف ما به .

ورأى الوثاب رأس الطابور يختفى فى الغابة ، وسمع مدافع قومه تطلق ، فقد اقتربت النجدات ، ودار الملازم به وسار به إلى آخر الطابور ، وانفجرت قنبلة غير بعيد منه ، واضطربت الأرض تحت الوثاب ، وقذف به فى الهواء .

ولما أفاق نهض بسرعة وهو يشعر بضعف فى قوائمه ، وبمثل كى النار فى بدنه ، وكان

الملازم رادوف منطرحاً على بضع خطوات منه، فوقف الوثاب ينتظره حتى يركب ، ولكن رجالا جاءوا وحملوه على محفة وذهبوا به ، وكانت المدافع لاتزال تطلق من مكان بعيد ، غير أن الغابة كانت ساكنة ، وكان حملة المحفة يمشون بسرعة ، والوثاب يبذل أقصى مافي وسعه ليلحق بهم ، والدم يقطر منه .

ولما شفي الوثاب كانت الحرب العالمية الأولى قد انتهت .

سار قطار حربي شرقاً فوق الريف الروسي الساكن ، موقراً بالجنود الذاهبين إلى قلب سيبيريا لإعادة تنظيم صفوفهم وتعبئتها . وجلس في ركن ضابطان شابان يتحدثان بصوت خفيض ، وكان أحدهم يرتدي بزّة كبتن تشيكوسلوفاكي، والآخر ملازم روسي ، وكانا يتحدثان عن الثورة الروسية ، وفي فترة من فترات الصمت سمعا رجلا قريبا يشيد بفضائل حصانه .

وقال الكبتن ماليشيك التشيكوسلوفاكي للملازم الروسي: «إني أنا نفسي من الفرسان، ولست أقول إن للحصان عقـلا كعقل الإنسان ، ولكن له إدراكا غريزياً يدهش. وإليك شيئاً أحب أن أريك » ، وناوله كراسة ملوّثة زهمة .

لقد كتب هذا جنود لا أعرفهم ، وهو سجل لحصان سيبيري اسمه الوثاب ، وهو الآن على هذا القطار . وليس منظره بالمعجب ، ولكن في عينيه شيئاً غريباً . ولعل أعجب شيء في أمره أن كل هؤلاء الجنود والضباط جشموا أنفسهم عناء الكتابة عنه كأنه مخلوق ذو عقل وإدراك ، وصديق مؤتمن » .

وابتسم الملازم وهو يقرأ العنـوان « سجل خدمة المهر السيبيري ، الوثاب » وفتح الكراسة كما اتفق وشرع يقرأ :

«نحن على وشك الانهزام وقد كاد العدو يطوقنا . وسنهلك إذا لم تصل إلينا النجدة . وأنا أكتب الآن في كراسة صديقي الوفي « الوثاب » فإذا عاش بعدي ، ووقع في أيدي غرباء ، فإني أرجو أن تذهب هذه الكراسة معه . فإني أريد أن يعرف الناس وفاءه . إن هذا الحصان يسعد حين يكون سيده سعيداً ، ويشقى إذا حزن سيده ، وهو الليلة بجانبي وعيناه تتبعان كل حركة أقوم بها. وإني أقسم أنهما عينان بشريتان . ولن يدهشني أن أسمعه يقول لي «تشجع» .

« وأنت يامن قد تصبح غداً سيد الوثاب ، تذكر أنه شاطرني ماعانيت من المتاعب، فعامله كما تعامل إنساناً مثلك ، وإذا كنت تشك فيما كتبت عن عقله . فما عليك إلا أن تذهب إليه وتربت عليه وتقول له :

« ياوثاب . إنك جواد عظيم ، فاخدمني بولاء وصدق كما خدمت كل الذين أحبوك وعنوا بك » — الملازم رادوف . »

فتأثر الملازم كولوسوف تأثراً عميقاً بهذه العبارة التي كتبت بسرعة بالقلم الرصاص ، واندفع يقول : « هذا الرجل يستحق أن تنفذ وصيته الأخيرة. فماذا تنوى أن تصنع بهذا الحصان ؟ »

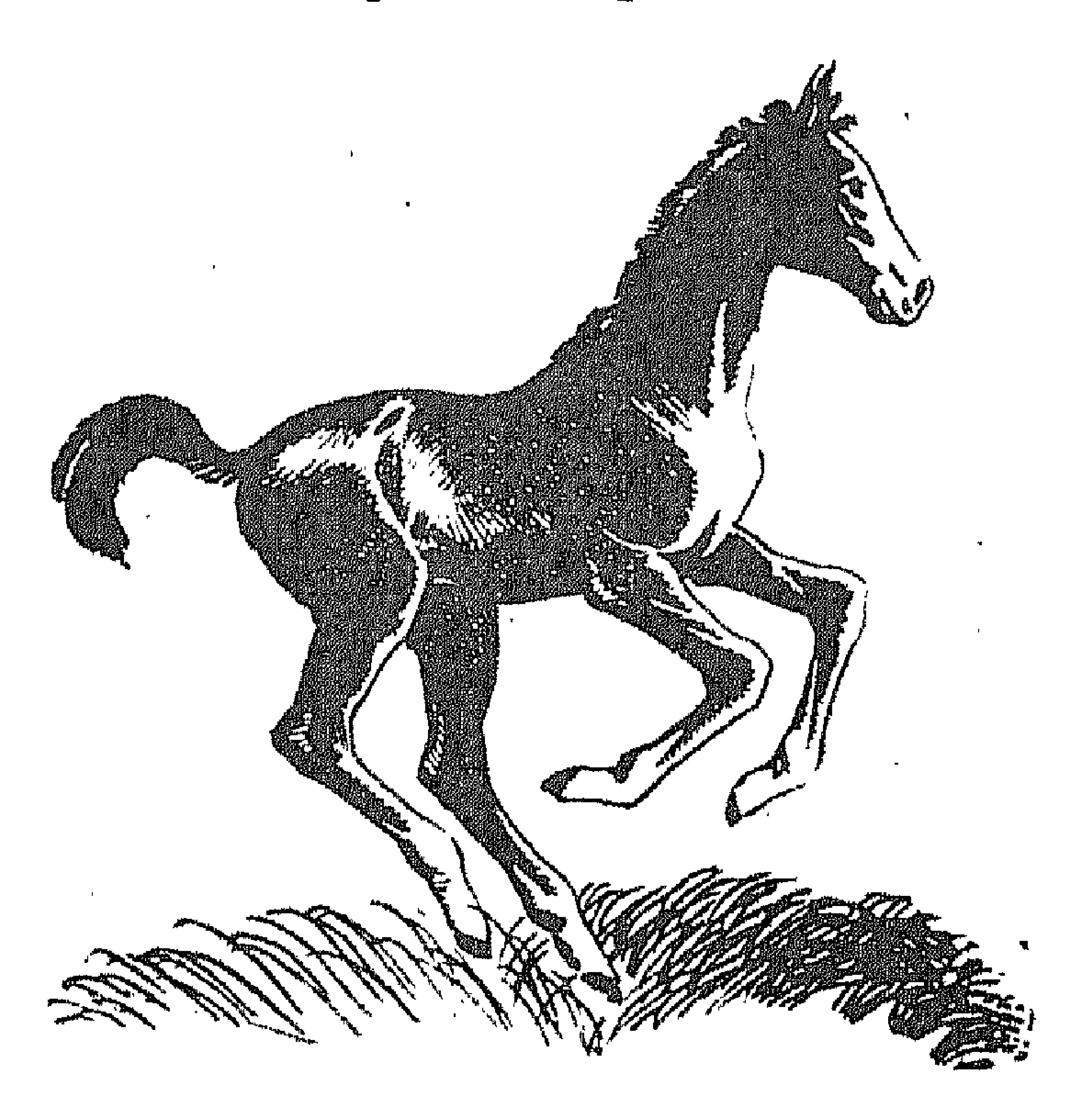
فقال الكبتن : « أنا عندى حصانى ، وأنت تحب الخيل، فخذه وخذالكراسة ، فإن من الملائم أن تكونا معاً فكلاكما من سيبيريا » .

ولما وقف القطار أخرج الوثاب من المركبة إلى مأوى . وتقدم الملازم كولوسوف منه ، وربت على عنقه وقال بحنو : « أنت يا وثاب حصان جميل وأنا أعرف أنك ستخدمنى بإخلاص » ، فأطربت الوثاب هذه اللهجة الروسية المألوفة، وصهل صهلة خفيفة وهو يتجه إلى الرجل .

لقد رحل الوثاب مرةً إلى الغرب ليخوض حرباً ، وهو الآن مع سيده الأخير ، يعود إلى الشرق مرة أخرى ، إلى أركتسك حيث بدأت حياته العسكرية .

وكانت الحرب الأهلية المخربة قد وضعت أوزارها، واتحدت الجيوش الحمراء والبيضاء ضد عدو مشترك فى الشرق الأقصى هو أتامان سمينوف وحلفاؤه اليابانيون .

وكان الزحف شرقا إلى بحيرة بيكال يجرى فى عواصف الثلج والبرد ، واتفق ذات صباح أن كان الثلج كثيفاً والهواء



البارد يجعل التنفس شاقاً ، فسرى فى بدن الوثاب مثل تيار الكهرباء ، إذ أحس بالثلج تحت حوافره ، ونفخ ليخلى منخريه ، واستولى عليه شوق عجيب .

وسأله سيده : « ماذا بك يا وثاب ؟ »

فالتفت الوثاب وهو مطمئن إلى سيده كأنما يريد أن يقول: « ليس الخوف ما بى ، بل هذا الثلج وهذا الريف المألوف . لقد كنت هنا من قبل » .

وفى اليوم التالى بلغا قرية كابانسك ، وكان الوقت ليلا ، ولكن الشوارع غصت بمن خرجوا إليها ليرحبوا بالجنود . ولما ذهبوا بالوثاب إلى إسطبل فى فناء حقل طيب ، أبى أن يقف ساكناً أو أن يأكل وإن كان لم يطعم شيئاً منذ وقت طويل .

وبقى وحده ، فمد أنفه إلى كل ناحية ، يمحص كل شىء ويشمه ، ثم رفع رأسه فجأة وأنصت ، فقد سمع وقع أقدام تقترب ، وصوت شاب ينادى : « وثاب .. ياوثاب! » وفتح الباب .

ووقف فى المدخل على ضـوء مصباح رجل طويل ملتح وصبى نحيف ، واقتربا ، وفحصا الوسم الذى على فخـذه . فصاحا « الوثاب . . . الوثاب ! إن دنيس لم يخطىء . فإنك الوثاب حقاً ـ جندى عائد من الحرب . . مرحباً بك فى بيتك ! »

وفى الصباح التالى كان الجو كله مرحاً ، وتأثر أهل القرية إذ علموا أن الوثاب قد عاد بأعجوبة إلى جراسيم أوزيروف . وأقبلوا واحـداً بعد واحـداً ينظرون بعيونهم ، وتجمعوا من الصـباح الباكر ووقفوا فى الفناء وقد أجمعوا على أن هذه معجزة حقاً .

وسر الوثاب بهـذا الترحاب ، ولـكن أصواتاً فى الإسطبل شغلته ، فصهل ليلفت إليه مهرة جميلة بلقاء بعيدة ، فرفعت رأسها وجاوبته بصهلة حارة كصهلته .

وخفقت ضجة الأصوات فجأة حين قال جراسيم للضابط :

« أيها الرفيق الضابط ، إن الوثاب حصاننا ، والناس هنا يستطيعون أن يقولوا لك إن هـذا ميسم أوزيروف . وقد ولد فى هذه الحظيرة الصغيرة هناك ، وأخذ إلى الحرب فى سنتها الأولى كغيره من الخيل ، وهذه المهرة البلقاء التى هناك هى أمّ ولده ، وسأرفع عنه اللجام لترى أنه سيذهب إليها من فوره . فكن عطوفاً عليه » .

فتأثر الضابط ، ورفع اللجام ، فهز الوثاب رأسه ومضى إلى الحظائر ، ولم يذهب إلى أقرب حظيرة ، وكان فيها عدد من الخيل ، بل قصد إلى البلقاء فى آخر حظيرة .

فابتسم الضـــابط لدنيس ثم التفت إلى أوزيروف وغمز بعينه وقال: « ليس لى حق فى تسريح حصان سليم ، ولكن لاحظت فى المدة الأخيرة أنه مريض . والحصان المريض لا يصلح للحرب ، فإذا أعطيتنى بدلا منـه حصاناً سليما فإنى أقبل » . فتجمع الفلاحون حول الضـابط يهتفون به ويصافحونه على

حين وقف دنيس وأبوه يبكيان ويضحكان .

وفى اليوم التالى خرجت القرية لتوديع الجنود ، وكان الوثاب وحده هو الذى يشهد ما يحدث وهو قلق ، ولم يفهم لماذا لم يسرجوه .

وهمس الضابط فى أذنه : «وداعاً ياوثاب! وداعاً أيها الرفيق القديم ! إنى آسف لفراقك ولكنك ستكون سعيداً هنا » . وربّت عليه ثم امتطى جواداً آخر كان فى انتظاره ، وانصرف دون أن يتلفت .

ودار الوثاب وانثنى وهو مصطرب . وقد شعر أن شيئاً غير عادى قد وقع . ولكنه سمع البلقاء تصهل فسكن وطمأنه صهيله ، وبدا كأنما يقول : « لاتقلق ! فلن أفارقك مرة أخرى ! »

الشيخ الهرم ، ودنيس ، والملاطفات الرقيقة ، وأصوات الحقل التى كانت كالموسيقى فى أذنيه — كل هذا كان بعض حياته كأنما لم يكن قد اغترب قط . وهذا بيته — بيته المحبوب الحقيقى .



جلس الحجاج يقتل أصحاب عبد الرحمن ، فقام إليه رجل منهم فقال : أيها الأمير إن لى عليك حقاً . قال : وما حقك علىّ ؟ قال : سبّك عبد الرحمن يوماً فرددت عنك . قال : ومن يعلم ذاك ؟ فقال الرجل : أنشُد الله رجلاً سمع ذلك إلاّ شهد به . فقام رجل من الأسرى فقال : قدكان ذاك أيها الأمير فقال : خلّوا عنه ، ثم قال للشاهد : فما منعك أن تنكر (السبّ) كما أنكر ؟ قال : لقديم بغضى إياك . قال : ويُخلّى هذا لصدقه .

-->>>✱<<<--

قال ثمستكليس — الجندى السياسىّ المشهور — لابنه الصغير« أنت أقوى امرىء فى بلاد الإغريق » . فسأله الغلام : « وكيف ذلك ؟ » فقال : « لأن أهل أثينا يحكمون بلاد الإغريق كلها ، وأنا أحكم أثينا ، وأمك تحكمنى ، وأنت تحكم أمك »

إجازتك على مسيرة بضع ساعات

شلالات نياجرا بجلالها الأخاذ . . جبال جراند كانيون بجمالها الرهيب، أبراج نيويورك وأضواؤها . . . كل ما تضمه الإجازات فى الولايات المتحدة من متعة وفتنة ، لا يفصلك عنها سوى بضع ساعات حين تحملك طائراً إليها : « محركات رايت سيكلون »

إن العصر الجديد فى الطيران الدولى قد حول الأرض إلى رقعة صغيرة متصلة الجوار . . . وهذه حقيقة لها شأن عظيم عند كل رحّالة وكل سائح فى أية بقعة من العالم . فالآن سيسعى عدد أوفر من الأمريكيين إلى زيارة أرجاء العالم عن طريق الجو ، كما أن جيراننا من أهل البلاد الأخرى سيسعون فى عدد لم يسبق له مثيل ، إلى رؤية تلك العجائب التى تجتمع فى أمريكا .

فلكى تسافر سفراً أبعد وأسرع ، ولكى تبلغ مشاهداتك أقصى حدودها ، ولكى تحشد من المتعة فى كل دقيقة من سفرك أكثر ما تستطيع حشده . . . افسح للطيران مكاناً فى مشروع إجازتك منذ الآن .

Curtiss Wright

Export Division

30 ROCKEFELLER PLAZA, NEW YORK 20, N. Y.

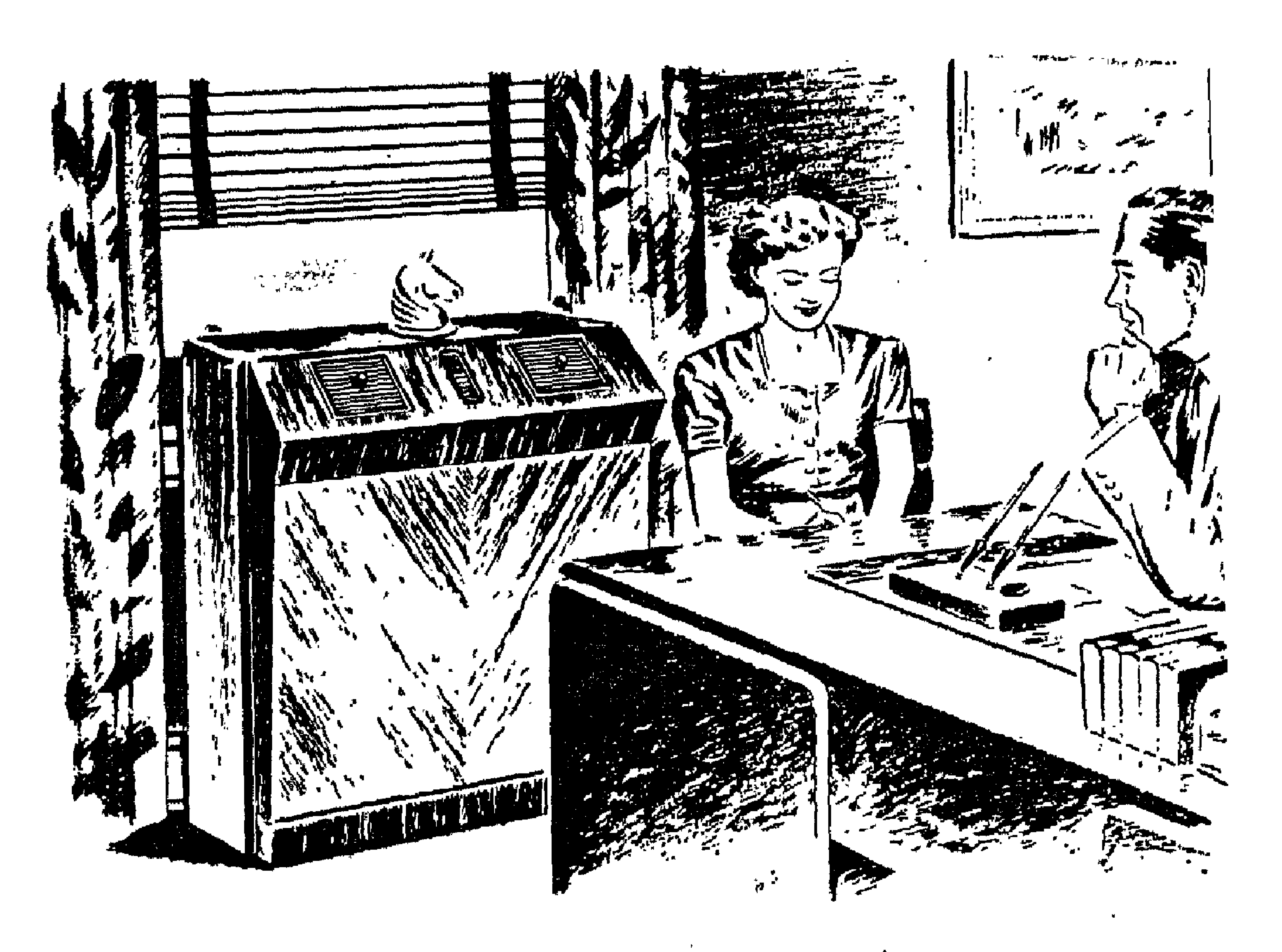
احرص على الطيران برفقة محركات رايت على الدوام



حين تبدأ طائرات الخطوط الجوية الإضافية المزودة بمحركات «رايت سكلون ٧» عملها فستحتل مئات من المناطق الجديدة مكاناً على خريطة الطيران العالمية ذلك أن اتصال هذه الطائرات بالطائرات الدولية الجبارة التى تحركها قوة « رايت » تجعل باقى العالم فى متناول جميع المسافرين أينما كانوا .



شحنة من الفتنة
من مصانع « كاسونز » بمانشستر (إنجلترا) خرجت أحدث الروائع فى أنواع «أحمر الشفاه» البريطانية فى خمسة ألوان جديدة . وقد روعى فى صنعها أن تكون ممتازة فى مادتها ولونها ، فهى تحتل اليوم مكان الصدارة فى صالونات التجميل فى جميع أنحاء العالم .
Cussons أحمر شفاه



أجهزة ضبط الهواء فيلكو طراز 91_C

حين تزوّد مكتبك بمعدات « فيلكو » لضبط الهواء تجد أنها تساعدك على حصر ذهنك وتزيد من قدرتك على العمل فى الجو الحار . فالهواء المنعش الصافى النظيف الذى تتيحه ينشط همتك . أما الهواء الفاسد والدخان فيُطردان خارجاً ! ثم أن جلبة المرور وغيرها من أسباب الضوضاء المزعجة الخارجية لا تصل إليك ، ويمنع الغبار من أن يتسلل إلى مكتبك .

وهى مصممة للخدمة على مدار العام . . . ذلك لأن أجهزة ضبط الهواء التى يصنعها « فيلكو » لكل غرفة على حدة لا تقتصر على تهيئة هواء مبرّد ، عليل ، مرشح ، خال من الرطوبة طوال شهور الصيف القائظة ، بل تتيح أيضاً هواء نقياً وتهوية تامة من غير تبريد ، خلال الشهور الباقية من العام .

أجهزة فيلكو تضبط لك الهواء ضبطاً حقيقياً . . .

- تبرد هواء غرفتك وتضبطه
- تمتص الرطوبة من هواء الغرفة
- تسحب الهواء من الخارج وتضبطه
- ترشح الغبار وحبوب اللقاح النباتى
- تطرد الدخان الفاسد من جو الغرفة
- تمدك بهواء نقى لطيف طوال العام

متاحة الآن عند وكيل فيلكو

فيلكو المشهور بالجودة فى جميع أرجاء العالم

PHILCO INTERNATIONAL CORP. 230 Park Ave., New-York, U.S.A.



موتورات « رانسومس » الكهربائية ، يمكن الاعتماد عليها لانها — ككل منتجات شركة « رانسومس » — آلات من الطراز الأول . فملفاتها ملفوفة آلياً ، وأجزاء الإنتاج والأجزاء الدوّارة فيها ، متوازنة توازناً ديناميكياً ، والملفات تم عزلها بطريقة التفريغ من الهواء .

ومن يشتريها ، يثق بأنه اشترى آلة تعطيه نتائج مرضية ، فى أشق الظروف وأصعبها .

وتقدم الشركة موتورات ذات التيار المتغير (من نوع المحركات التأثيرية) مختلفة القوى حتى قوة ٥٠ حصاناً ، وماكينات ذات التيار المستمر ، حتى قوة ٦٠ حصاناً تقريباً . وتقدم الشركة أيضاً مجموعة من الموتورات الصغيرة من الصنف الأول تتفاوت قوتها من حصان واحد إلى خمسة أحصنة .

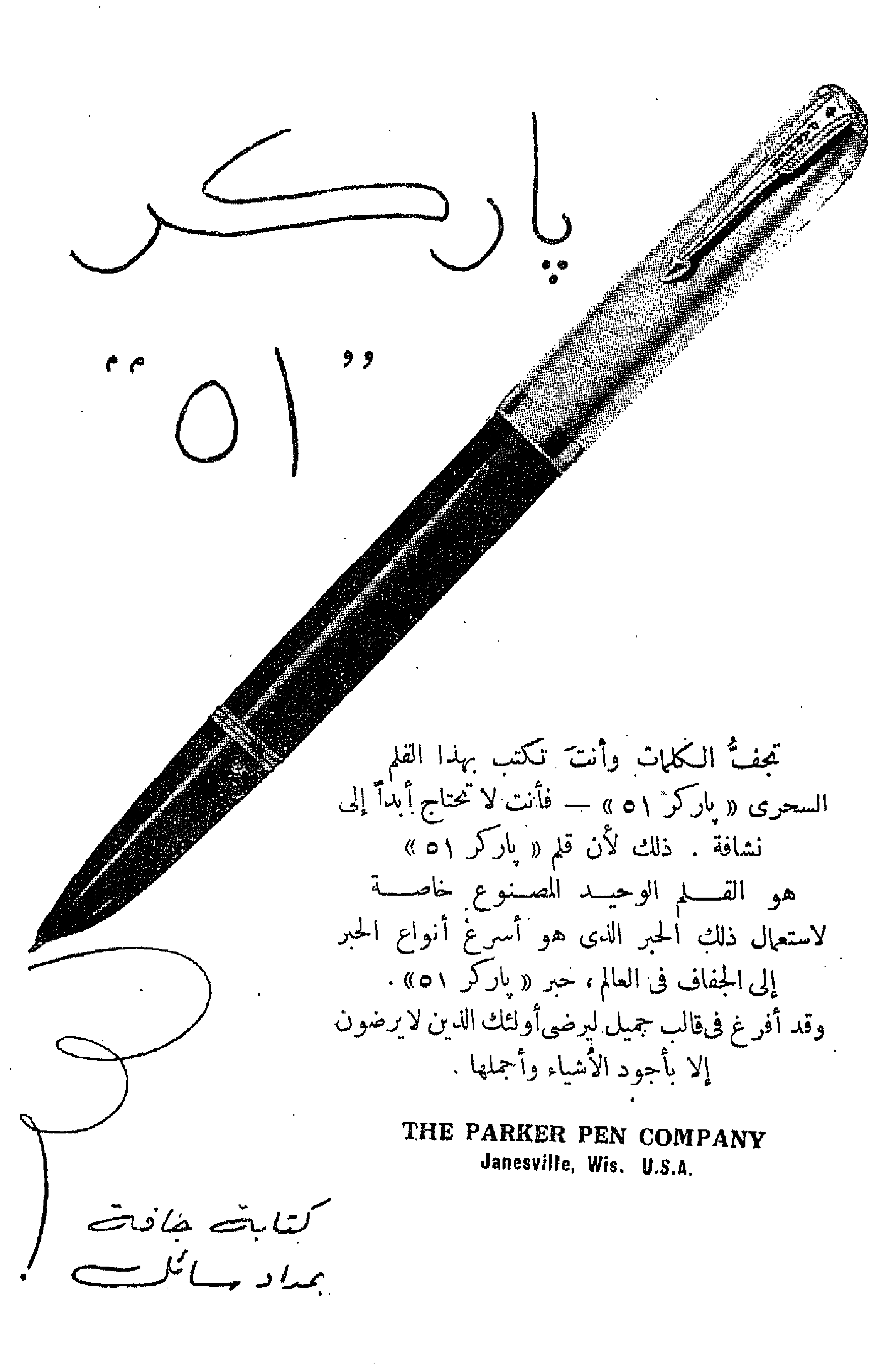
موتورات ومولدات Ransomes

تطلب النشرات المحتوية على وصف هذه الآلات وصورها ، والنشرات المحتوية على تفاصيل العربات الكهربائية حمولة ١ ، ٢ طن » من...

RANSOMES, SIMS & JEFFERIES, LTD. IPSWICH, ENGLAND.

أو

الوكلاء الوحيدين بالقطر المصرى ، **أنجال قلاده أنطون** ، بمصر واسكندرية

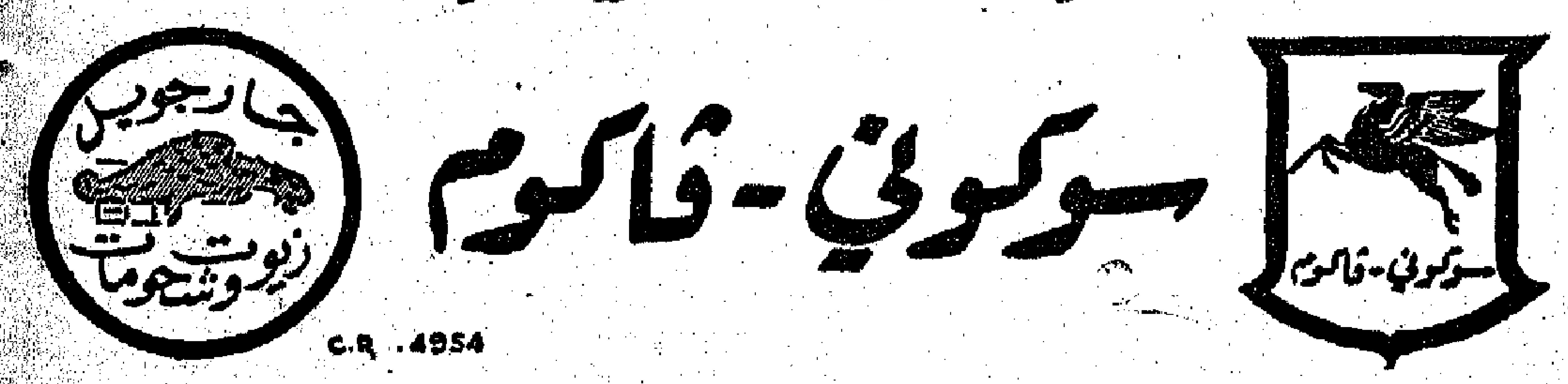


پاركر
"٥١"
تجفُّ الكلمات وأنتَ تكتب بهذا القلم
السحرى « پاركرْ ٥١ » — فأنت لا تحتاج أبداً إلى
نشافة . ذلك لأن قلم « پاركر ٥١ »
هو القلم الوحيد المصنوع خاصة
لاستعمال ذلك الحبر الذى هو أسرع أنواع الحبر
إلى الجفاف فى العالم، حبر « پاركر ٥١» .
وقد أفرغ فى قالب جميل ليرضى أولئك الذين لا يرضون
إلا بأجود الأشياء وأجملها .
THE PARKER PEN COMPANY
Janesville, Wis. U.S.A.
كتابة جافة
بمداد سائل

زيوتنا توفر القوة المحركة والوقود في المزارع



لقد أنفق صانعو زيوت موبيلويل ملايين الدولارات في الأبحاث وإقامة معامل التكرير ويستخدمون لهذا الغرض آلافاً من العلماء والمهندسين واشتهروا خلال الثمانين سنة الماضية بانتاج أجود أنواع الزيوت والشحومات.





غــذاء أفضــل لعــالم أفضــل...



حالق سحرى لتذوق المرملاد

هذه آلة تقوم فعلا بدور الحالق السحرى — هـذه آلة « رفرا كتومتر » الحديثة التى تتذوق تذوقاً علمياً درجة الرطوبة فى المرملاد ، وتبين بطريقة آلية دقيقة متى يصح أن تعد المرملاد قد تمت تهيئته على أحسن وجه .

ومؤسسة « سويفت » تستخدم فى إنتاج سلعها أحدث الأساليب التى يوفرها العلم ، وهذا هو السبب فى أن ربات البيوت فى جميع أنحاء العالم يعلمن أنهن حين يطلبن أحد منتجات « سويفت » ، يظفرن بأجود نوع : نوع «سويفت» الممتاز المشهور .

Swift

شركة سويفت الدولية

مصانع فى الأرجنتين واستراليا والبرازيل ، ونيوزيلندا وأروجواى

توزع منتجات ممتازة منذ أكثر من ٣٥ عاماً

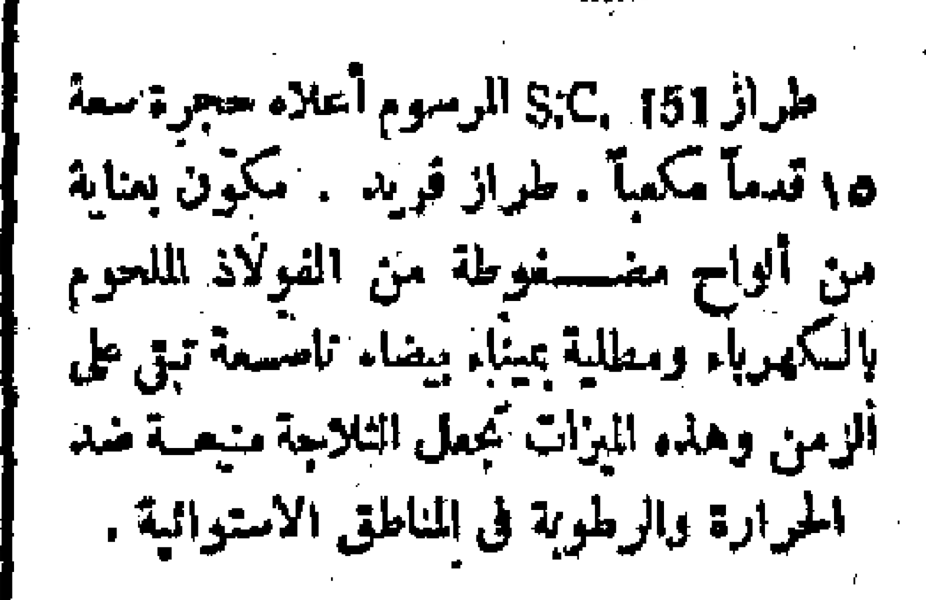
INTERNATIONAL SWIFT COMPANY

Av. Corrientes 389, Buenos Aires, Rep. Argentina

صممت خصيصاً
واختبرت خصيصاً ...



ثلاجات « برست كولد » "Tropic Tested"- مصنوعة فى إنجلترا ، ومختبرة فى جميع مراحل صناعتها اختباراً دقيقاً . وقد روعى فى تصميمها أن تقاوم جميع أحوال الإقليم ودرجات الحرارة . وهى تضم جميع التحسينات الحديثة وتؤدى خدمة كاملة بأقل مصروف وأعظم يسر فى صيانتها . أما تركيبها فهو البساطة بعينها .


طراز S.C. 151 المرسوم أعلاه حجرة سعة ١٥ قدماً مكعباً . طراز فريد . مكوّن بعناية من ألواح مضغوطة من الفولاذ الملحوم بالكهرباء ومطلية بمينا بيضاء ناصعة تبقى على الزمن وهذه الميزات تجعل الثلاجة منيعة ضد الحرارة والرطوبة فى المناطق الاستوائية .

PRESTCOLD
للتبريد



شركة E.A.S.T. ٣ شارع نمر بالقاهرة ، القطر المصرى . شركة إنجنيرنج آند مانيوفكتشرنج ليمتد ص ب ١١٩ تل أبيب ، فلسطين . أفريكان آند إسترن (للشرق الأدنى) ليمتد ص ب ١٧٦ حلب ، سوريا . أفريكان آند إسترن (للشرق الأدنى) ص ب ١٧ بغداد ، العراق . كولاتلى هانكى وشركاه (السودان) ليمتد ص ب ٢١٥ الخرطوم .

شركة برسد ستيل ليمتد

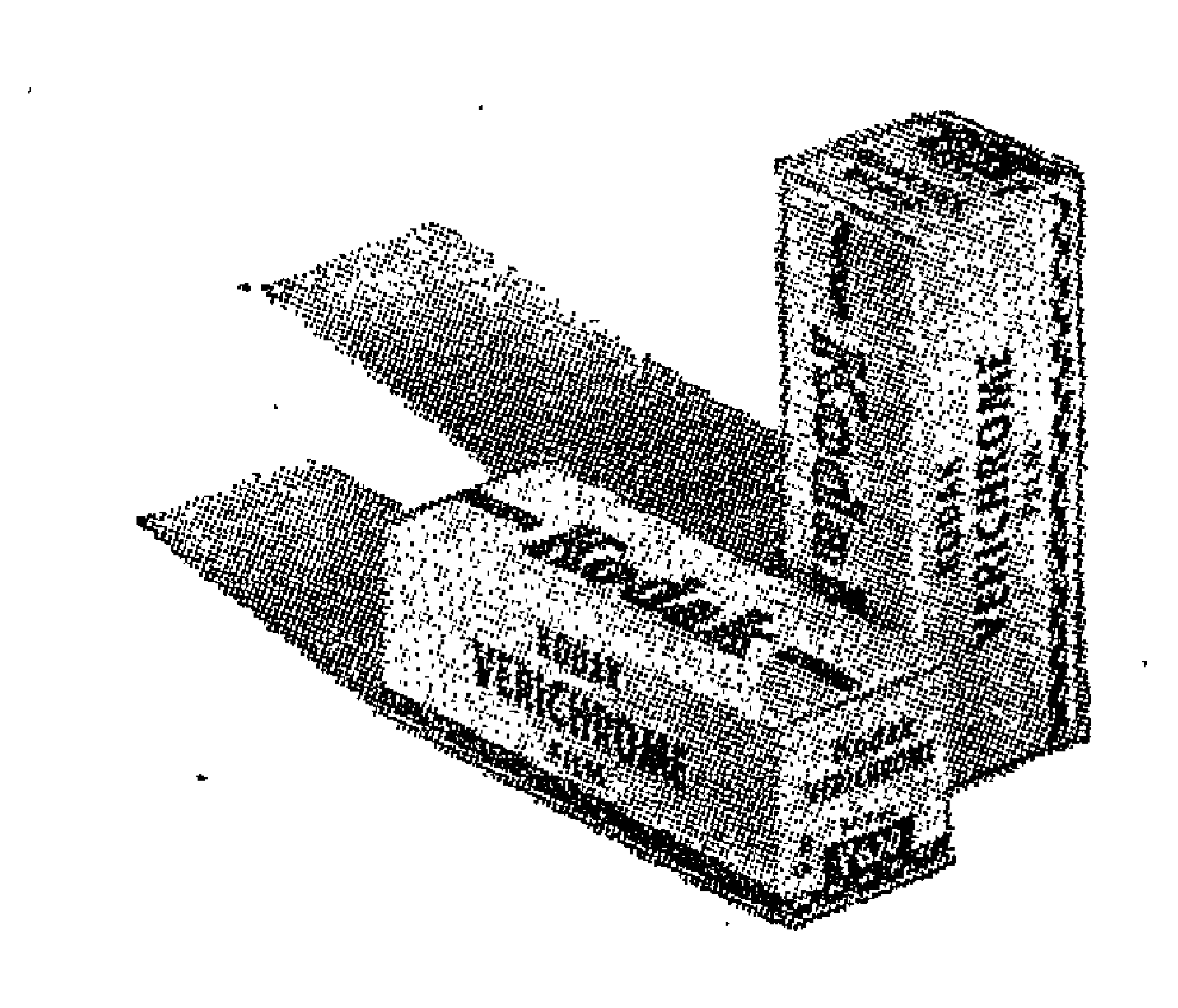
THE PRESSED STEEL Co. Ltd., COWLEY, OXFORD, ENGLAND

... باللغــة العربيــة هى " راقصة "

... باللغــة الإنجليزية هى *" a dancer "*


... باللغــة الهولندية هى *" een danseres "*

ولـكنك تجـد فى جميع لغات الأرض كلمة واحدة تدلُّ على كلّ مايلزم لالتقاط الصور ، من أفلام ، وآلات تصوير ، ومعدات وأدوات هى كلمة : *Kodak**



* **Kodak** ماركة قديمة سجّلتها منذ ٥٨ ســنة شركات « كوداك والشركات المنتمية إليها ، و « كوداك » لهـا هيئة عالمية من الوكلاء والموزعين تيسر لـكل إنسان أن يظفر بمنتجات « كوداك » ، فى أنحـاء الأرض .

EASTMAN KODAK COMPANY, ROCHESTER N. Y., U. S. A.


Kodak



أسبق الطيور القواطع

كانت TWA أول خطوط جوية فى العالم عبرت طائراتها شمال المحيط الأطلسى فى رحلات منتظمة الجداول على مدار العام .

وقد يكون مرجع بعض ذلك — إلى ما قامت به TWA من أبحاث سباقة فى دراسة الجو ومعرفة أحواله وقد يكون مرجع البعض الآخر إلى سبقها فى استخدام طائرات النقل الجبارة ذات المحركات الأربعة . واليوم تحولت هذه الرحلات التى كانت تصل بين القارات إلى خبرة عالمية واسعة النطاق تشمل أكثر من ١٠ر٠٠٠ رحلة عبر المحيطات ، و ٤٤ر٠٠٠ر٠٠٠ ميل فى الطيران الدولى .

ماهى TWA

* TWA لها خبرة نيف و ٢٠ عاماً فى الطيران .
* TWA أول من استخدم طائرات النقل ذات المحركات الأربعة فى الأسفار التجارية .
* TWA لها بين شركات الطيران ، أكبر هيئة من خبراء الظواهر الجوّية
* TWA سبّاقة فى الطيران فوق أطباق الجو المضطّرب ، وقد صنعت لذلك طائرات خاصة تطير على ارتفاع عظيم
* TWA سجلت ٤٢ر٠٠٠ر٠٠٠ ميل فى المواصلات الدولية تشمل أكثر من ٩٥٠٠ رحلة فوق المحيطات لأجل الجيش الأمريكى .
* TWA أول من نظم رحلات منتظمة الجداول على مدار العام فوق شمال المحيط الأطلسى .
* TWA صممت طائرة لوكهيد كونستليشن ذات الشهرة العالميـة ، التى سجلت فى طيران المدى البعيد أرقاماً قياسية للسرعة لم تسجلها طائرة تجارية أخرى .
* TWA أول شركة طيران وضعت نظاماً لخط جوى يدور حول العالم ، وتراعى فيه حاجات النقل لجميع شعوب الأرض



TRANS WORLD AIRLINE

مواصلات مباشرة مصرّح بها بين : الولايات المتحدة . نيوفوندلاند . إيرلندا . فرنسا . سويسرا . إيطاليا . اليونان . المملكة المصرية . فلسطين . شرق الأردن . العراق . المملكة العربية السعودية . اليمن . عمان . الهند . سيلان . البرتغال . إسبانيا . مراكش . تونس . ليبيا .

تركبها فتشعر بالزّهو . . .

مزية ستوديبيكر ١٩٤٧ الجديدة

قد يكون التواضع شيمتك فى كثير من الشئون ، ولكن ثق أنك ستشعر راضياً بالزهو والفخار حين ترمقك العيون فى كل مكان تذهب إليه ممتطياً سيارة « ستوديبيكر ١٩٤٧ » الفخمة .

إنّ هذه السيارة تحفة تسر العين كما يسرُّها منظر بيت أنيق التصميم فاخر الأثاث . وفى الحق لم تظفر أية سيارة جديدة منذ سنين مضت ، بمثل هذا الجمال الباهر الممتاز .

أما يسر قيادتها ومرونتها وسهولة السيطرة عليها فتكاد تكون حلماً من الأحلام . وأينما تطلعت تجد سلامتك وراحتك تضمنهما وتعززهما مبتكرات جديدة لم تكن لتترقبها قبل الحرب — مثل الفرامل التى تضبط ضبطاً ذاتياً — ولوحة أجهزة « الأضواء السوداء » — وحواجز هواء ونوافذ خلفية واسعة تتيح لك رؤية « كل شىء » حواليك .

ومن المحتمل أن تتمكن من قيادة سيارة « ستوديبيكر ١٩٤٧ » الفخمة فى وقت أقرب بكثير مما كنت تأمل !



The Studebaker Export Corporation
South Bend, Indiana, U. S. A. Cables: Studebaker

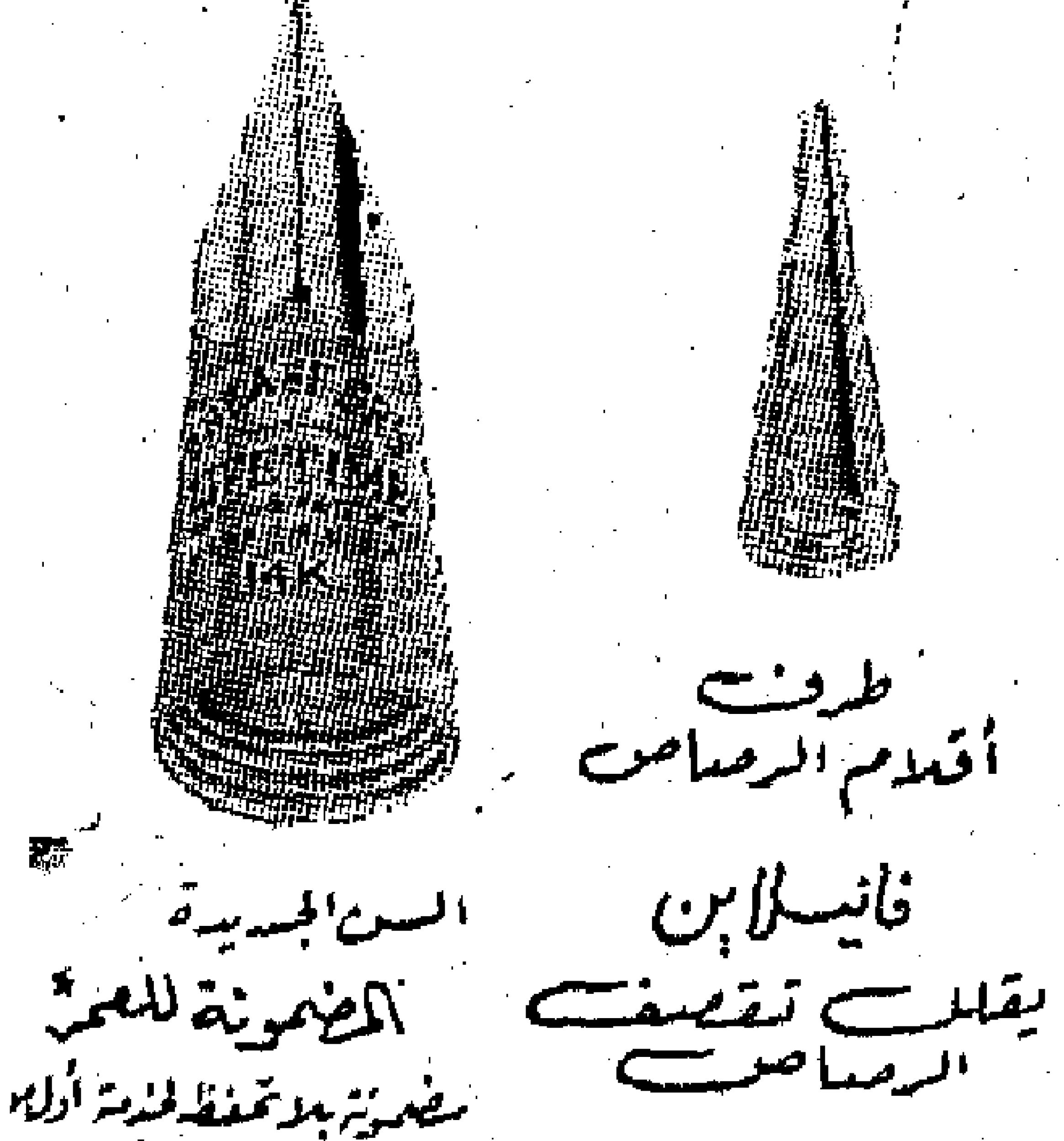

RCA

قلم شيفرز "تريومف"

أفضل قلم للكتابة ... ويستحيل عليك أن تبتاع قلماً أفضل منه

إذا أردت كتابة أكثر يسراً ونعومة ، فليس هناك ما يضارع قلم « شيفرز تريومف » . ربما تقول : « لكل شخص رأيه » . ونحن نوافق على ذلك ، بيد أن هذا سيكون رأيك أيضاً حين تأخذ هذا القلم فى يدك فتفحص صنعته الدقيقة وتحس بتوازنه المدهش ، وتلمس بنفسك مزاياه الفريدة — جرب السن الجديدة الأسطوانية المكبرة الحجم ، عيار ١٤ قيراطاً ، إنها مضمونة للعمر*، ولا تكاد تلمس الورق حتى تبدأ الكتابة فى الحال كتابة ميسّرة مريحة إلى أقصى حد !

W. A. Sheaffer Pen Co., Fort Madison, Iowa, U.S.A



طرف أقلام الرصاص

فانيلاين يقلل تقصف الرصاص

السن الجديدة المضمونة للعمر*

* مضمونة بلا تحفظ لمدة أولها يشترى القلم طول العمر وبلا أى مصروف لهذا الإصلاح .

أقلام الحبر "تريومف" وأقلام الرصاص "فاينلاين"

ولقد نزلت أرض تركيا وطفت فى إيران ، فكنت حيثما ذهبت أسمع جمهرة المثقفين من الترك والفرس يَنفِسون على العربية ما أتيح لها عن طريق المختار ، ويتمنون يوماً قريباً يجدون فيه مجلة « ريدرز دايجست » مترجمة إلى سائر لغات الشرق الأدنى ، فالحاجة إليها ماسة فى هذه الساعات التى بدأت فيها يقظة الشرق لأمسه المجيد وغده المأمول .

فيليب حتى

— ٢ —

اتسع انتشار مجلة « المختار » ، وتعددت اللغات التى تصدر بها ، فلم تَعُد فى رأيى مجلة كسائر المجلات ، فإنّ هذه المؤسّسة الضخمة التى تصدر « المختار » وسائر الطبعات التى تقرّب بين الناس على اختلاف ألسنتهم وتباين أجناسهم وتباعد أمصارهم ، قد صارت ظاهرة فريدة من ظواهر هذا العصر — عصر العلم والمعرفة .

وانتشار « المختار » فى العالم العربىّ وحرصُ أهله على قراءته ، دليلٌ ساطع على أن العرب فى هذا العصر قد نفضوا عنهم غبار القرون ، وسايروا الأمم فى النهضة العالمية ، وأنهم ليسوا أقلّ منهم رغبة فى العلم ، وحرصاً على المعرفة ، وإلحاحاً فى التحصيل .

وقد أدرك العرب أن نهضتهم الصحيحة لا تقوم على ذكر أمجاد الآباء والأجداد وحسب ، بل هو العلم الذى لا ترسخ قاعدةٌ إلا عليه ، فأخذوا يجاهدون فى سبيل تحصيله حتى يتمّموا ما نقص ، ويقيموا ما اعوَجّ ، ويدركوا الغاية التى يبتغون .

وإنى ليسرّنى أن أرى « المختار » قد قام بالنصيب الوافر الوافى فى هذا المضمار ، فكان له أكبر الفَضْل فى نشر العلم وتهذيب النفوس ، وتعميم المعرفة فى جميع أنحاء العالم ، وفى العالم العربى الذى أدّى يوماً إلى الحضارة الإنسانية ما لا قبل لأحد بتناسيه أو تجاهله .

صائب سلام

مطبعة مصر

معوان على التربية

١ — الدكتور فيليب حتّى ، رئيس قسم اللغات الشرقية فى جامعة برنستون ، ومؤلف « تاريخ العرب » .

٢ — السيد صائب سلام ، وزير الداخلية فى الجمهورية اللبنانية .

— ١ —

كان تجوالى هذا الصيف فى بلدان الشرق العربى ، فكان مما استوقف نظرى وراعنى أن أجد البيوت العامرة بالأثاث خالية من مكتبة تكون أثاثاً للبيت وللأسرة ، وإن بعضهم ليدّعى محبة الثقافة والأدب . هذا شأن الموسرين من رجالنا فما ظنك بعامة الناس ومن لا يجد إلا ما ينفق ؟ ولربما كان فيما مضى شىء من العذر لمن قصّر أو ترك ، إذ كانت الآثار العقلية الجديرة بالحفظ والتخليد قليلة الانتشار فى هذا الشرق ، أما الآن فقد كثرت حتى صار التقصير فى حيازتها تقصيراً فى الواجب المفروض . وقد ظهرت مجلة « المختار » وتوطدت بين المطبوعات العربية ، فلم يبق عذر لموسر ولا غير موسر أن يخلو بيته من سبب يصله بالثقافة والأدب ، و « المختار » وحده جدير برف خاص فى مكتبة كل مثقف عربى ، فهو ذخيرة تضمّ أشتاتاً نافعة من الثقافة والتهذيب والعلم .

أقول ذلك عن خبرة مبنية عن طول اتصالى بمجلة « ريدرز دايجست » منذ سنوات طوال ، وعلى تتبعى للترجمة العربية منها منذ صدورها . وإنى لأعرف بعض ما يلقاه محرروها فى أمريكا وفى مصر من عناء وتدقيق وما يبذلونه من جهود فى انتقاء خلاصة الأفكار الحية النافعة والآراء العلمية الحديثة ، بعد تمحيصها وسبكها فى أفضل قالب فيه للقراء منفعة ولذة . فأىّ ساعة أجدى على القارىء العربى وأفضل له من ساعة يقضيها فى قراءة ما تزوّده به هذه المجلة التى أعدّ ظهورها حدثاً فى تاريخ الأدب العربى المعاصر ، لا يضارعه حدث آخر فى عظم الشأن وجلالة الفائدة .

[التتمة على الصفحة السابقة]